صفحات مضيئة

من حياة السابقين

(مواقف وكلمات)

الجزء الثاني

تأليف

إبراهيم محمد العلي

دار القلم

دمشق

صَفَحَاتٌ مُضِيئَةٌ

مِنْ حَيَاةِ السَّابِقِينَ

(مواقف وكلمات)

الطّبْعَة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

تُطلب جميع كتُبنا مِن :
دَار القلم - دمَشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشامِيّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعوديّة عن طريق
دَار البشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

صفحات مضيئة

من حياة السابقين

(مواقف وكلمات)

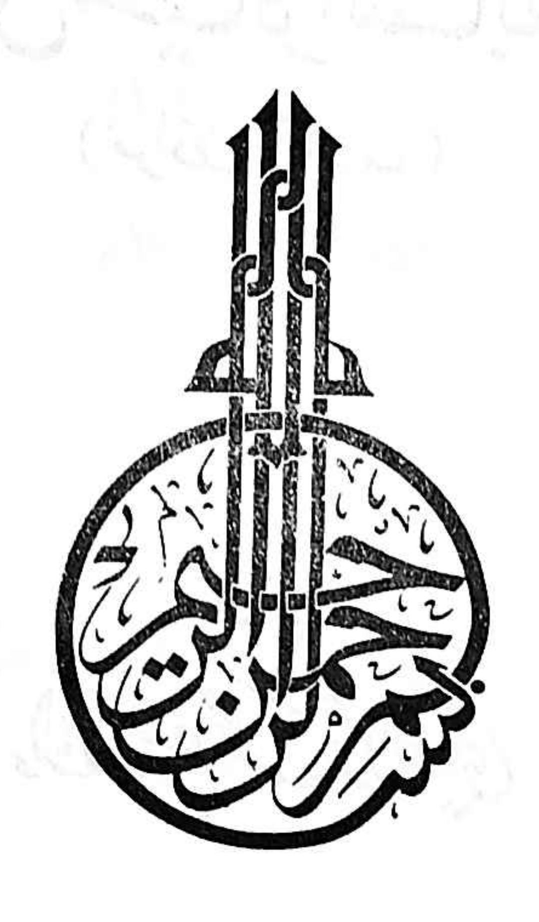
تأليف

إبراهيم محمد العلي

الجزء الثاني

الدار الشامية
بيروت

دار القلم
دمشق



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠]

المقـدمـة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا « صفحات مضيئة من حياة السابقين » نضعه بين أيدي الإخوة القرّاء ، للنظر في محتوياته من المواقف والكلمات المجموعة من بطون كتب التراجم والسير ، نسألها عن مكارم الكرام فتجيبنا ، وعن مواقف الرجال فتخبرنا ، وعن تعاقب الأزمان فتسمعنا من أخبار الماضين ، بأنصع حجة وأوضح بيان .

إن التاريخ مرآة للزمان ، توضح منه ما غمض ، وتُذهب من الهموم ما تنوء بحمله الرجال ، ورحم الله الصلاح الصفدي حين يقول :

التاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة ، وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاة ، وقد أفاد حزماً وعزماً ، وموعظة وعلماً ، وهمة تذهب هماً ، وبياناً يزيل وهماً ، وصبراً يبعثه التأسي بمن مضى ، واحتشاماً يوجب الرضا ، بما خفي وجلا من القضا ، ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] [يوسف : ١١١] .

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ص ٩) .

ولما كان الناس قد فطروا على محبة أهل الخير والصلاح ، والاقتداء بسيرهم وأفعالهم ، فقد أوردت في هذه الصفحات من مواقف أهل العلم والصلاح ، والساسة والحكام ، والمجاهدين والزهاد ما يحقق الهدف المنشود من الاعتبار بهم ، والانتفاع بلسان حالهم ، مما يبعث الهمة في القلوب ، ويبعد الهموم عن النفوس ، ويدفع بعوامل البناء في النفس للزيادة ، وبعوامل السلبية والهدم إلى التداعي والانتهاء ، فتتربى على هذه المواقف أجيال تحسن الاقتداء بسيرة الأجداد .

يقول بعض العلماء :

« دراسة حياة الأجداد ، تربي أخلاق الأبناء والأحفاد ، لما فيها من الحكمة البالغة الحسنة ، والموعظة المستحسنة »[1] .

إن هذه المواقف ترفع من سوية الهمة في قلوب الذين يحرصون على بناء أمجاد أمتهم ، والذي يسعى إلى العلياء لابد أن يصبر على مشاق الطريق ، وليس هناك من سبيل موصل إلى العلياء ، ولا طريق موصل إلى النجاة إلا سلوك طريق الهمة ، ولا يدرك أهمية هذا الطريق ويكشف عن كنوزه ، إلا من صاحب أو سار بصحبة أصحاب الهمم العالية ، فأصحاب العزائم الخائرة لا يصنعون تاريخاً ، ولا يسهمون في بناء الحياة لأي أُمة ، وإنما يصنع التاريخ ، ويقوي البنيان من كان من أصحاب الهمم العالية ، أو صاحبهم في طريقهم ، وتعلم على أيديهم فن البذل والتضحية .

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله :

« سيروا مع الهمم العالية »[2] .

ولن نجد أصحاب همم عالية كالأوائل من أبناء هذه الأمة ، الذين شيدوا في فترة قصيرة من عمر الزمن ، ما لم تستطع الأمم الأخرى أن تبنيه في مئات أو آلاف السنين ، هؤلاء هم البناة الحقيقيون للتاريخ والحضارة ،

---

(١) المصدر السابق : (ص ٩) .
(٢) الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص ٢٩٨) .

إنهم متنوعوا المشارب والتخصصات ، فمن حاكم عادل مجاهد ، إلى عالم فقيه آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، إلى تاجر يبحث عن ضروب التجارة الحلال لينفق ما يكسبه منها في أبوابه ومصارفه المشروعة ، إلى مجاهدٍ باع نفسه رخيصة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، لا همَّ له إلا الضرب في نحور الأعداء للدفاع عن حياض الإسلام ، إلى زاهدٍ يعلمنا فنون الزهد الحقيقي بعيداً عن التكلف ، حين يدبر عن الدنيا وهي عليه مقبلة ، أكثر مما نقبل عليها نحن وهي عنا مدبرة .

هؤلاء هم الذين حرصت على أن أقدم صورتهم الحقيقية الغائبة عن واقع حياتنا ، فأبناء جيلنا يعرفون الكثير الكثير عن أعلام الغرب ودهاقنة السياسة والفن ، ولاعبي الرياضة هناك ، أكثر مما يعرفون عن هؤلاء الأئمة الأعلام ، منارات الهدى ، والذين تبعث مواقفهم على الفخر والاعتزاز ، وتحث أفعالهم على التأسي والاقتداء ، والذين كانوا لا يعرفون إلا لغة واحدة هي لغة البذل والعطاء ، فهم الذين رسم ملامح شخصياتهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يقول :

« لكن يغلظ الجفاة في مسمى الحياة ، حيث يظنونها التنعم في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح ، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء ، والتفنن بأنواع الشهوات ، ولا ريب أن هذه لذة مشتركة بين البهائم ، بل وقد يكون حظ الكثير من البهائم منها أكثر من حظ الإنسان ، فمن لم تكن عنده لذة إلا اللذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعام فذلك ممن ينادى عليه من مكان بعيد .

ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب سلى عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن ورضي بتركها كلها والخروج منها رأساً ، وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق ، وهو مُتحلٌ بهذا منشرح الصدر به ، يطيب له هجر ابنه وأبيه ، وصاحبته وأخيه ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، حتى أن أحدهم ليتلقى الرمح بصدره ويقول : فزت ورب الكعبة ، ويستطيل الآخر حياته حتى يُلقي قوته من يده - تمرات - ويقول : إنها لحياة

طويلة إن صبرت حتى آكلها ، ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسروراً »[1] .

هؤلاء هم الذين أعرض ملامحهم ، وأكشف عن مواقفهم ، لأُسهم في حصانة أبناء أمتنا اليوم ، وهم يتعرضون لأشرس هجمة في التاريخ ، هجمة ثقافية وحضارية وتاريخية وعقدية ، لقطع صلتهم بماضيهم العريق المليء بالأمجاد والمواقف الخالدة ، فأبناء جيلنا هذه الأيام وهم يقرؤون هذه المواقف ، يضيفون تجارب طويلة إلى تجاربهم القليلة ، يضيفون تجارب عامرة بالدروس والعظات ، فيضيفوا بذلك إلى أعمارهم أعماراً جديدة ، فتتجدد فيهم الهمة لاستشراف المستقبل الواعد ، من خلال وصله بالمجد العريق ، والحضارة العظيمة لأمتهم ، وفي هذا يقول حاجي خليفة :

« الوقوف على الأحوال الماضية ، فائدته العبرة بتلك الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب ، بالوقوف على تقلبات الزمان ، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ، ويستجلب نظائرها من المنافع .

وهذا العلم ـ كما قيل ـ عُمرٌ آخر للناظرين يلتقي به المطَّلع في مصره ، منافع لا تحصل إلا للمسافرين »[2] .

وكما يقول الشاعر :

ليس بإنسان ولا شبهه ... من لا يعي التاريخ في صدره
ومن روى أخبار من قد مضى ... أضاف أعماراً إلى عمره[3]

وختاماً :

فهذه صفحات استخرجتها من مناجم الرجال ، ليبصرها الرجال ، ويعيش عليها الرجال ، وتتواضع نفس كل رجل منا بعد سماع مواقف القوم وكلماتهم ، ولترسم الصورة المضيئة والحقيقية التي يجب أن تكون عليها أحوال أمتنا .

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٥) .
(٢) شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف (ص ٦) .
(٣) المصدر السابق ص ٦ .

فحري بنا ونحن نرى ونسمع أقوال الأكرمين وأفعالهم ، أن نحاول شد عزائمنا لإدراكهم ، أو اللحاق بركبهم ، ملبين نداء الحادي وهو يستثير هممنا بقوله :

فحيهـلا إن كنـت ذا همـة فقـد حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحلا
ولا تنتظـر بـالسيـر رفقـة قـاعـد ودعه ، فإن العزم يكفيك حاملا

فإن استجبنا لنداء الحادي الصادق نفضنا عن كواهلنا كل عائق يعوق مسيرتنا ، وبحثنا عن أصحاب العزم والهمة الصادقة فإن وجدناهم اتخذناهم رفاقاً لدربنا ، وحينذاك سوف نذلل الصعاب التي تعوق حركتنا لبناء مستقبل مشرق لأمتنا ، لا نبالي بما قد يصيبنا من عناء ، أو يلحق بنا من إيذاء ، فلنا في السابقين أسوة وقدوة ، فهم الرواد الذين لم يكذبوا أمتهم ، ولنضع شعارنا قول القائل :

ركضـــاً إلـــى الله بغيـــر زاد غيـــر التقـــى وحـــب المعـــادِ

وقول القائل وهو يحدو الركب فيقول :

مهما عتا الأقزام والأعبد
ولوّحوا بالقيد أو هددوا
عن نصرة الإسلام هل أقعد ؟
لا ، سوف أبقى دائماً أنشد
بفجره لابد أن يأتي الغد .

وبعد : فهذه صفحات جمعتها ، وعوامل المحبة تبعثني وتدفعني لأكشف عن هذه الكنوز ، وأنشر هذه الفضائل ، والله أسأل أن يجعل هذا الجهد في ميزان أعمالي يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إبراهيم محمد العلي

عمان / الأردن

مواقف وكلمات خالدة

١ـ اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات :

جاء في « سنن أبي داود » برقم (٤٦١١) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٧١٩) والآجري في الشريعة (ص ٤٧ ، ٤٨) بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل الصحابي الجليل ما نصه :

« عن يزيد بن عميرة ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال :

كان لا يجلس مجلساً للذكر حين يجلس إلا قال :

الله حكمٌ قِسْطٌ هَلَكَ المُرتابون » .

فقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ يوماً :

إن من ورائكم فِتناً يكثر فيها المال ، ويُفتَحُ فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر ، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، وقد يقول المنافق كلمة الحق .

قال : قلت لمعاذ :

ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟

قال : بلى ، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات ، التي يقال لها ما هذه ، ولا يثنينك ذلك عنه ، فإنه لعله أن يراجع ، وتَلَقَّ الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً »

٢ـ ويل للأتباع من زلَّةِ العالِم :

جاء في « المدخل » للبيهقي (٨٣٥ ، ٨٣٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٢) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٤) بإسناد حسن عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما نصه :

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ :

« **ويلٌ للأتباع من زلَّةِ العالِمِ** » .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : يقول العالم الشيء برأيه ، فيلقى من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيخبره ويرجع ، ويقضي الأتباع بما حكم .

٣ـ إنما جمع هذا زنديق :

جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير (٨٧/١١) ، والإرشاد (ص ٢٧٢) عن الإمام الفقيه إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي (ت ٢٨٢ هـ) ما نصه :

« قال إسماعيل بن إسحاق القاضي :

دخلتُ يوماً على المعتضد ، فدفع إليَّ كتاباً فقرأته ، فإذا فيه الرُّخَصُ من زلل العلماء قد جمعها له بعضُ الناس .

فقلت : يا أمير المؤمنين : **إنما جمع هذا زنديق!** .

فقال : كيف ؟

فقلتُ : إنَّ من أباح المتعة لم يبح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو ، ومن جَمَعَ زللَ العلماء ثم أخذ بها ذهَبَ دينُهُ .

فأمر بتحريق ذلك الكتاب » .

٤ـ قولي يا الله أغثني :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن مظفر المكي (ص ١٦٣) ما نصه :

« بلغني أن أبا السري منصور بن عمار ـ رحمه الله ـ أصاب أُمَّه وجع الولادة ، وعندها قابلتها وهو صبي بين يديها .

فقالت له : يا منصور ، بادر إلى أبيك فادعه .

فقال لها : أتستعينين في حال الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع وأكون أنا رسولك إليه ؟

قالت : الساعة أموت .

قال لها : قولي يا الله أغثني .

فقالت ذلك ، فاندلق جنينها من ساعته » .

٥ـ بيني وبينك كتاب الله :

جاء في كتاب « الزهد والرقائق » لعبد الله بن المبارك رحمه الله (ص ٢٧٥) ما نصه :

« عن الحسن قال :

بينما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يمشي ذات يوم في بعض أزقة المدينة إذا صبية بين يديه تقوم مرة وتقعد أخرى .

فقال : يا بؤسها! من هذه ؟

فقال ابن عمر : هذه إحدى بناتك يا أمير المؤمنين!

قال : فما لها ؟

قال : منعتها ما عندك .

قال : أفعجزتَ إذ منعتُها ما عندي أن تكسبَ عليها ، كما يكسب الأقوام

على بناتهم ؟ والله ما لك عندي إلا ما لرجل من المسلمين ، وبيني وبينك كتاب الله .

قال الحسن : فخصمه والله » .

٦ـ الآن عزَّ الإسلام :

جاء في كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » لشهاب الدين الأبشيهي (٢/ ٣٤) وحاشية ابن عابدين (٤/ ٢١٣) ما نصه :

« أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد ، فوقعت الكرة على صدره فأخذها .

فجعلوا يطلبونها منه ، فأبى ، فقال غلامهم : سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا .

فأبى لعنه الله وسب الرسول ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم ، فمازالوا يخبطونه حتى مات لعنه الله .

فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة ، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف .

وقال : الآن عزَّ الإسلام ، إن أطفالاً صغاراً شُتم نبيهم ، فغضبوا له وانتصروا ، فأهدر دم الأسقف ، والله سبحانه وتعالى أعلم » .

٧ـ يبكي لأنه فاته لقاء عالم من العلماء :

جاء في كتاب « الرحلة في طلب الحديث » للإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (ص ١٧٢) في رحلة علي بن عاصم الواسطي الإمام المحدِّث في طلب الحديث ما نصه :

« قال علي بن عاصم :

خرجت من واسط إلى الكوفة أنا وهشيم لنلقى منصوراً ، فلما خرجت من واسط سرت فراسخ لقيني إما معاوية وإما غيره .

فقلت : أين تريد ؟ قال : أسعى في دَيْنٍ عليَّ .

قال : فقلت : ارجع معي فإن عندي أربعة آلاف درهم أعطيكَ منها .

فرجعت فأعطيته ألفين ثم خرجت فدخل هشيم الكوفة بالغداة ، ودخلتها بالعشي ، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثاً ، ودخلت أنا الحمام ، فلما أصبحت مضيت فأتيت باب المنصور فإذا بجنازة .

فقلت : ما هذه ؟ قالوا : جنازة المنصور .

فقعدت أبكي ، فقال لي شيخ هناك : يا فتى ما يبكيك ؟

قال : قلت : قدمت على أن أسمع من هذا الشيخ وقد مات .

قال : فأدلك على من شهد عرس أم هذا ؟

قلت : نعم ، قال : اكتب : حدثني عكرمة عن ابن عباس .

قال : فجعلت أكتب عنه شهراً ، فقلت له : من أنت رحمك الله ؟

قال : أنت تكتب عني منذ شهر ، ولم تعرفني ؟ أنا حصين بن عبد الرحمن وما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم أو تسعة دراهم ، فكان عكرمة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني » .

٨ـ إنا والله لا ندع أن يذكر أهل الفضل بفضلهم :

جاء في « تهذيب الكمال » للمزي (٤/ ٧٥) في ترجمة الإمام العابد المحدث بُسر بن سعيد المدني مولى ابن الحضرمي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال مالك : مات بسر بن سعيد ، وما خلَّفَ كفناً ، ومات عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وخَلَّف ثمانين مُدْيَ ذهب .

فبلغ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال :

والله لئن كان مدخلُهما واحداً ، لأن أعيش بعيش عبد الله بن عبد الملك أحبُّ إليَّ .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : هذا الذبح عند أهل بيتك .

فقال : **إنا والله لا ندع أن يذكر أهل الفضل بفضلهم** » .

٩ـ إعمال الفكر في حال الراحة :

جاء في كتاب « المنتظم » لابن الجوزي (٩/ ٢١٤) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٧٧) في ترجمة الإمام العالم أحد أذكياء العالَم أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ هـ وهو يحدث عن نفسه رحمه الله ما نصه :

« قال : ـ يعني ابن عقيل ـ :

إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلاَّ وقد خطر لي ما أسطره ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين » .

وقال :

وأنا أقصِّرُ بغاية جهدي أوقات أكلي ، حتى أختار سَفَّ الكعك وتحسيه بالماء على الخبز ، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ ، توفراً على مطالعة ، أو تسطير فائدة لم أدركها » .

١٠ـ بادر فإنَّكَ مُبادَرٌ بكَ :

جاء في كتاب « اقتضاء العلم العمل » للحافظ الخطيب البغدادي (ص ١١٤) ما نصه :

« عن يوسف بن أسباط أنه قال :

كتب إلي محمد بن سَمُرَةَ السائح بهذه الرسالة :

أي أخي ، إياكَ وتأميرَ التسويف على نفسِكَ وإمكانه من قلبك ، فإنه محلُّ الكَلالِ ، وموئلُ التلف ، وبه تُقْطَعُ الآمال ، فإنك إن فعلت ذلك أدلتَهُ

من عزمك وهواكَ عليه فعلاً ، واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولى عنك ، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسُكَ من بدنكَ بنافعة .

وبادر يا أخي فإنك مُبادَرٌ بك ، وأسرع فإنكَ مَسْروعٌ بك ، وجدَّ فإنَّ الأمر جدٌّ ، وتَيَقَّظْ من رَقْدَتِكَ ، وانتبه من غفلتك ، وتذكَّر ما أسلفتَ وقصَّرت ، وفرَّطت وجَنَيْتَ وعَمِلْتَ ، فإنَّه مُثْبَتٌ مُحصى ، فكأنكَ بالأمر قد بغَتَكَ ، فاغتبطت بما قدمت ، أو نَدِمْتَ على ما فرَّطت » .

١١ـ سَتَرِدُ فتَعلم :

جاء في « ترتيب المدارك » للقاضي عياض رحمه الله (٣/ ١٢٠) في ترجمة الإمام الفقيه زياد بن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون رحمه الله تعالى ـ أحد تلاميذ الإمام مالك ـ ما نصه :

« قال حبيب :

كنا جلوساً عند زياد ، فأتاه كتابٌ من بعض الملوك ، فمد مدَّة ـ أي بلَّ قلمه من الحبر بلَّةً ـ فكتب فيه ، ثم طبَعَ الكتاب ، ونفَّذ به مع الرسول .

فقال زياد : أتدرون عما سأل صاحبُ هذا الكتاب ؟ سأل عن كفَّتَيْ ميزان الأعمال يوم القيامة ، أمن ذهب هي أم من وَرِق ـ أي فضة ـ ؟

فكتبتُ إليه : حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] ، **وستَرِدُ فتَعلَم** » .

١٢ـ أما تستحي أن تشكو مولاك :

جاء في كتاب « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى (ص : ٣٢١) ما نصه :

---

(١) أخرجه الترمذي برقم : ٢٣١٧ ، وابن ماجة برقم : ٣٩٧٦ ، وابن حبان برقم : ٢٢٩ ، وابن أبي الدنيا في الصمت : ١٠٨ ، والحديث حسن لغيره .

« رُوي أنَّ بعضهم شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة ، وأظهر شدة اغتمامه بذلك ، فقال له : : أيسرك أنك أعمى ولكَ عشرة آلاف درهم ؟

قال لا .

قال : أيسرُّك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا .

قال : أيسرك أَنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً ؟

قال : لا .

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟

قال : لا .

قال : أما تستحي أن تشكو مولاك ، وله عندك عروض بخمسين ألفاً » .

١٣ـ لو سألت عما تنتفع لأجبتك :

جاء في « ترتيب المدارك » للقاضي عياض (١/ ١٩١) (٢/ ٣٠) ما نصه :

« سأل رجلٌ مالكاً عن رجل وَطِيءَ دجاجةً ميتة ـ أي داس بقدمه عليها ـ فأخرجت منها بيضة ، فأُفقست البيضة عنده عن فرخ ، أيأكله ؟

فقال مالك : سَلْ عما يكون ، ودع ما لا يكون!

وسأله آخر عن نحو هذا فلم يجبه ، فقال له : لم لا تجيبني يا أبا عبد الله ؟

فقال له : **لو سألت عما تنتفع به لأجبتك** » .

١٤ـ لو ذكرتك لكان لك عليَّ حق :

جاء في « تهذيب الكمال » للمزي (١٢/ ٥٦٣) في ترجمة الصحابي

الجليل شَمْعُون بنُ زيد بن خُنَافَة ، أبو ريحانة الأزديُّ ، حليف الأنصار ومولى رسول الله ﷺ ما نصه :

« عن ضمرة بن حبيب بن صُهيب ، عن مولى لأبي ريحانة :

عن أبي ريحانة وكان من أصحاب النَّبي ﷺ أنَّه قَفَل من بَعْثٍ غزا فيه ، فلما انصرفَ أتى أهلَهُ فتعشى من عشائه ، ثم دعا بوَضوء فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده ، فقرأ سورةً ثم أُخرى ، فلم يزل ذلك مكانه كُلَّما فرغَ من سورةٍ افتتح أخرى ، حتى أَذَّن المؤذن من السَّحَر شدَّ عليه ثيابه فأتته امرأتُهُ فقالت : يا أبا ريحانة قد غزوتَ فتَعِبتَ في غزوتك ، ثم قدمت ألم يكن لي منك حظٌّ ونصيب .

فقال : بَلَى والله ، ما خطرتِ لي على بالٍ ، ولو ذكرتُكِ لكانَ لكِ عليَّ حقٌّ .

قالت : فما الذي شغلكَ يا أبا ريحانة ؟

قال : لم يزل يهوى قلبي في ما وصفَ اللهُ في جَنَّتِه من لباسها وأزواجها ولذاتها حتى سمعتُ المؤذِّنَ » .

١٥ ـ إنَّا نستعدُّ للبلاءِ قبل نزوله :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (١٣/٣٤٨) في ترجمة إمام الأئمة الفقهاء أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله ما نصه :

« عن النضر بن محمد ، قال :

دخل قتادةُ الكوفة ، ونزل في دار أبي بُرْدَة ، فخرج يوماً وقد اجتمع إليه خلق كثير ، فقال قتادة : والله الذي لا إله إلا هو ، ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته .

فقام إليه أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً ، فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت ، ثم رجع زوجُها الأول ، ما تقول في صداقها ؟

فقال قتادة : ويحك ، أوقعَتْ هذه المسألة ؟

قال : لا ، قال : فلمَ تسألني عما لم يقع ؟

قال أبو حنيفة : إنَّا نستعدُّ للبلاءِ قبل نزوله ، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه ، والخروج منه » .

١٦ـ اذهب فتعلَّمْ هذا :

جاء في كتاب « الآداب الشرعية والمنح المرعية » للفقيه المحدث ابن مفلح الحنبلي تلميذ الإمام ابن تيمية ما نصه :

« قال أحمد بن حيَّان القَطيعي :

دخلتُ على أبي عبد الله ، فقلتُ : أتوضأ بماء النُّورة ؟

فقال : ما أُحِبُّ ذلك ـ يعني به : لا يجوز ـ .

فقال : أتوضأ بماء الباقلاء ـ أي الفول ـ ؟ .

قال : ما أحبُّ ذلك .

قال : ثمَّ قمتُ ، فتعلَّقَ أبو عبد الله بثوبي .

وقال : أيشٍ تقولُ إذا دخلتَ المسجد ؟ فسكتُّ !

فقال : أيشٍ تقولُ إذا خرجتَ من المسجد ؟ فسكتُّ !

فقال : اذهب فتعلَّم هذا! » .

١٧ـ البرنامج الحياتي لأهل العلم والصلاح :

جاء في « تذكرة الحفاظ » للإمام الذهبي (١/ ٢٠٢) في ترجمة الإمام المحدث الحافظ القدوة شيخ الإسلام حماد بن سلمة بن دينار البصري (المتوفى سنة ١٦٧ هـ) ما نصه :

« قال تلميذه عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سَلَمَة : إنك تموتُ غداً ما قَدَرَ أن يزيد في العمل شيئاً .

وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي :

لو قلتُ لكم : إني ما رأيتُ حماد بن سلمة ضاحكاً لصَدَقتُ ، كان مشغولاً ، إما أن يُحدِّث ، أو يقرأ ، أو يُسبِّح ، أو يُصلِّي ، وقد قسَّمَ النهارَ على ذلك .

قال يونُس المؤدِّب : ماتَ حمادُ بن سَلَمَة وهو في الصلاة ، رحمه الله تعالى » .

١٨ـ بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية :

جاء في كتاب « فوات الوفيات » لمحمد بن شاكر الكتبي (٢/ ٤٨ـ٤٩) في ترجمة سعدون المجنون (وكان من عقلاء المجانين وحكمائهم) كان من المحبين لله عز وجل ، صام ستين سنة فجفَّ دماغه ، فسماه الناس مجنوناً ، ما نصه :

« قال عطاء السلمي :

احتبس علينا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقي ، وإذا بسعدون المجنون ، فلما أبصرني قال :

يا عطاء إلى أين ؟

قلت : خرجنا نستسقي .

قال : **بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية ؟**

قلت : بقلوب سماوية .

قال : لا تبهرج فإن الناقد بصير .

قلت : ما هو إلا ما حكيت لك ، فاستسق لنا .

فرفع رأسه إلى السماء وقال : أقسمتُ عليكَ إلاَّ سقيتنا الغيث ، ثم أنشأ يقول :

أيا من كلما نودي أجابا ومن بجلاله ينشي السحابا

ويا من كلَّم الصدّيق موسى كلاماً ثمَّ ألهمه الصوابا
ويا من ردَّ يوسف بعد ضر على من كان ينتحب انتحابا
ويا من خصَّ أحمد واصطفاه وأعطاهُ الرسالة والكتابا

اسقنا ، فأرسلت السماء شآبيب كأفواه القرب ، فقلت : زدني .

قال : ليس ذا الكيل من ذا البيدر ، ثم أنشأ يقول :

سبحان مَن لم يزل له حجج قامَتْ على خلقِهِ بمعرفته
قد علموا أنهُ مليكُهم يعجز وصف الأنام عن صفته

١٩ـ أُريح العباد منك :

جاء في « تذكرة الحفاظ » للذهبي (١/ ٢٧٣) وابن حجر في تهذيب التهذيب (١/ ١٥٢) في ترجمة الإمام الحافظ أبي إسحاق الفزاري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن ابن عُلَيَّةَ وإسحاق بن إبراهيم قالا :

أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لم تضرب عنقي ؟

قال : لأريح العباد منك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم ! ! أُحرِّمُ فيها الحلال ، وأُحلِّلُ فيها الحرام ، ما قال النَّبي ﷺ منها حرفاً ! !

فقال له الرشيد : أين أنت يا عدوَّ الله من أبي إسحاق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ! ! ينخلانها نخلاً ، فيخرجانها حرفاً حرفاً ! ! » .

٢٠ـ ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا :

جاء في « صحيح البخاري » في كتاب الصلاة باب نوم المرأة في المسجد برقم : ٤٣٩ ما نصه :

« عن عائشة رضي الله عنها :

أن وَليدةً كانت سوداءَ لحيٍّ من العرب ، فأعتقوها فكانَتْ مَعَهُمْ . قالت ـ أي الوليدةُ ـ :

فخرجَتْ صبيَّةٌ لهم عليها وشاحٌ أحمَرُ من سُيُود .

قالت : فوضعتهُ أو وقعَ منها ، فمرت به حُدَيَّاةٌ ، وهو مُلْقًى ، فحسبته لحماً فخطفته .

قالت : فالتمسوه فلم يجدوه ، قالت : فاتهموني به ، قالت : فطفقوا يُفتِّشونَ حتى فتَّشوا قُبُلَها ـ تعني الوليدة نفسها ولكنها أسندت الكلام بلفظ الغيبة أدباً منها وخجلاً ـ .

قالت : والله إني لقائمةٌ معهم إذ مرت الحُدَيَّاةُ فألقتهُ ، قالت : فوقع بينهم ، قالت : فقلت : هذا الذي اتهمتوني به زَعَمْتم ، وأنا منه بريئة وهو ذا هُو .

قالت : فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، قالت عائشة : فكان لها خباءٌ في المسجد أو حفشٌ ـ بيت ضيق صغير متواضع من بيوت الأعراب ـ قالت : فكانت تأتيني فتحدثُ عندي .

قالت : فلا تجلس عندي مجلساً إلا قالت :

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ... إلا أنه من بَلْدَةِ الكُفْرِ أنجاني

قالت عائشة : فقلت لها : ما شأنك لا تقعدين مقعداً إلا قلتِ هذا ؟

قالت : فحدَّثَتني بهذا الحديث » .

٢١ـ أحييتني أحياك الله :

جاء في « المستدرك » للحاكم (١/ ١٠٩) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/ ٧٧) ما نصه :

« عن الحسن البصري ، قال :

بينما عمرانُ بن حُصين يُحدِّثُ عن سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، إذ قال له رجل :
يا أبا نُجَيْد ، حدثنا بالقرآن .

فقال له عمران : أنت وأصحابك تقرؤون القرآن ؟ أكنتَ مُحدِّثي عن الصلاةِ وما فيها وحدودها ؟ أكنتَ مُحدِّثي عن الزكاةِ في الذهب والإبل والبقرِ ، وأصنافِ المال ؟ ولكني قد شهدتُ وغبتَ أنت . ثم قال :

فَرَضَ علينا رسول الله ﷺ في الزكاة كذا وكذا .

فقال : أحييتني أحياك الله .

قال الحسنُ : فما مات الرجلُ حتى صار من فقهاء المسلمين » .

٢٢ـ أشرت بأنفع الأمرين لك ، وأقبحهما لي :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٣/ ٢٢٩) في ترجمة الكاتب البليغ المشهور عبد الحميد بن يحيى بن سعد ما نصه :

« حكي أن مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه :

قد احتجتُ أن تصير مع عدوي ، وتظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابك يحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تعجز من حفظ حرمي بعد وفاتي .

فقال له عبد الحميد :

إن الذي أشرتَ به عليَّ أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما لي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى أو أُقتل معك ، وأنشد :

أُسِـرُّ وفـاءً ثـم أُظهـر عـذرةً ... فمن لي بعُذرٍ يوسِعُ الناس ظاهر

٢٣ـ لا تطفىء هذا النور الذي أعطاك الله بالمعاصي :

جاء في كتاب « حياة الحيوان الكبرى » للدميري (١/ ١٥٦) ما نصه :

« حكى البويطي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان في مجلس مالك بن

أنس رضي الله عنه ، وهو غلام فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال :

إني حلفتُ بالطلاق الثلاث أن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح .

فقال له مالك : قد حنثت .

فمضى الرجل ، فالتفت الشافعي رحمه الله إلى بعض أصحاب مالك فقال : إن هذه الفتيا خطأ .

فأُخبر مالك بذلك ، وكان مالك مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يرده ، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه .

فقالوا لمالك : إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ .

فقال له مالك : من أين قلت هذا ؟

فقال الشافعي : ألست أنت الذي رويت لنا عن النَّبي ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ : « إن أبا جهم ومعاوية خطباني ، فقال ﷺ : أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له » ، فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه ، وإنما أراد من ذلك الأغلب . فعرف مالك محل الشافعي ومقداره ، قال الشافعي : فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته فقال لي مالك حين فارقته :

يا غلام اتق الله تعالى ، ولا تطفىء هذا النور الذي أعطاك الله بالمعاصي ـ يعني بالنور : العلم ـ وهو قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] » .

٢٤ـ أخاف أنه لُقن :

جاء في كتاب « مناقب أبي حنيفة » للإمام الموفق بن أحمد المكي (ص ٤٠٦) ما نصه :

« قال مسعر :

كنت أمشي مع أبي حنيفة فوطىء على رجل صبي لم يره .

فقال الصبي لأبي حنيفة : يا شيخ ألا تخاف القصاص يوم القيامة ؟

قال : فغشي على أبي حنيفة فأقمت عليه حتى أفاق ، فقلت له : يا أبا حنيفة ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبي .

قال : أخاف أنه لُقن » .

٢٥ـ ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن ظفر المكي (ص ١٤٦) ما نصه :

« بلغني أن السري بن المغلس السقطي قرأ على مؤدبه :

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦] فقال : يا أستاذ ما الورد ؟

فقال : لا أدري .

فقرأ : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] ، فقال : يا أستاذ ما العهد ؟

قال : لا أدري .

فقطع السري القراءة وقال : إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس ؟ فضربه المؤدب ، فقال السري :

يا أستاذ **ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهما الظلم والأذى ؟**

فاستحله المؤدب وتاب إلى الله تعالى من التأديب ، وأقبل على طلب العلم ، وكان يقول :

إنما أعتقني من رق الجهل السري » .

٢٦ـ لست أصغر من هدهد سليمان ، ولا أنت أكبر من سليمان :

جاء في كتاب « تذكرة الآباء وتسلية الأبناء » لابن العديم (ص ٦٤) ما نصه :

« دخل الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء ، وعنده كثير من أهل العلم ، فأحب أن يتكلم فزَجَرَهُ وقال :

أصبي يتكلم في هذا المقام ؟

فقال : إن كنتُ صبياً فلستُ **أصغر من هدهد سليمان ، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له :**

﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل : ٢٢] .

ثم قال : ألا ترى أنه فهم الحكم لسليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى » .

٢٧ـ سقوط العالِمْ سقوطُ العالَمْ :

جاء في « مقدمة حاشية ابن عابدين » (١/ ٦٧) ما نصه :

« رأى الإمام أبو حنيفة غلاماً يلعب بالطين ، فقال له :

يا غلام إياك والسقوط في الطين .

فقال الغلام للإمام : إياكَ أنت من السقوط ، **لأن سقوط العالِمْ سقوط العالَمْ** .

فكان أبو حنيفة لا يفتي بعد سماع هذه الكلمة إلا بعد مدارسة المسألة شهراً كاملاً مع تلامذته » .

٢٨ـ هذا أشدُّ عليَّ من ذاك :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (٢/ ١٧٤) وكتاب بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني للشيخ محمد زاهد الكوثري (ص ١٢) في ترجمة الإمام الفقيه قاضي القضاة محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن مجاشع بن يوسف أنه قال :

كنت بالمدينة عند مالك (بن أنس) وهو يفتي الناس ، فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ـ وهو حدث ـ وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه .

فقال (محمد) : ما تقول في جُنب لا يجد الماء إلا في مسجد ؟

فقال مالك : لا يدخل الجنب المسجد .

قال (محمد) : فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء ؟

قال : فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد .

فلما أكثر عليه قال له مالك : فما تقول أنت في هذا ؟

قال : يتيمم ويدخل ، فيأخذ الماء من المسجد ، ويخرج فيغتسل .

قال : من أين أنت ؟

قال : من أهل هذه ، وأشار إلى الأرض ، ثم نهض .

قالوا : هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة .

فقال مالك : محمد بن الحسن كيف يكذب ؟ وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟

قالوا : إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض .

قال : هذا أشدُّ عليَّ من ذاك » .

٢٩ـ أوسعوا للشيخ الصغير :

جاء في كتاب « الكفاية في علم الرواية » للخطيب البغدادي (ص ١١٢) ما نصه :

« عن أحمد بن النضر الهلالي قال : سمعت أبي يقول :

كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر إلى صبي دخل المسجد ، فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه .

فقال سفيان : ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء : ٩٤] ثم قال :

يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين ، طولي خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة النار ، ثيابي صغار ، وأكمامي قصار ، وذيلي

بمقدار ، ونعليَّ كآذان الفار ، أختلف إلى علماء الأمصار ، مثل الزهري وعمرو بن دينار ، أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلمي كاللوزة ، فإذا دخلت المجلس قالوا : **أوسعوا للشيخ الصغير** .

قال : ثم تبسم ابن عيينة وضحك ، قال أحمد : فتبسم أبي وضحك » .

٣٠ـ اطلب العلم فإن معك حذاءك وسقاءك :

جاء في كتاب « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر رحمه الله (١/ ٨٦) ما نصه :

« عن عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون قال :

أتيت المنذر بن عبد الله الخزامي ، وأنا حديث السن ، فلما تحدثت اهتز إليَّ على غيري لما رأى فيَّ بعض الفصاحة .

فقال لي : من أنت ؟

فقلت له : عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة .

فقال : **اطلب العلم فإن معك حذاءك وسقاءك** » .

٣١ـ هذه كلمات حكم فاكتبوها :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي (٣/ ١٣) ما نصه :

« أن عدي بن حاتم الطائي دخل على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات ؟ يعني الأولاد .

قال : قتلوا مع علي .

قال : ما أنصفك علي ، قتل أولادك ، وبقي أولاده .

فقال عدي : ما أنصفت علياً إذ قُتل وبقيت بعده .

فقال معاوية : أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ، لا يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن .

فقال عدي : والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فتراً ، لندنين إليك من الشر شبراً ، وإن حز الحلقوم ، وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع الإساءة في علي ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف .

فقال معاوية : هذه كلمات حكم فاكتبوها ، وأقبل على عدي محادثاً له كأنه ما خاطبه بشيء » .

٣٢ـ إذن نستقيم :

جاء في كتاب (تاريخ الخلفاء) (ص ١٩٩) للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن ابن عون قال :

كان الرجل يقول لمعاوية :

والله لتستقيمن أو لنقومنك .

فيقول معاوية : بماذا ؟

فيقول الرجل : بالخُشب .

فيقول معاوية : إذن نستقيم » .

٣٣ـ عزمت عليك يا رب إلا رددت علي إبرتي :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي (١٢/ ٥٦٤) في ترجمة الصحابي الجليل شمعون بن زيد بن خُنافة ، أبو ريحانة الأزدي مولى رسول الله ﷺ ما نصه :

« قال ضمرة بن ربيعة ، عن فروة الأعمى مولى سعد بن أمية المقرىء : ركب أبو ريحانة البحر ، وكان يَخيطُ فيه بإبرةٍ معه ، فسقطت إبرتُهُ في البَحْر ، فقال :

عَزَمتُ عليكَ يا رب إلا رددتَ عليَّ إبرتي ، فظهرت حتى أخذها » .

٣٤ـ يفتديه بنفسه كي لا يناله مكروه :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٣/ ٢٣١) وكتاب « أخبار الوزراء » لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهيشاري (ص ٧٩ـ٨٠) في ترجمة الكاتب البليغ المشهور عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، وزير الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية ما نصه :

« عن العباس بن جعفر الأصبهاني قال :

طُلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان صديقاً لابن المقفع ، ففاجأه الطلب وهما في بيت ، فقال الذين دخلوا عليهما :

أيكما عبد الحميد ؟

فقال كل واحد منهما : أنا ، خوفاً من أن ينال صاحبه مكروه ، وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال :

ترفَّقوا بنا ، فإن كلاًّ منا له علامات ، فوكلوا بنا بعضكم ، ويمضي البعض الآخر ، ويذكر تلك العلامات لمن وجَّهكم .

ففعلوا ، وأُخذ عبد الحميد » .

٣٥ـ استزدني بزيادتك إياهم أزدك إن شاء الله :

جاء في كتاب « نصيحة الملوك » للإمام الماوردي (ص ١٧٢) ما نصه :

« روي أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده :

يا عبد الصمد : ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينيك ، فالحسنُ عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ولا تستكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروِّهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . وتهددهم بي وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع

الدواء إلا بعد معرفة الداء ، وروِّهم سير الملوك وجنبهم محادثة النساء ولا تتكلنَّ على عذر مني فإني اتكلت على كفاية منك ، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك إن شاء الله » .

٣٦ـ أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس :

جاء في « كنز العمال » للمتقي الهندي (١٦/ ٥٨٣) وعزاه إلى الدينوري ما نصه :

« عن محمد بن سلام قال :

استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عملٍ ، فرأى الرجل عمراً يُقبِّل صبياً له .

فقال الرجل : تُقبِّله وأنتَ أميرُ المؤمنين ؟ لو كنتُ أنا ما فعلته .

قال عمر : فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء .

ونزعه عن عمله وقال :

أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس ؟ » .

٣٧ـ فما هو إذاً كما تقولون :

جاء في « تهذيب الكمال » للمزي (١٣/ ٣٧١) في ترجمة الإمام الفقيه العابد الزاهد طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الرزاق قال :

قدم طاووس مكة ، فقدم أميرٌ ، فقيل له : إنَّ من فضلِهِ ، ومن ، ومن ، فلو أتيته .

قال : ما لي إليه حاجة ، قالوا : إنا نخافه عليك .

قال : فما هو إذاً كما تقولون » .

٣٨ـ ما سمعت أحداً قال هذا قبلك :

جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ١٧٤) في ترجمة الإمام المحدِّث عبد الله بن مصعب الزبيري رحمه الله تعالى :

« عن مصعب بن عبد الله قال : حدثني أبي عبد الله بن مصعب قال : قال لي أمير المؤمنين المهدي : يا أبا بكر ، ما تقول فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ ؟

قال : قلتُ : زنادقة .

قال : **ما سمعت أحداً قال هذا قبلك** .

قال : قلتُ : هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنَقص ، فلم يجدوا أحداً من الأمة يُتابعُهم على ذلك ، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء ، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء ، فكأنَّهم قالوا : رسول الله ﷺ يَصحبُهُ صحابةُ السُّوء ، وما أقبحَ بالرجل أن يَصحبه صحابةُ السُّوء! .

فقال : ما أراه إلا كما قلت » .

٣٩ـ أحببت أن يكون بغضك بإسناد :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي (١/ ١٩٨) ما نصه :

« عن أبي العباس المروزي قال :

كنا يوماً عند أبي خيثمة زهير بن حرب ، فجاءَهُ فتى أحوَلُ مَجدورٌ ، فجلس ، ومدَّ رجليه بحضرة أبي خيثمة ، وجعل يتأوَّهُ .

فقال له أبو خيثمة : يا بُني أنت ثقيل ، فما شأنك ؟

قال : فغضب وقام ، فركب ومضى إلى أبيه ، فبلغني أنه شكاه ، فقال له أبوه : يا بُني أنت ثقيل كما قال ، وقد علمتُ ذلك ، **ولكني أحببت أن يكون بُغضكَ بإسناد** » .

٤٠ـ لا أعرض لك في أمرك ما بقيت :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن ظفر المكي (ص ١٥٦) ما نصه :

« بلغني أن أبا الحسين أحمد بن محمد النوري لما قرأ القرآن ألزمه أن يكون معه في الدكان ، فكان إذا أصبح أخذ روزمانجاً ودواة ، وذهب يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى ، ويكتب ما يقال له ، ثم يأتي أباه فيزجره عن غيابه ، ويتهدده وربما ضربه ، وإذا بعثه في حاجة أخذ ألواحه معه ، فيسأل من قربه من أهل العلم ، وربما ضربه أبوه على ذلك أحياناً .

فقال له أبوه يوماً : ليت شعري ما تريد بعلمك هذا ؟

قال : أريد أن أعرف الله تعالى ، وأتعرف إليه .

فقال : كيف تعرفه ؟

قال : أعرفه بتفهم أمره ونهيه !

قال : وكيف تتعرف إليه ؟

قال : أتعرف إليه بالعمل بما علمني .

فقال له أبوه : لا أعرض لك في أمرك ما بقيت » .

٤١ـ لم أكن مذنباً فأهرب منك :

جاء في كتاب « تذكرة الآباء وتسلية الأبناء » لابن العديم (ص ٦١) ما نصه :

« كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في الطريق وهو أمير المؤمنين وكان مجموعة من الأطفال يلعبون في الطريق ، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً ـ هو عبد الله بن الزبير ـ .

فتعجب عمر منه ، وسأله عن سبب عدم هربه .

فأجابه : لم أكن مذنباً فأهرب منك ، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق » .

٤٢ـ لا تطيب نفسي أن أحتبس امرأة بكيتِ منها :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للمزي (١٣/ ٤٥٣) في ترجمة الإمام المحدث طلق بن حبيب العنزي رحمه الله ما نصه :

« عن مالك : بلغني أن طلق بن حبيب كان من العُبّاد ، وكان براً بأمه ، وأنه دخل عليها يوماً ، فإذا هي تبكي من امرأته ، فقال لها : ما يُبكيك ؟

قالت له : يا بُنيَّ أنا أظْلَمُ منها ، وأنا بدأتُها وظَلَمتُها .

فقال لها : صدقتِ ، ولكن **لا تطيب نفسي أنْ أحتَبِسَ امرأةً بكيتِ منها** » .

٤٣ـ ما أوثر على طلبِ العلم شيئاً :

جاء في « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبي (٣/ ١١١٨) في ترجمة إمام المحدثين في عصره الإمام الحافظ ، علم السنة عُبيد الله بن سعيد أبو نصر السجزي البكري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال ابنُ طاهر المقدسي :

سألتُ الحافظ أبا إسحاق الحبّال عن أبي نصر السِّجْزي والصُّوري أبي عبد الله محمد بن علي السَّاحلي الصُّوري الحافظ العلاّمة الأوحد : أيهما أحفظ ؟

فقال : كان السِّجْزي أحفظ من خمسين من مثلِ الصُّوري .

ثم قال الحبّال : كنتُ يوماً عند أبي نصر السجزي ، فدُقَّ الباب ، فقمتُ ففتحتُه ، فدخلَتْ امرأةٌ وأخرجت كيساً فيه ألفُ دينار ، فوضعته بين يدي الشيخ ، وقالت : أنفقها كما ترى .

قال : ما المقصود ؟

قالت : تتزوَّجُني ، ولا حاجة لي في الزواج ، ولكن لأخدمك ، فأمرَها بأخذ الكيس وأن تنصرف .

فلما انصرفت قال : خرجتُ من سِجستان بنيَّة طلب العلم ، ومتى تزوجتُ سقط مني هذا الاسم ، **وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئاً** » .

٤٤ـ فذلك لهوي ما حييت وتلعابي :

جاء في « إنباه الرواة » للقفطي (٣/ ٢٦٥ـ٢٦٦) في ترجمة الإمام المفسر أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ما نصه :

« ومن شعره قوله :

إذا التَصَقَتْ بالبحثِ في العلمِ رُكْبَتي ... بِـرُكْبَـةِ نِحـريـرٍ علـى الجِـدِّ دأبِ

فإنْ دامَ لي عَونُ الإلهِ على الذي ... أُعـانيـه مـن فَضـلٍ وبِـرٍّ وآدابِ

وإنْ نَظَرَتْ عَيْني على الوُدِّ والصَّفا ... مع البرِّ والتقوى نواظِرَ أحبابِ

فقُلْ لملوكِ الأرضِ : يَلْهُوا ويَلْعَبُوا ... فذلك لَهْوي ما حَييتُ وتَلْعابي

٤٥ـ الرَّعية لا يُصلحها إلا العدل :

جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير (١٢٦/١٠) في ترجمة الخليفة العباسي عبد الله بن محمد بن علي أبو جعفر المنصور رحمه الله ما نصه :

« قال المنصور لابنه المهدي :

إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرَّعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

يا بني استدم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ، والطاعة بالتأليف ، والنصر بالتواضع ، والرحمة للناس ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، ونصيبك من رحمة الله » .

٤٦ـ تأكلها أنت وأُسأل عنها أنا :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (١٦١/٩) في ترجمة الإمام الفقيه الورع أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله ما نصه :

« قال مبارك بن سعيد :

جاء رجل إلى سفيان ببدرة ـ أو قال ببدرتين ـ وكان أبو ذلك الرجل صديقاً لسفيان جداً ، وكان سفيان يأتيه فيقيلُ عنده ، ويأتيه كثيراً ، قال : فقال :

يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء ؟

فأثنى عليه وقال : رحم الله أباك ، وذكر من فضله .

فقال له : يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار إليَّ هذا المال ، وأنا أحبُّ أن تقبل هذا الذي جئتك به تستعين به على عيالك .

قال : فقبله منه .

فخرج الرجل ، فلما خرج أو كاد أن يخرج ، قال لي :

يا مبارك إلحقه فرده ، قال : فلحقته فرددته .

فقال : يا ابن أخي أحب أن تقبل هذا المال ، فإني قد قبلته منك ولكن أحب أن تأخذه فترجع به .

فقال : يا أبا عبد الله ، في نفسك منه شيء ؟

قال : لا ، ولكن أحب أن تقبله ، فلم يزل به حتى أخذه ، فلما خرج جئت وقد داخلني ما لا أملك ، فقعدت بين يديه ، فقلت : ويحك يا أخي ، أيش قلبك هذا ؟ حجارة ؟ أنت ليس لك عيال ، أما ترحمني ، أما ترحم إخوانك ؟ أما ترحم صبياننا ؟

قال : فأكثرت عليه من هذا النحو .

فقال : يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مريئاً وأسأل أنا عنها ؟ لا يكون هذا أبداً » .

٤٧ـ كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (١١/١٥٨) في ترجمة المحدث الإمام عيسى بن أبان رحمه الله ما نصه :

« عن محمد بن سماعة قال :

كان عيسى بن أبان يصلي معنا ـ أي في المسجد الذي يصلي فيه الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، ويقعد فيه لمجلس الفقه ـ وكنت أدعوه أن يأتي محمد بن الحسن ، فيقول ـ عيسى بن أبان ـ : هؤلاء قوم يخالفون الحديث .

وكان عيسى حسن الحفظ للحديث ، فصلى معنا يوماً الصبح ـ وكان يوم مجلس محمد ـ فلم أفارقه حتى جلس في المجلس ، فلما فرغ محمد أدنيته منه وقلت :

هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ، ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول : إنا نخالف الحديث!

فأقبل عليه ـ محمد ـ وقال له : يا بني ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث ؟ لا تشهد علينا حتى تسمع منا .

فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين باباً من الحديث ، فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ، ويخبره بما فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل . فالتفت ـ عيسى بن أبان ـ إلي بعد ما خرجنا فقال :

كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني! ما ظننت أن في مُلك الله مثل هذا الرجل يُظهره للناس .

ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه به » .

٤٨ـ المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب :

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله (٣/ ٣٦) ما نصه :

« قال الإمام الغزالي :

فإن أورعَ الناس وأتقاهم وأعلمهم ، لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة ، بل بعين الرضا بعضهم ، وبعين السخط بعضهم ، ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء ، وعن تهمة الأشرار ، فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر ، فمهما رأيت إنساناً سيء الظن بالناس طالباً للعيوب ، فاعلم أنه خبيث الباطن ، وأن خبثه يترشح منه ، وإنما رأى غيره من حيث هو ، فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب ، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق » .

٤٩ـ هذا محتاج إلى غيره فكيف أحتاج إليه :

جاء في كتاب « اللقط في حكايات الصالحين » لابن الجوزي رحمه الله في الحكاية (٥٠٧) ما نصه :

« قال عبد الرحمن بن إبراهيم الفهري :

أتى رجلٌ بعضَ الأمراء في حاجة ، فوجده ساجداً يدعو ربه عزَّ وجلَّ فقال : هذا محتاج إلى غيره فكيف أحتاج أنا إليه ؟ لم لا أرفع حاجتي إلى من لا تختلج ـ أي تختلط وتتأخر ـ الحوائج عنده ، قال : فسمعه الأمير ، فلما رفع رأسه قال : عليَّ بالرجل ، فأُتي به ، فقال : أعطوه عشرة آلاف .

وقال : إنما أعطاك هذا من كنتُ أدعوه وأنا ساجد ومن رَجعتَ إليه » .

٥٠ـ قد عطس الشيخ عبد القادر :

جاء في « قلائد الجواهر » لمحمد بن يحيى التادفي (ص ١٩) ما نصه :

« عطس الشيخ عبد القادر ـ يعني الجيلاني ـ رحمه الله تعالى ، يوم الجمعة في المسجد فشمته الناس ، حتى سمع من في الجامع ضجة عظيمة ، وهم يقولون : يرحمك الله ويرحم بك .

وكان الخليفة المستنجد بالله ابن المقتفي لأمر الله في مقصورة الجامع ، فقال : ما هذه الضجة ؟

فقيل له : قد عطش الشيخ عبد القادر .

فهاله ذلك » .

٥١ـ نزهتك من عذاب الله :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (ص ٣٥٢) في ترجمة الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أحمد بن علي البصري قال :

وجه المتوكل إلى أحمد بن المعدل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعدل ، فقال المتوكل لعبيد الله : إن هذا لا يرى بيعتنا .

فقال له : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن في بصره سوءاً .

فقال أحمد بن المعدل : يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء ، ولكن نزهتك من عذاب الله ، قال النبي ﷺ :

« من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .

فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه » .

٥٢ـ سر حيث شئت :

جاء في كتاب « تهذيب التهذيب » للإمام ابن حجر العسقلاني (٦/ ٨٦) في ترجمة الإمام التابعي الجليل العابد الصالح عبد الرحمن بن أبي نُعم البجلي الكوفي ما نصه :

« قال محمد بن فُضيل ، عن أبيه :

كان عبدُ الرحمن يُحرِمُ من السَّنَةِ إلى السَّنَة ، وكان يقول :

لَبَّيْكَ ، لو كان رِياءً لاضمحلَّ .

وكان من عُبَّادِ أهل الكوفة ، ممن يصبرُ على الجوع الدائم ، ودَخَل على الحجَّاج أيام الجماجم فوعظه ، فأخذه الحجَّاج ليقتله ، وأدخله بيتاً مظلماً ، وسدَّ الباب عليه خمسة عشر يوماً! ثم أمر بالباب ففُتح ليخرج فيُدفن ، فدخلوا عليه ، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي! فقال له الحجَّاج : **سِر حيث شئت** » .

٥٣ـ ما رأيناه ضاحكاً قط :

جاء في كتاب « الحث على التجارة والصناعة والعمل » للإمام أبي بكر الخلال رحمه الله تعالى (ص ٢٤) ما نصه :

« أخبرنا إسحاق بن سَيَّار النصيبي ، حدثني عبد الملك بن زياد النصيبي ، قال :

كنا عند مالك ، فذكرتُ له صوفيين من بلادنا ، فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ، ويفعلون كذا .

قال : فقال لي : ويحك! أو مسلمون هم ؟

قال : فضحك حتى استلقى ، قال : فقال لي بعض جلسائه :

ما هذا! ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ، **ما رأيناه ضاحكاً قط** » .

٥٤ـ لا أمين إلا من يخشى الله :

جاء في كتاب « الزهد » لعبد الله بن المبارك رحمه الله (ص ٤٩١) ما نصه :

« عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

لا تتعرض لما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحتفظ من خليلك إلاَّ الأمين ، فإنَّ الأمينَ ليس شيء من القوم يَعدِلُه ، **ولا أمين إلاَّ من يخشى الله** ، ولا تصحب الفاجر فيحملك على الفجور ، ولا تفش إليه بسرِّك ، وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى » .

٥٥ـ أربعة تزيد في العقل :

جاء في كتاب « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية رحمه الله (٣/ ٤١٧) ما نصه :

« قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

أربعة تزيد في العقل : ترك الفضول في الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، ومجالسة العلماء » .

٥٦ـ أدخر ربي لولدي :

جاء في « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٦٨) في ترجمة التابعي الجليل محمد بن كعب القرظي المدني رحمه الله تعالى ما نصه :

« كان له أملاكٌ بالمدينة وحَصَّل مالاً مرة ، فقيل له :

ادَّخره لولدك . قال : لا ، ولكن أَدَّخرُهُ لنفسي عند ربي ، وأَدَّخرُ ربي لولدي » .

٥٧ـ لم تَصِفْ له إلا أربعة عشر يوماً :

جاء في كتاب « أزهار الرياض » : (٢/ ٢٨٢) ، والمغرب : (١/ ١٧٧) ، ونفح الطيب : (١/ ٣٧٩) في ترجمة الخليفة الأموي الناصر لدين الله الأندلسي رحمه الله تعالى ما نصه :

« وجد بخط الناصر ـ رحمه الله ـ أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا ، ويوم كذا من كذا ، وعُدّت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوماً ، فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها ، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها ، هذا الخليفة الناصر حلف السعود ، المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ملكها خمسين سنة وستة ـ أو سبعة ـ أشهر وثلاثة أيام ، ولم تصف له إلا أربعة عشر يوماً ، فسبحان ذي العزة القائمة ، والمملكة الدائمة ، لا إله إلا هو » .

٥٨ـ شروط الجدال وآدابه :

جاء في « رسالة المسترشدين » للإمام المحاسبي بتعليق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله (ص ١٣١) نقلاً عن وجه كتاب مخطوط وهو كتاب « الانتصار في المسائل الكبار » لمحفوظ بن أحمد الكلوداني إمام السادة الحنابلة في عصره ، بقلم بعض العلماء ما نصه :

« من أدب الجدال : جاء رجل إلى بعض الأئمة الحكماء ، فقال : أريد أن أُناظرك ، فقال : بعد أن تشترط على نفسك عشر خصال :

أحدها : لا تغضب ، والثانية : لا تتعب ، والثالثة : لا تعجب ، والرابعة : لا تتحكَّم ، والخامسة : لا تضحك ، والسادسة : لا تجعل الدعوى دليلك ، والسابعة : إذا أخذنا في الأخبار كان غرضنا التصادق ، والثامنة : إذا أخذنا بما في العقول انقدنا للتعارُف ، والتاسعة : أن يجعل كلٌّ واحد منا الحقَّ ضالَّته ، لا الغلبة غايته ، والعاشرة : أن لا تُقبل على غيري ، وأنا أكلمك ، والسلام » .

٥٩ـ إن للأمور بغتات فكن على حذر :

جاء في « العقد الفريد » (١/ ٥٩) ، وكتاب «زهر الآداب» للقيرواني رحمه الله : (٤/ ٩٢٦) ما نصه :

« خرج الزهري يوماً من عند هشام فقال : ما رأيت مثل أربع كلمات تكلم بها اليوم إنسان عند هشام ، فقيل له : وما هن ؟ قال : دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، فقال : هاتهن .

فقال : لا تعدنَّ عدة لا تثق من نفسك بإنجازها .

قال : هذه واحدة فهات الثانية .

قال : لا يغرَّنك المرتقى وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدر وعراً .

قال : هات الثالثة .

قال : إن للأعمال جزاءً فاتق العواقب .

قال : هات الرابعة .

قال : إن للأمور بغتات فكن على حذر » .

٦٠ـ خوفتك دعوة اليتيم والأرملة ومن لا حيلة له :

جاء في كتاب « أخبار القضاة » (ص ٥٨) ، ما نصه :

« همَّ أبو جعفر المنصور أن يسكِّر نهر ابن عمر في البصرة ، فوفد إليه وفد من أهل البصرة فيه سوار بن عبد الله ، وداود بن أبي هند ، وسعيد بن أبي عمرويه فكلموه .

فقال سوار : يا أمير المؤمنين ، إن أردت أن تقتل مائة ألف من الناس عطشاً فسكِّره ، يا أمير المؤمنين! إني أحذرك أهل البصرة .

فقال أبو جعفر : أتخوفني بأهل البصرة ؟ لهممت أن أوجه إليهم بقائد يجثم على أكبادهم حتى يأتي على آخرهم .

قال : يا أمير المؤمنين! لم أذهب حيث ذهبت ، ولكن **خوفتك دعوة اليتيم والأرملة ومن لا حيلة له** .

فرجع أبو جعفر وأضربَ عما كان عزم عليه » .

٦١ـ أمَّنْ يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه ويكشفُ السُّوءَ :

جاء في « تفسير ابن كثير » (٣/٣٥٨) عند قوله تعالى في سورة النمل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] نقلاً عن الحافظ ابن عساكر رحمه الله ما نصه :

« قال :

كان رجلٌ مكارياً على بغل له ـ أي يُركبُ الناس على بغل له للسفر بالأجرة ـ يُكاري به من دمشق إلى الزبداني ، فركب معه ذات يوم رجل ، قال : فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة .

فقال لي الرجل : خذ في هذه الطريق فإنها أقرب ، فقلت له : لا خبرة لي بها ، فقال : بل هي أقرب .

فسلكناها ، فانتهينا إلى مكانٍ وعرٍ ووادٍ عميق فيه قتلى كثيرون ، فقال لي الرجل : أمسك رأس البغل حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه ، وسل سكيناً معه ، وقصدني من بين يديه ـ فهربت ـ وتبعني! فناشدته الله وقلتُ له : خذ البغل بما عليه ، فقال : هو لي ، وإنما أُريد قتلك ، فخوفتُه بالله تعالى والعقوبة منه ، فلم يقبل!

فاستسلمتُ بين يديه ، وقلت له : إن رأيتَ أن تتركني حتى أُصلي ركعتين ، فقال : لكَ ذلك وعجِّلْ ، فقمتُ أصلي ، فأُرتجَ عليَّ ـ أي ذهب عني كلُّ ما أحفظه من القرآن ـ فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول لي : هيا افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل : ٦٢] .

فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ، وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعاً .

فتعلَّقت بالفارس ، وقلتُ له : بالله من أنت ؟ فقال : أنا عبدُ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل : ٦٢] .

فأخذتُ البغل والحمل ورجعت سالماً » .

٦٢ـ رميته الساعة :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٤/ ٦٣) ونفح الطيب بغصن الأندلس الرطيب للتلمساني (٢/ ٨٨) في ترجمة الإمام الفقيه العالم الشهير أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي صاحب « سراج الملوك » رحمه الله ما نصه :

« قال الصفدي في ترجمة الطرطوشي :

إن الأفضل ابن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق المُلك بالقرب من

الرصد ، وكان يكرهه ، فلما طال مقامه به ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح ، فجمعه ، وأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : رميته الساعة .

فلما كان من الغد ركب الأفضل فقُتِلَ ، وولي بعده المأمون بن البطائحي فأكرم الشيخ إكراماً كثيراً ، وله ألَّف الشيخ « سراج الملوك » .

٦٣ـ صورة من الورع الصادق :

جاء في كتاب « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني : ٥/ ٣٨٧ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٠/ ١٦٧ ، في ترجمة الإمام الفقيه الزاهد المجاهد فقيه خراسان وإمام المسلمين في عصره عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أبو حسان البصري عيسى بن عبد الله : سمعتُ الحسن بن عرفة يقول :

قال لي ابن المبارك : استعرتُ قلماً بأرض الشام ، فذهب عليَّ أن أرده إلى صاحبه ، فلما قَدِمتُ مَرْوَ نظرتُ فإذا هو معي! فرجعتُ إلى أرض الشام حتى رددتُه على صاحبه » .

٦٤ـ دعاء صادق من خليفة :

جاء في كتاب « تاريخ الأمم والملوك » للطبري : ٦/ ٥٣٦ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير : ٥/ ١٣٣ ما نصه :

« حج الرشيد مرة فدخل الكعبة ، وقام على أصابعه وقال :

يا من يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإن لكل مسألة منك ردًّا حاضراً وجواباً عتيداً ، ولكل صامت منك علم محيط ناطق بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ، ورحمتك الواسعة ، صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لنا ذنوبنا ، وكفِّر عنّا سيئاتنا .

يا من لا تضره الذنوب ، ولا تخفى عليه العيوب ، ولا تنقصه مغفرة

الخطايا ، يا من كبس الأرض على الماء ، وسد الهواء بالسماء ، واختار لنفسه الأسماء صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، وخر لي في جميع أمري .

يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات ، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي ذنوبي ، إذا توفيتني وصُيِّرت في لحدي ، وتفرق عني أهلي وولدي .

اللهم لك الحمد حمداً يفضل على كل حمد ، كفضلك على جميع الخلق ، اللهم صلِّ على محمد صلاة تكون له رضاً ، وصلِّ على محمد صلاة تكون له حرزاً ، واجزه عنّا الجزاء الأوفى .

اللهم أحينا سعداء ، وتوفنا شهداء ، واجعلنا شهداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين » .

٦٥ـ هكذا يُطْلَبُ العِلْمُ :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي : (١/ ١٩٨) برقم : ٣٤٣ ، باب أدب السماع ما نصه :

« عن حمدان بن الأصبهاني قال :

كنت عند شَريك ، فأتاه بعضُ وَلَدِ المهدي ، فاستند إلى الحائط ، وسأله عن حديث ، فلم يلتفت إليه ، فأعادَ عليه ، فلم يلتفت إليه .

فقال : كأنَّكَ تستخفُ بأولاد الخلافة ؟ قال : لا ، ولكنَّ العِلْمَ أزيَنُ عند أهله من أن يضيِّعوه .

قال : فجثا على ركبتيه ثم سأله .

فقال شريك : هكذا يُطْلَبُ العِلْمُ » .

٦٦ـ اللهم اجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك :

جاء في كتاب « رياض النفوس » لعبد الله بن عبد الله المالكي (١/ ٢٢) ما نصه :

« يقول المالكي :

إن عقبة ـ يعني ابن نافع ـ جمع أولاده وقال لهم :

إني قد بعت نفسي من الله ، وما أدري ما يأتي عليَّ في سفري ، ثم قال :

يا بني إني موصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيِّعوها :

إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن ، فإن القرآن دليل على الله ـ عز وجل ـ وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه .

وأوصيكم أن لا تداينوا ولو لبستم العباء ، فإن الدَّيْنَ ذُلٌّ بالنهار وهَمٌّ بالليل ، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ، وتبقى لكم الحرمة في الناس ما بقيتم .

ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيجهلوكم دين الله ، ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط ، فهو أسلم لكم ، ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا .

ثم قال : عليكم سلام الله ، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا .

ثم قال : اللهم تقبل نفسي في رضاك ، واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك » .

٦٧ـ لو سجل القاضي عليَّ في مقعدي لخرجت عنه :

جاء في كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي (٢/ ٦٨) ما نصه :

« قال القاضي أبو معاوية :

أدركت صدراً من الناس يحكون أن أيام هشام هذا ـ يعني هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أمير الأندلس ـ كانت من الدَّعة والعافية والهدوء بحيث لم يعلم لها مثل ، وكان يحضر الجنائز ، ويزاحم فيها ، كأنه أحد من الناس تواضعاً .

وكان لبعض رجال هشام خصومة في دار عند القاضي مصعب بن

عمران ، فسجل عليه القاضي فيها ، وأخرجه منها ، فنهض الرجل إلى هشام ، وقال له :

إن القاضي سجل عليَّ في داري التي أسكنها ، وأخرجني عنها .

فقال له هشام : وماذا تريد مني ، والله لو سجل عليَّ القاضي في مقعدي هذا ، لخرجت منه » .

٦٨ـ قد حَسُنَ عندنا ظاهركَ ، فحسَّن اللهُ باطنك :

جاء في كتاب « تاريخ قضاة الأندلس » لأبي الحسن بن عبد الله المالقي : (ص ٤٢) في ترجمة القاضي عنترة بن فلاح ، ما نصه :

« استسقى القاضي عنترة بن فلاح في قرطبة يوماً ، فأحسن في قيامه في الخطبة ، وخشع الناس بوعظه وتذكيره ، وحرّكهم بدعائه وابتهاله ، فلما فرغ قام إليه رجل من عامة الناس فقال له : أيها القاضي الواعظ ، **قد حَسُنَ عندنا ظاهرك ، فحسَّن اللهُ باطنك** .

فقال القاضي : اللهم آمين ولنا أجمعين ، أضمرت يا ابن أخي شيئاً ؟

فقال الرجل : نعم يا قاضي ، بتفريغ أهرائك يتم فضل استسقائك .

فقال : لعمري لقد نصحتني ، وإني أُشهد الله أن جميع ما حواه ملكي من الطعام صدقة لوجه الله الكريم .

ثم أقسم ألاّ يترك مقامه حتى يرسل إلى داره فيفرق جميع ما ادَّخره .

قال : فغيث الناس من يومهم غيثاً عاماً » .

٦٩ـ لن يفك ختم الله إلا الإيمان :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (ص ٤٤٢) في ترجمة الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله رحمه الله تعالى ما نصه :

« لما عاد المقتفي الإمام أبا منصور الجواليقي النحوي ليجعله إماماً

يصلي به دخل عليه ، فما زاد على أن قال :

السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

وكان ابن التلميذ النصراني الطبيب قائماً فقال :

ما هكذا يُسلَّم على أمير المؤمنين يا شيخ .

فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي ، وقال :

يا أمير المؤمنين ، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى الحديث ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، لو حلف حالف أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه لما لزمته الكفارة ، لأن الله ختم على قلوبهم ، ولن يفك ختم الله إلا الإيمان .

فقال المقتفي : صدقت وأحسنت .

وكأنما أُلجم ابن التلميذ بحجر مع غزارة أدبه » .

٧٠ـ إياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها :

جاء في كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير : ٤/ ٥٢٠ ، وكتاب « مشارع الأشواق » لابن النحاس رحمه الله : ١/ ١٤٤ برقم : ٨٦ ، وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق ما نصه :

« عن المفضل بن فضالة ، عن أبيه قال :

استأذن قوم على عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ، وهو شديد المرض فدخلوا عليه فقال :

إنكم دخلتم عليَّ في حين إقبال آخرتي ، وإدبار دُنياي ، وإني تذكرت أرجى عمل لي فوجدته غزوة غزوتها في سبيل الله ، وأنا خلو من هذه الأشياء ، فإياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها » .

٧١ـ إنها النقلة إلى الله عز وجل :

جاء في كتاب « الجهاد » لابن المبارك رحمه الله : ١/ ١١٤ ، وكتاب مشارع الأشواق : ١/ ٣٨٥ برقم : ٦٢٥ ، ما نصه :

« أن الحارث بن هشام رضي الله عنه خرج من مكة للجهاد فجزع أهل مكة جزعاً شديداً ، فلم يُرَ أحدٌ طَعِمَ إلا خرج يشيعه ، فلما كان بأعلى البطحاء وقف ، ووقف الناس حوله يبكون ، فلما رأى جزعهم رق ، فبكى ، وقال :

يا أيها الناس ، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ، ولا اختيار بلد عن بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر ، فخرجت رجال ، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتاتها ، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهباً فأنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم ، والله لئن فاتونا في الدنيا ، لنلتمسن أن نشاركهم به في الآخرة ، ولكنها النقلة إلى الله عز وجل ، وتوجه إلى الشام فأصيب شهيداً » .

٧٢ـ لا تخزوا الحور العين :

جاء في كتاب « المصنف » لعبد الرزاق : ٥/ ٢٥٦ـ٢٥٨ برقم : ٩٥٣٨ ، وكتاب « المصنف » لابن أبي شيبة : ٥/ ٢٩٢ـ٢٩٣ ، ٣٠١ ، والطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد للهيثمي : ٥/ ٢٩٤ ، وإسناد عبد الرزاق صحيح على شرط الشيخين ، ما نصه :

« عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه ، وكان يزيد بن شجرة ممن يصدق قوله فعله ، خطبنا فقال :

يا أيها الناس! اذكروا نعمة الله عليكم ، ما أحسن نعمة الله عليكم تُرى من بين أخضر ، وأحمر ، وأصفر ، وفي الرحال وما فيها .

وكان يقول إذا صف الناس للصلاة ، وصفوا للقتال :

فتحت أبواب السماء ، وأبواب الجنة ، وأبواب النار ، وزُيِّنَ الحورُ العين ، واطلعن ، فإذا أقبل الرجل قلن : اللهم انصره ، وإذا أدبر احتجبن منه ، وقلن : اللهم اغفر له ، فأنهِكوا وجوه القوم ، فدى لكم أبي وأمي ، ولا تخزوا الحور العين ، فإن أول قطرة تنضح من دمه يكفِّر الله عنه كل شيء عمله ، وتنزل إليه زوجتان من الحور العين ، تمسحان التراب عن وجهه ، وتقولان : قد أنى لك ، ويقول : قد آن لكما ، ثم يكسى مائة حلة ليس من نسج بني آدم ، ولكن من نبت الجنة لو وضعت بين أصبعين لوسعته .

وكان يقول : نُبئت أن السيوف مفاتيح الجنة » .

٧٣ـ ألف لجوار عبد الله :

جاء في كتاب « المكارم والمفاخر » لأبي بكر الخوارزمي : (ص ٢٣) ما نصه :

« كان لعبد الله بن المبارك جارٌ يهودي ، فأراد أن يبيع داره ، فقيل له : بكم تبيع ؟ قال : بألفين .

فقيل له : لا تساوي إلاَّ ألفاً .

قال : صدقتم ، ولكن ألف للدار ، **وألف لجوار عبد الله** .

فأُخبر ابن المبارك ، فدعاه فأعطاه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها » .

٧٤ـ الصلاةُ تُنتَظَرُ ولا تَنتَظِر :

جاء في الضميمة الملحقة بآخر كتاب « الولاة والقضاة لمصر » للكندي (ص ٥٢٦) عن « رفع الإصر عن قضاة مصر » للحافظ ابن حجر رحمه الله في ترجمة الإمام المحدث الفقيه القاضي علي بن الحسين بن حرب البغدادي المكنى بأبي عبيد المتوفى سنة ٣١٩ هـ ما نصه :

« قال ابن زُولاق :

وسكن أبو عبيد أوَّل ما دخل مصر : دار إسماعيل بن إسحاق ، عند مسجد ابن عَمْرُوس ، ثم انتقل إلى دار المدائني ، وكان إذا سمع الأذان خرج إلى الصلاة ، فربما وجَدَ الإمام صلَّى أو سبقه بشيء من الصلاة ، فكان يُرسل إليه أن ينتظره ، فلما تكرر منه ذلك ، قال له الإمام :

الصلاةُ تُنتَظَر ولا تَنتَظِر .

فبحَثَ القاضي عنه فأثنوا عليه خيراً ، فقَرَّبَهُ وأدناه وصَيَّره من شُهُوده » .

٧٥ـ استأجر زورقاً لتشميت عاطس :

جاء في شرح العلامة الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة (ص ٢٩٠) تعليقاً على حديث أنس في تشميت العاطس ما نصه :

« قد ورد عن أبي داود صاحب « السنن » أنه كان في سفينة ، فسمِعَ عاطساً على الشَّطِّ حَمِدَ الله تعالى ، فاكتَرى زَوْرَقاً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمَّتَهُ ، فسُئل عن ذلك ؟

فقال : لعله يكون مُجابَ الدعوة .

فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول :

يا أهل السفينة ، إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم » .

٧٦ـ انظر من أين تأكل :

جاء في « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني (٧/ ٧٠) في ترجمة الإمام الورع الفقيه أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال وكيع :

رؤي سفيان يأكل الطباهج وقال :

إني لم أنهكم عن الأكل ، ولكن انظر من أين تأكل ، وارتحل وانظر على

من تدخل ، وتكلم وانظر كيف تتكلم ، وكيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول :

﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ ﴾ [الأعراف : ٣١] » .

٧٧ـ متى يُفلحُ من كان يسرُّه ما يضرُّه ؟ :

جاء في « سير أعلام النبلاء » للذهبي رحمه الله (١١/ ٥٠٠) في تعليقة رائعة للإمام الذهبي على حديث « الدين النصيحة » ما نصه :

وقال :

فتأمل هذه الكلمة الجامعة ، وهي قوله : « الدِّينُ النصيحةُ » ، فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعامَّة ، كان ناقصَ الدين ، وأنت لو دُعيتَ : يا ناقص الدين ، لغضبت! فقل لي : متى نصحت لهؤلاء ؟ كلا والله ، بل ليتك تسكت ، ولا تنطِق ، أو لا تُحسِّن لإمامك الباطل ، وتجرئه على الظلم وتغشه ، فمن أجل ذلك سقطت من عينه ، ومن أعين المؤمنين ، فبالله قل لي :

متى يُفلحُ مَنْ كان يسرُّه ما يضرُّه ؟ ومتى يُفلح من لم يراقب مولاه ؟ ومتى يُفلح من دنا رحيله ، وانقرض جيلُه ، وساء فعله وقيله ؟ فما شاء الله كان ، وما نرجو صلاح أهل الزمان ، ولكن لا ندع الدعاء ، لعل الله أن يلطف ، وأن يصلحنا ، آمين » .

٧٨ـ ما ظننت آدمياً يلد مثلك :

جاء في « تهذيب التهذيب » : (١١/ ٢١٢) ، و « معجم الأدباء » : (١/ ١٥) ، و « تاريخ بغداد » : (١٤/ ١٥٢) ، و « وفيات الأعيان » : (٦/ ١٧٩) في ترجمة الإمام النحوي يحيى بن زياد أبو زكريا الأسلمي ، المعروف بالفراء رحمه الله ما نصه :

« عن عبد الله بن الوليد صعوداً قال :

كان محمد بن الحسن ـ يعني الشيباني ـ يجالسه الفراء ، فكان الفراء عنده يوماً ، فقال الفراء :

قَلَّ رجل أمعن النظر في فن من العلم إلاَّ سَهُلَ عليه غيره .

فقال له محمد :

فأنت الآن قد أمعنت النظر في العربية ، فنسألك عن مسألة من الفقه .

فقال : هاتِ .

قال : ما تقولُ في رجل صلَّى فَسَها ، فسجدَ فسَها في السجود ؟

فأفكر ساعة فقال :

لا شيء عليه ، قال : ولِمَ لا ؟

قال : لأن المُصغَّر عندنا لا يُصغَّر ، وأما السجدتان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام .

فقال له محمد : ما ظننت آدمياً يلد مثلك » .

٧٩ـ إن الأطباء هم العلماء وهم مرضى :

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله (٣/ ٦٣) عبارات رائعة أورد نصها :

« إن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله ، ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه ، وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه ، فإن دواءه مخالفة الشهوات ، وهو نزع الروح ، فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه ، لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه ، فإن **الأطباء هم العلماء** ، وقد **استولى عليهم المرض** ، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه ، فلهذا صار الداء عضالاً ، والمرض مزمناً ، واندرس هذا العلم ، وأنكر طب القلوب ، وأنكر مرضها . . . » .

٨٠ـ العزيمة للرجال والرخصة للصبيان :

جاء في كتاب « الفتح الرباني » المجلس ٦١ للإمام الفقيه الزاهد الرباني عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الشيخ عبد القادر رحمه الله :

عليكم بالعزيمة والإعراض عن الرخصة ، من لزم الرخصة وترك العزيمة خيف عليه من هلاك دينه ، **العزيمة للرجال لأنها الأشق والأمر ، والرخصة للصبيان والنسوان لأنها الأسهل** » .

٨١ـ ولو أن أهل العلم صانوه صانهم :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله : (١١/ ٣٥٤) في ترجمة القاضي الفقيه الشاعر علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ أبياتٌ شعرية رائعة للقاضي الجرجاني رحمه الله ما نصه :

« يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنّما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحجما
أرى الناسَ مَنْ داناهُم هانَ عندهم ... ومن أكرمتهُ عزة النفس أُكرما
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما ... بدا طمعٌ صيرتهُ لي سلماً
إذا قيل هذا مطمعٌ قُلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتملُ الظَّما
ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلم مهجتي ... لأخدِمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذِلَّةً ... إذاً فاتِّباعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوه صانهم ... ولو عظَّموهُ في النفوسِ لعُظِّما
ولكن أهانوهُ ، فهان ، ودَنَّسوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتى تجهَّما »

٨٢ـ أوقد بلغ بك الغضب كل هذا ؟ :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي : (١٣/ ٥٢٣) في ترجمة التابعي الجليل الفقيه عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عمرو العدوي المدني ما نصه :

« قال أبو حازم :

كان بين عاصم بن عُمر وبين رجلٍ من قريش درء في أرض ، فقال القرشي لعاصم : فإن كنتَ صادقاً فادخُلها .

فقال عاصم : أو قد بلغ بك الغضب كل هذا ؟ هي لك .

فقال القرشي : سبقتني ، بل هي لك ، فتركاها ، لا يأخذها واحد منهما ، حتى هلكا ، ثم لم يَعرِضْ لها أولادُهما » .

٨٣ـ أبلغك أنَّا نبيع العلم ؟ :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي : (١/ ٣٥٦) برقم : ٨٢٩ ما نصه :

« عن حفص بن غياث قال :

بعث العباس بن موسى أمير الكوفة إلى الأعمش بألف درهم وصحيفة ، فقال :

اكتب لي فيها من حديثك .

فأخذ الألف درهم ، وكتب له فاتحة الكتاب ، فبعث بها إليه .

فبعث إليه :

أبلغك أنَّا لا نُحسِنُ القرآن ؟

فبعث إليه :

أبلغكَ أنَّا نبيعُ العلم ؟ » .

٨٤ـ الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن ظفر المكي : (ص ١٤٤) ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي : (٣/ ٧٢) ما نصه :

« قال سهل بن عبد الله التستري :

كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً :

ألا تذكر الله الذي خلقك ؟

فقلت : كيف أذكره ؟

فقال : قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي .

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته ، فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلته ، فوقع في قلبي حلاوته ، فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتُك ، ودم عليه إلى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سرِّي .

ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، من كان الله معه ، وناظراً إليه ، وشاهده أيعصيه ؟ إياك والمعصية ، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب ، فقلت : إني لأخشى أن يتفرق علي همي ، ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع .

فمضيت إلى الكُتَّاب ، فتعلمت القرآن وحفظته ، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة » .

٨٥ـ كأني والله أخاطب بذلك دون الناس :

جاء في كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي : (٣/ ٣٧٦) ما نصه :

« قال الأصمعي :

دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه تنحدر على خديه ، فظللت قائماً حتى سكن ، وحان منه التفاتة فقال :

اجلس يا أصمعي ، أرأيتَ ما كان ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا .

ورمى بقرطاس فإذا فيه شعر لأبي العتاهية بخط جليل وهو :

هل أنت معتبر بمن خليت ... منه غداة مضى دساكره

وبمن أذل الموت مصرعه ... فتبرأت منه عشائره

وبمن خلت منه أسرته ... وبمن خلت منه منابره

أين الملوك وأين غيرهم ؟ ... صاروا مصيراً أنت صائره

يا مؤثر الدنيا بلذته ... والمستعد لمن يفاخره

نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا ... فإن الموت آخره

ثم قال الرشيد : كأني والله أُخاطب بذلك دون الناس » .

٨٦ـ ما آدب هذا الفتى وأحسن مروءته :

جاء في « الطبقات الكبرى » لابن سعد : (٥/ ٢٢٤) ، في ترجمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم رحمهما الله تعالى ما نصه :

« كان معاوية بن أبي سفيان جالساً يوماً ومعه عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فمر بهما عبد الملك بن مروان ، فقال معاوية :

ما آدب هذا الفتى وأحسن مروءته!

فقال عمرو بن العاص :

يا أمير المؤمنين ، إن هذا الفتى أخذ بخصال أربع ، وترك خصالاً ثلاثاً :

أخذ بحسن الحديث إذا حدَّث ، وحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وحسن البِشْر إذا لقي ، وخفة المؤونة إذا خولف .

وترك من القول ما يعتذر منه ، وترك مخالطة اللئام من الناس ، وترك ممازحة من لا يوثق بعقله ولا مروءته » .

٨٧ـ رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد :

جاء في كتاب « سمط النجوم العوالي » لعبد الملك العصامي رحمه الله تعالى : (٣/ ١٧٥) ما نصه :

« قال عبد الله بن عبد الملك : قال لي الوليد ـ يعني ابن عبد الملك الخليفة الأموي ـ :

كيف أنت والقرآن ؟

قلت : يا أمير المؤمنين أختمه كل جمعة .

قلت : فأنت يا أمير المؤمنين ؟

قال : كيف مع الاشتغال . قلت : على ذلك .

قال : في كلِّ ثلاثة أيام .

قال : فذكرت ذلك لابن أبي عبلة ، فقال : كان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة .

قال ضمرة : سمعت إبراهيم بن أبي عبلة يقول :

رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد ، فتح الهند والسند والأندلس وغيرها ، وبنى مسجد النَّبي ﷺ ووسَّعه ، وبنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة أُقسِّمها على فقراء بيت المقدس » .

٨٨ـ والله لا أعود لمثلها :

جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله تعالى : (٩/ ٣٦٦) في ترجمة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى ما نصه :

« شتم مرة رجلاً من الأشراف فقال :

أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض ؟

فاستحيا وقال : اقتص مني بدلها أو قال بمثلها .

فقال : إذاً أكون سفيهاً مثلك .

قال : فخذ عوضاً .

قال : لا أفعل .

قال : فاتركها لله .

قال : هي لله ثم لك .

فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها » .

٨٩ـ لتَلِيَنَّ طائعاً أو مكرها :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي : (ص ٢٤٩) في ترجمة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك رحمه الله ما نصه :

« عن إبراهيم بن أبي عَبْلَةَ قال :

أراد هشام بن عبد الملك أن يوليني خراج مصر ، فأبيت ، فغضب حتى اختلج وجهه ، وكان في عينيه حول ، فنظر إليَّ نظر منكر ، وقال : لتَلِيَنَّ طائعاً ، أو لتلِيَنَّ كارهاً ، فأمسكت عن الكلام حتى سكن غضبه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتكلم ؟

قال : نعم .

قلت : إن الله قال في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] فوالله يا أمير المؤمنين ، ما غضب عليهم إذ أبين ، ولا أكرههن إذ كرهن ، وما أنا بحقيق أن تغضب علي إذا أبيت ، وتكرهني إذا كرهت .

فضحك وأعفاني » .

٩٠ـ غضب الأمير أهون من غضب الله :

جاء في « العقد الفريد » لابن عبد ربه : (٤/ ٢٥) ما نصه :

« دخل جامع المحاربي على الحجاج ـ وكان جامع شيخاً صالحاً خطيباً لبيباً جريئاً ، وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط : بنيتها في غير بلدك ، وتورثها غير ولدك ـ فجعل الحجاج يشكو له سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم ، فقال جامع :

أما إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنؤوك لنسبك ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

فقال الحجاج :

ما أرى أن أردَّ بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف .

قال جامع : إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار .

قال الحجاج : الخيار يومئذ لله .

قال جامع : أجل ، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله .

قال الحجاج : إنك من محارب يا هناه .

قال جامع :

وللحـرب سُمينـا وكنـا محـاربـاً إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

قال الحجاج :

والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك .

قال جامع :

إن صدقناك أغضبناك ، وإن غششناك أغضبنا الله ، **وغضب الأمير أهون علينا من غضب الله** .

قال الحجاج : أجل ، وسكت » .

٩١ـ نصحتك إذ غشوك :

جاء في « خزانة الأدب » : (٢/ ٢٢٦) ما نصه :

« قدم عقيبة الأسدي على معاوية ، ورفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

معـاويّ إننـا بشـر فـاسجـح — فلسنـا بـالجبـال ولا الحـديـد

أكلتـم أرضنـا فجـردتمـوهـا — فهـل مـن قـائم أو مـن حصيد ؟

أتطمـع بـالخلـود إذا هلكنـا — وليس لنـا ولا لـك مـن خلـود ؟

فهبنـا أُمـة هلكـت ضيـاعـاً — يـزيـد أميـرهـا وأبـو يـزيـد

فدعا به معاوية فقال : ما جرَّأكَ عليَّ ؟

قال : **نصحتك إذ غشوك** ، وصدقتك إذ كذبوك .

فقال : ما أظنك إلا صادقاً ، وقضى حوائجه » .

٩٢ـ أطيب الناس عيشاً :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله تعالى : (١٠/ ٣٥١) و « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (ص ٣٥٣) في ترجمة الخليفة العباسي المتوكل على الله ـ جعفر بن المعتصم بن الرشيد ـ المتوفى سنة ٢٤٧ هـ رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الفتح بن خاقان ـ وزير المتوكل ـ : دخلت يوماً على المتوكل ، فإذا هو مُطْرِقٌ مُفكِّر ، فقلت : يا أمير المؤمنين مالك مُفكِّر ؟ فوالله ما على الأرض **أطيبُ منك عيشاً** ، ولا أنعمُ منك بالاً .

قال : بلى أطيبُ مني عيشاً رجل له دارٌ واسعة ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فنؤذيه ، ولا يحتاجُ إلينا فنزدريه » .

٩٣ـ كن ملكاً في الدنيا والآخرة :

جاء في « تاريخ الإسلام » للذهبي رحمه الله : (٥/ ١٥٩) في ترجمة محمد بن واسع التابعي الجليل رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال رجل لمحمد بن واسع التابعي البصري :

أوصني .

قال : **أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة** .

قال : كيف هذا ؟

قال : ازهد في الدنيا » .

٩٤ـ أصول السعادة ودستور الأعمال :

جاء في كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن القيم رحمه الله تعالى : (٢/ ١٦٠ـ١٦١) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٥ـ٦] ما نصه :

« قال رحمه الله مبيناً أن للفعل المشروع الناجح ثلاثة شروط :

ـ العبد إذا عزم على فعل أمر فعليه أن يعلم أوّلاً هل هو طاعة لله أم لا ؟ فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلا أن يكون مباحاً يستعين به على الطاعة ، وحينئذ يصير طاعة .

ـ فإذا بان له أنه طاعة فلا يُقدِمُ عليه حتى ينظُرَ هل هو مُعانٌ عليه أم لا ؟ فإن لم يكن معاناً عليه فلا يُقدِمَ عليه ، فيُذِلَّ نفسه ، وإن كان معاناً عليه بقي عليه نظرٌ آخر .

ـ وهو أن يأتيه من بابه ، فإن أتاه من غير بابه أضاعه ، أو فرَّط فيه ، أو أفسد منه شيئاً .

فهذه الأمور الثلاثة ـ الطاعة والإعانة والهداية ـ أصل سعادة العبد وفلاحه ، وهو معنى قول العبد لربه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٥ـ٦] .

فأسعد الخلق أهلُ العبادة ، والاستعانة ، والهداية إلى المطلوب ، وأشقاهم من عدم الأمور الثلاثة .

ومنهم : من يكون له نصيب من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، ونصيبه من ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] معدوماً أو ضعيفاً ، فهذا مخذول مهين محزون .

ومنهم : من يكون نصيبه من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة : ٥] قوياً ، ونصيبه من ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ضعيفاً أو مفقوداً ، فهذا له نفوذ وتسلُّط وقوة ، ولكن لا عاقبة له ، بل عاقبتُه أسوأ عاقبة .

ومنهم : من يكون له نصيب من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، ولكن نصيبه من الهداية إلى المقصود ضعيف جداً ، كحال كثير من العبَّاد والزهَّاد الذي قلَّ علمهم بحقائق ما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق » .

٩٥ـ لا تمكن زائغ القلب من أذنيك :

جاء في كتاب « الجامع » للإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى : (ص ١٢٠) ما نصه :

« قال الإمام مالك :

كان يقال : لا تُمكِّنْ زائغ القلب من أذنيك ، فإنك لا تدري ما يُعلِّمُكَ من ذلك !

ولقد سمعَ رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئاً من بعض أهل القدر ـ يعني سمعَ كلاماً من بعض المبتدعة ـ فعلق قلبه ، فكان يأتي إخوانه الذين يَسْتَنصِحَهُم ، فإذا نَهَوْهُ قال : فكيف بما علق قلبي ؟! ولو علمت أن الله يرضى أن ألقي بنفسي من فوق هذه المنارة فعلت » .

٩٦ـ هذا أول من فتق لساني بذكر الله :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي (ص ٣٤٤) في ترجمة الخليفة العباسي الواثق بالله هارون بن المعتصم بن الرشيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال أحمد بن حمدون :

دخل هارون بن زياد مؤدب الواثق إليه ، فأكرمه إلى الغاية ، فقيل له : من هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به هذا الفعل ؟

فقال : هذا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله » .

٩٧ـ صور من الإيثار :

جاء في كتاب « الجهاد » لابن المبارك : (١٣٢/١) ، وكتاب « الزهد » لابن المبارك : (ص ١٨٥) ما نصه :

« عن أبي الجهم بن حذيفة العدوي قال :

انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شنة من ماء ، فقلت : إن كان به رمق سقيته من الماء ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به ينشغ ، فقلت : أسقيك ؟

فأشار أي نعم ، فإذا برجل يقول : آه .

فأشار ابن عمي أن أنطلقَ إليه ، فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأتيته .

فقلت : أسقيك ؟

فسمع آخر يقول : آه .

فأشار هشام أن أنطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، ثم رجعت إلى هشام ، فإذا هو قد مات ، ثم أتيت ابن عمي ، فإذا هو قد مات ، رحمة الله عليهم » .

٩٨ـ أنا أحق أن آتيك :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي : (١٥٨/١ـ١٥٩) برقم : ٢١٥ ، ما نصه :

« عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لمّا قُبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار : هَلُمَّ ، فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير .

قال : واعجباً لك يا ابن عباس ، أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم ؟

قال : فترك ذاك ، وأقبلتُ أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فآتي بابه وهو قائل ، فأتوسَّد ردائي على بابه ، تسفي الريح عليَّ من التراب ، فيخرج فيقول :

يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ؟ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟

فأقول : أنا أحق أن آتيك .

فأسأله عن الحديث . قال : فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني .

فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني » .

٩٩ـ وقرنا في الملا ، وعلمنا في الخلا :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان : (٣/ ١٧٢ـ١٧٣) في ترجمة العلامة النحوي الاخباري عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي الباهلي رحمه الله ، ما نصه :

« عن الأصمعي قال :

دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل ، فقال :

يا أصمعي ، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا!

قلت : والله يا أمير المؤمنين ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك ؟

قال : فأمرني بالجلوس ، فجلست وسكت عني ، فلما تفرق الناس إلا أقلَّهم نهضت للقيام ، فأشار إليَّ أن أجلس ، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان .

فقال : يا أبا سعيد ، ما معنى قولك ما لاقتني بلاد بعدك ؟

قلت : ما أمسكتني يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كفَّاكَ كفٌّ ما تليق درهماً جوداً ، وأخرى تعط بالسيف دماً

أي : ما تمسك درهماً .

فقال : أحسنت ، وهكذا فكن ، وقرنا في الملا ، وعلمنا في الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً ، إما أن أسكتَ فيعلم الناسُ أني لا أفهم إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم مَنْ حولي أني لم أفهم ما قلت .

قال الأصمعي : فعلَّمني أكثر مما علَّمتُه » .

١٠٠ـ نصائح ثمينة :

جاء في كتاب « معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان » لأبي زيد الدباغ : (١/ ٢٨٣) في ترجمة الإمام الصوفي أبي علي شُقران بن علي القيرواني رحمه الله ، ما نصه :

« أن ذا النون المصري ـ رحمه الله ـ لمَّا رحل إليه لينتفع بصحبته وكلامه ، لازم بابه سبعين يوماً ، ثم أراد الرجوع إلى بلده ، فطلب منه النصيحة والموعظة ، فقال له شقران رحمه الله تعالى :

اعلم يا هذا : أن الزاهد في الدنيا قُوتُه ما وَجَد ، ومسكنُه حيث أدركَ ، ولباسُه ما ستَرَ ، والخلوةُ مجلسُهُ ، والقرآنُ حديثُه ، والله العزيز الجبار أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزُّهد قرينُهُ ، والصَّمتُ محبَّتُهُ ، والخوفُ محجَّتُهُ ، والشَّوقُ مطيَّتُهُ ، والنصيحةُ هِمَّتُهُ ، والاعتبارُ فكرتُهُ ، والصَّبرُ وِسادُهُ ، والتُّرابُ فِراشُهُ ، والصِّدِّيقونَ إخوانُهُ ، والحكمةُ كلامُهُ ، والعقلُ دليله ، والحلم خليله ، والتوكّل كسبه ، والجوع إدامه ، والله عَونُهُ .

قال ذو النون : فقلت له : يرحمُكَ الله ، بم تتبيَّنُ الزيادةُ للعبد في هذا المكان ؟

فقال : بالمحاسبة للنفس ، والمناقشة لها ، حَسْبُكَ الآن حَسْبُكَ .

قال ذو النون : وسمعته يقول في بعض مواعظه :

من توكَّل استغنى ، ومن لم يتوكَّل تعِبَ ، ومن شكرَ كُوفِيَ ، ومن رضيَ عُوفِيَ ، والنَّظرُ إلى الظَّلَمَةِ آفةُ التَّحقيق ، والهجرُ لهم أوَّلُ الطريق » .

١٠١ـ كان أحبَّ إليَّ أن لا أسمع كلامه :

جاء في « الطبقات الكبرى » لابن سعد : (٧/ ١٩٧) في ترجمة الإمام الكبير والتابعي الفقبيه الجليل (محمد بن سيرين البصري) رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن ابن عون ، قال :

جاء رجل إلى محمد بن سيرين ، فذكر له شيئاً من القَدَر .

فقال محمد بن سيرين :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

قال : ووضع ـ ابن سيرين ـ أصبعي يديه في أذنيه ، وقال :

إما أن تخرج عني ، وإما أن أخرج عنك!

فقال : فخرج الرجل .

فقال ابن سيرين : إنَّ قلبي ليس بيدي ، وإني خفت أن ينفُثَ في قلبي شيئاً فلا أقدِرُ أن أُخرجَهُ منه ، فكان أحبُّ إليَّ أن لا أسمع كلامه » .

١٠٢ـ لا أبيع جوار عبد الله بن ظاهر بالدنانير :

جاء في كتاب « المكارم والمفاخر » لأبي بكر الخوارزمي رحمه الله ، ما نصه :

« قال :

كانت عجوز في جوار عبد الله بن طاهر ـ أمير خراسان في العهد

العباسي ـ ولها أربعُ بنات ، فقيل لها :

أنت فقيرة ، فلو بعتِ دارك وتوسَّعتِ بها على نفسك وعيالك ؟!

فقالت : نعم ، غير أني لا أبيع جوار عبد الله بن طاهر بالدنانير .

فانتهى إليه الخبر ، فدعا عبد الله دلاَّلَة النساء ، وقال لها :

إن لي أربع بنات ، فاطلبي أزواجاً كراماً لهن ، فجهزهنَّ كلَّ واحدةٍ بمئة ألف من خزانته » .

١٠٣ ـ هذه هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق :

جاء في مسند الإمام أحمد (٣/١١٦) بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ما نصه :

« عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

كُنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ ، فقال : يَطلُعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة ، فطَلَعَ رجل من الأنصار ، تنطُفُ لحيتُهُ من وَضوئِهِ ، قد علَّقَ نَعْلَيه بيده الشِّمال .

فلمّا كان الغدُ قال النّبي ﷺ مثل ذلك ، فطلَعَ ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليومُ الثالثُ ، قال النّبي ﷺ مثل مقالَتِهِ أيضاً ، فطلَعَ ذلك الرجل على مثل حالته الأولى . فلما قام النّبي ﷺ ، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لاحيت أبي ، فأقسمت أن لا أدخُلَ عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ، قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله يُحدِّثُ أنه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يرَهُ يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تعاد ، وتقلَّب على فراشه ، ذكر الله عز وجل وكبَّر ، حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلاَّ خيراً .

فلما مضت الليالي الثلاث ، وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكن سمعت

رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات : يطلُعُ عليكم الآن رجُلٌ من أهل الجنَّة ، فطلَعْتَ أنت الثلاث مرات .

فأردت أن آوي إليك لأنظرَ ما عملك ؟ فأقتدي بك ، فلم أركَ تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : ما هو إلا ما رأيتَ ، فلما وليتُ دعاني ، فقال :

ما هو إلا ما رأيتَ ، غير أني لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً ، ولا أحسدُ أحداً على خيرٍ أعطاه الله إيَّاه .

فقال عبد الله :

هذه هي التي بَلَغَتْ بك ، وهي التي لا نطيق » .

١٠٤ـ أنا أخشى من همَّة أبي عمرو :

جاء في « طبقات الشافعية الكبرى » للتاج السبكي : (٣/ ٢٢٣) في ترجمة العالم العابد الزاهد المحدِّث شيخ الصوفية في زمانه أبي عمرو بن نجيد (إسماعيل بن نُجيد السُلمي النيسابوري رحمه الله تعالى) ، ما نصه :

« ذكر الحاكم أنه سمعَ أبا سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان يذكرُ أن جده أبا عثمان ـ الحيري ـ طلب شيئاً لبعض الثغور ـ جمع ثغر ـ ويقال له : الرباط أيضاً ، وهو المبنى الذي يكون عند باب البلد ، يقيم فيه المرابطون : العُبَّاد والزُّهَّاد والعلماءُ والمجاهدون المتصدُّون لصدِّ العدو إذا داهَمَ البلد ـ فتأخر عنه ـ الإمداد بالمال ، فضاق صدره ، وبكى على رؤوس الناس! فأتاه أبو عمرو بن نجيد بعد العتمة بكيس فيه ألفا درهم ، ففرح به أبو عثمان ، ودعا له ، ولما جلس ـ صباح تلك الليلة ـ في مجلسه ، قال : يا أيها الناس ، لقد رَجوتُ لأبي عمرو ـ الأجر والثواب الجزيل ـ فإنه ناب عن الجماعة في ذلك الأمر ، وحمل كذا وكذا ، فجزاه الله عني خيراً .

فقام أبو عمرو على رؤوس الأشهاد ، وقال :

إنما حملت ذلك من مال أمي ، وهي غير راضية ، فينبغي أن تردَّه عليَّ ، لأردَّهُ عليها .

فأمر أبو عثمان بذلك الكيس فأُخرجَ إليه ، وتفرق الناس .

فلما جنَّ الليل ، جاء أبو عمرو إلى أبي عثمان في مثل ذلك الوقت ، وقال : يُمكِنُ أن تجعل هذا في مثل ذلك الوجه ، من حيث لا يعلم به غيرنا ، فبكى أبو عثمان! وكان بعد ذلك يقول :

أنا أخشى من هِمَّةِ أبي عمرو » .

١٠٥ـ ذهني مع عباد الله :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن مظفر المكي : (ص ١٦٠) ، ما نصه :

« بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله لما بلغ من العمر خمس سنوات أسلمه أبوه إلى المؤدب ، فابتدأ بتلقين القرآن وكان لَقِناً ، فلما تعلم سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الدهر : ١] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط مفكراً يشير بيده ، فخافت على عقله فنادته : قم يا داود فالعب مع الصبيان .

فلم يجبها فضمته إليها ودعت بالويل .

فقال : ما لك يا أُماه أبِكِ بأس ؟

قال : أين ذهنك ؟

قال : مع عباد الله . قالت : أين هم ؟

قال : في الجنة . قالت : ما يصنعون ؟

قال : ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان : ١٣] .

ثم مر في السورة وهو شاخص كأنه يتأمل شيئاً حتى بلغ قوله : ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان : ٢٢] .

ثم قال : يا أُماه ما كان سعيهم ؟ فلم تدر ما تجيبه .

فقال لها : قومي عني حتى أتنزه عندهم ساعة .

فقامت عنه ، فأرسلت إلى أبيه فأعلمته شأن ولده ، فقال له أبوه : يا داود! كان سعيهم أن قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فكان يقولها في أكثر أوقاته » .

١٠٦ـ إنه أعيانا فراراً :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه رحمه الله تعالى : (٣/ ١٦٥) ، ما نصه :

« لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف ، وسفيان لا يعرفه ، فضرب بيده على عاتقه وقال : أتعرفني ؟

قال : لا ، ولكنك قبضت عليَّ قبضة جبار .

قال : عظني أبا عبد الله .

قال : وما عملت فيما علمت فأعظكَ فيما جهلت .

قال : فما يمنعك أن تأتينا ؟

قال : إن الله نهى عنكم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] .

ثم التفت إلى أصحابه فقال :

ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان **فإنه أعيانا فراراً** » .

١٠٧ـ أقرأ عليكم السلام :

جاء في « صحيح مسلم » كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة ، حديث رقم : ١٩٠٢ ، ما نصه :

« عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال :

سمعت أبي - وهو بحضرة العدو - يقول : قال رسول الله ﷺ :

« إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » .

فقام رجل رث الهيئة فقال :

يا أبا موسى ، أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟

قال : نعم ، فرجع إلى أصحابه .

فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب حتى قُتل » .

١٠٨ـ إنها لحياة طويلة :

جاء في « صحيح مسلم » كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، حديث رقم : ١٩٠١ ، ما نصه :

« عن أنس رضي الله عنه قال :

انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ :

« لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه » .

فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ :

« قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

قال عمير بن الحمام : يارسول الله ! جنة عرضها السموات والأرض ؟

قال : « نعم » ، قال : بخ بخ .

فقال رسول الله ﷺ :

« ما يحملك على قولك : بخ بخ ؟ » .

قال : لا والله يارسول الله ، إلا رجاءَ أن أكون من أهلها .

قال : « فإنك من أهلها » .

فأخرج تمرات من قَرَنِه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال :

إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه » .

١٠٩ـ أفضل الأصحاب من حض صاحبه على المكارم :

جاء في كتاب « نهاية الأرب » : (٦/ ٦٣) ، و « قصص العرب » (١/ ٢٩٦) ، ما نصه :

« كان محمد بن حميد الطوسي على غداته مع جلسائه ، وإذا بصيحة عظيمة على باب داره ، فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه : ما هذه الضجة ؟ من كان على الباب فليدخل .

فخرج الغلام ، ثم عاد إليه ، وقال :

إن فلاناً أُخذ وقد أُوثق بالحديد ، والغلمان ينتظرون أمرك فيه .

فرفع يديه من الطعام ، فقال رجل من جلسائه :

الحمد لله الذي أمكنك من عدوك ، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه .

وأشار كل من جلسائه عليه بقتله على صفة اختارها ، وهو ساكت .

فأُدخل رجل لا دَمَ فيه ، فلما رآه هشَّ إليه ، ورفع مجلسه ، وأمر بتجديد الطعام ، وبسطه بالكلام ، ولقَّمه (اعتنى بطعامه) حتى انتهى الطعام ، ثم أمر له بكسوة حسنة ، وصلة ، وأمر برده إلى أهله مُكرماً ، ولم يعاتبه على جرم ولا جناية .

ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم :

إن أفضل الأصحاب من حض الصاحب على المكارم ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ، وحسن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه ، والإساءة بصفحه ، وأنا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء ، فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح من الظفر ؟!

إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمسك إلا عن قول سديد وأمر رشيد ، فإن ذلك أدوَمُ للنعمة وأجمعُ للألفة ، إن الله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿... ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] » .

١١٠ـ ذلك أعظم في الحجة عليك :

جاء في « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي : (٢/ ٣٤٨) ، و « العقد الفريد » لابن عبد ربه : (١/ ١٤٢) ، ما نصه :

« دعا الحجاج يوماً فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة ، فدخلوا عليه ، وكان الحسن البصري آخر من دخل .

فقال له الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ، إليَّ ، إليَّ .

ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد الحسن البصري عليه .

أخذ الحجاج يذاكرهم ويُسائلهم ، وبينما هم يتذاكرون ، مر ذكر علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ فنال منه الحجاج ، وتطوَّع بعض علماء السوء للنيل منه مقاربة للحجاج ، وفَرَقاً من شره ، والحسن البصري ساكت عاض على إبهامه ، فنظر إليه الحجاج وكأنه عز عليه سكوته وعدم خوضه معهم في هذا الحديث ، وقال له : ما لي أراكَ ساكتاً يا أبا سعيد ؟

فقال الحسن : ما عسيت أن أقول ؟

قال الحجاج : أخبرني برأيك في أبي تراب .

قال الحسن : سمعت الله جل ذكره يقول :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وعليٌّ ممن هدى الله من أهل الإيمان ، فهو ابن عم الرسول ، وختنه على ابنته ، وأحبُّ الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ، ولا يحول

بينه وبينها ، وأقول : إن كان لعليٍّ هنات فالله حسبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا .

فغضب الحجاج وامتقع لونه ، وقام عن سريره ، وفض المجلس .

قال عامر الشعبي : فأخذت بيد الحسن وقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره .

فقال : إليك عني يا عامر ، يقول الناس : عامر الشعبي عالم أهل الكوفة! أتيت شيطاناً من شياطين الإنس ، تكلمه بهواه ، وتقاربه في رأيه ، ويحك يا عامر ، هلا اتقيت الله إن سُئلت ، أو سكتَّ فسلمت .

قال عامر : يا أبا سعيد ، لقد قلتها وأنا أعلم ما فيها .

فقال الحسن : ذلك أعظم في الحجة عليك » .

١١١ـ الغادر مخذول ، والناكث مغلول :

جاء في « قصص العرب » : (٣/ ٨٠) ، ما نصه :

« قال عمرو بن حفص مولى الأمين :

دخلت على محمد الأمين في جوف الليل ، وكنت من خاصته ، أصلُ إليه ، حيث لا يصل إليه أحد من مواليه وحشمه ، فوجدته والشمع بين يديه وهو يفكر ، فسلَّمتُ عليه ، فلم يردَّ عليَّ ، فعلمتُ أنه في تدبير بعض أُموره ، فلم أزل واقفاً حتى مضى أكثر الليل ، ثم رفع رأسه إليَّ فقال :

أحضر لي خزيمة بن خازم ، فمضيتُ إليه فأحضرته ، فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل ، فسمعت خزيمة وهو يقول :

أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، ألا تكون أول الخلفاء نكث عهده ، ونقض ميثاقه ، واستخف بيمينه ، ورد رأي الخليفة قبله .

فقال :

اسكت ، لله أبوك ، فعبد الله بن حازم كان أفضل منك رأياً ، وأكمل نظراً حيث يجتمع فحلان في هجمة .

ثم جمع وجوه القواد ، فكان يعرض عليهم واحداً واحداً ما اعتزمه ، فيأبونه ، وربما ساعده قوم ، حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم وشاوره في ذلك ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، لم ينصحك من كذبك ، ولم يغشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك ، فإن الغادر مخذول ، والناكث مغلول » .

١١٢ـ زمانك محسوب عليك :

جاء في « المنتظم في تاريخ الأمم » لابن الجوزي رحمه الله : (٩/ ١٧٠) ، في ترجمة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله ، ما نصه :

« عن أبي منصور الرذاذ الفقيه ، قال :

دخل أبو حامد بغداد ، فقومنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار ، فلما تزهد وسافر ، وعاد إلى بغداد ، فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً .

وحدثني بعض الفقهاء عن « أنوشروان » وكان قد وزر للخليفة ، أنه زار أبا حامد الغزالي ، فقال له أبو حامد :

زمانك محسوب عليك ، وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي .

فخرج أنوشروان وهو يقول :

لا إله إلا الله ، هذا الذي كان في أول أمره يستزيدني فضل لقب من ألقابه ، فآل أمره إلى هذا الحال » .

١١٣ـ ليس من المروءة أن أزاحمهم :

جاء في « قلائد الجواهر » لمحمد بن يحيى التادفي رحمه الله تعالى (ص ٩) في ترجمة الإمام العابد القدوة الزاهد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال رحمه الله تعالى - يعني الشيخ الجيلاني - :

أقمت ببغداد عشرين يوماً ما أجد ما أقتات به ، ولا أجد مباحاً ، فخرجت إلى إيوان كسرى أطلب مباحاً ، فوجدت سبعين من الفقراء كلهم يطلبون ، فقلت :

ليس من المروءة أن أزاحمهم .

فرجعت إلى بغداد ، فلقيني رجل لا أعرفه ، من أهل بلدي ، فأعطاني قراضة ، وقال :

هذه بعثت بها أمك إليك معي ، فأخذت منها قطعة واحدة تركتها لنفسي ، وأسرعت بالباقي إلى خراب الإيوان ، وفرغت القراضة على أولئك السبعين .

فقالوا : ما هذا ؟ قلت : إنه قد جاءني هذا من عند أُمي ، وما رأيت أن أختص به دونكم .

ثم رجعت إلى بغداد واشتريت بالقطعة التي معي طعاماً ، وناديت الفقراء فأكلنا جميعاً » .

١١٤ـ والله لا أخذت من يدك شيئاً :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي : (ص ٣٨٥) في ترجمة الخليفة العباسي المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« ومن محاسن المقتدر ما حكاه ابن شاهين :

أن وزيره علي بن عيسى أراد أن يصلح بين ابن صاعد وبين أبي بكر بن أبي داود السجستاني .

فقال الوزير : يا أبا بكر ، أبو محمد أكبر منك ، فلو قمت إليه .

قال : لا أفعل .

فقال الوزير : أنت شيخ زيف .

فقال ابن أبي داود : الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله ﷺ .

فقال : من ؟ فقال : هذا .

ثم قام ابن أبي داود وقال :

تتوهم أني أذل لك لأجل أن رزقي يصل إليَّ على يَدِكَ ، **فوالله لا أخذت من يدكَ شيئاً أبداً** .

فبلغ المقتدر ذلك ، فصار يَزِنُ رِزْقَهُ بيده ، ويبعثُ به في طبق على يد الخادم » .

١١٥ـ بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ :

أورد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله في تعليقه على « رسالة المسترشدين » (ص ١٩٧ـ١٩٨) ، ما نصه :

« باع أبو الجهم سليمان بن الجهم الأنصاري الكوفي ، التابعيُّ الجليل ، داره بمئة ألف درهم ، ثم قال :

بكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟

قالوا : وهل يُشترى جوار قط ؟

قال : ردُّوا عليَّ داري وخذوا مالكم ، فإني والله لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عني ، وإن رآني رحب بي ، وإن غِبْتُ حفظني ، وإن شهدت قربني ، وإن سألته قضى حاجتي ، وإن لم أسأل بداني ، وإن نابتني الحاجة فرَّج عنِّي .

فبلغ ذلك سعيداً ، فبعث إليه بمئة ألف درهم » .

١١٦ـ أخشى أن أصيب فضلاً على المسلمين :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (ص ١١٩) ، ما نصه :

« عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

قَدِمَ على عمر مِسْكٌ وعَنْبَرٌ من البَحْرَيْن ، فقال عمر :

والله لوَدِدْتُ أنّي أجدُ امرأةً حسنةَ الوزنِ ، تَزِنُ لي هذا الطِّيبَ حتى أقسمَهُ بين المسلمين .

فقالت له امرأته عاتكة : أنا جيِّدةُ الوزن ، فهَلُمَّ أزِنُ لك .

قال : لا ، قالت : ولم ؟

قال : إنِّي أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا ، وأدخل أصابعه في صُدْغَيه ، وتمسحين به عنقك ، فأُصيبُ فضلاً على المسلمين » .

١١٧ـ ضع أصبعيك في أذنيك لئلا تسمع شيئاً :

جاء في كتاب « تلبيس إبليس » لابن الجوزي : (ص ١٢) ، و « تاريخ مدينة صنعاء اليمن » لأحمد بن عبد الله الرازي الصنعاني : (ص ٣٢٨) ، ما نصه :

« عن عبد الرزاق ، حدثنا معمر قال :

كان طاووس جالساً وعنده ابنه ، فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء ، فأدخل طاووس أصبعيه في أُذنيه وقال :

يا بني أدخل أصبعيك في أُذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً ، فإن هذا القلب ضعيف .

ثم قال : أي بُنيَّ اسدد ، فمازال يقول : اسدُدْ ، حتى قام الآخر » .

١١٨ـ ومن أحق بالبكاء مني :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان : (٤/ ١٣٦ـ١٣٧) في ترجمة الإمام الفقيه مالك بن أنس رحمه الله تعالى ما نصه :

« حدثني القعنبي ، قال :

دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمتُ عليه ، ثم جلست فرأيته يبكي ، فقلت :

يا أبا عبد الله ، ما يبكيك ؟

قال : فقال لي : يا ابن قعنَب ، وما لي لا أبكي ؟ ومن أحقُّ بالبكاء مني ؟ والله لوددت أني ضُرِبت لكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوطٍ سوط ، وقد كانت لي السَّعة فيما قد سُبِقْت إليه ، وليتني لم أُفت بالرأي . أو كما قال » .

١١٩ـ إن فضيلاً على الطريق يقطع علينا :

جاء في « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر : (٨/ ٢٩٤ـ٢٩٦) في ترجمة الإمام الزاهد العابد فضيل بن عياض التميمي اليربوعي الخراساني ثم المكي المتوفى سنة ١٨٧ هـ رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال أبو عماد الحسين بن حريث ـ تلميذ الفضيل ـ :

سمعت الفضل بن موسى يقول : كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبِيْوَرْدَ وسَرَخس! وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها ، إذ سمع تالياً يتلوا : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] فلما سمعها قال : بلى يا رب قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خربة ، فإذا بها سابلةٌ ـ أي جماعة من المارة واقفين فيها ـ فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح **فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا!**

قال : ففكرت وقلت :

أنا أسعى بالليل في المعاصي!! وقومٌ من المسلمين يخافونني هاهنا!! وما أرى الله ساقني إليهم إلاَّ لأرتدع ، اللهم إني قد تبت إليك ، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام ، وانتقل إلى مكة فنزلها وجاور فيها إلى أن مات بها .

قال إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل : ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل ، كان إذا ذُكرَ اللهُ عنده ، أو سمع القرآن ، ظهر به الخوف والحزن ، وفاضت عيناه فبكى حتى يرحمه من بحضرته .

قال رباح بن خالد : قال لي عبد الله بن المبارك : إذا نظرت إلى الفضيل ، جَدَّدَ لي الحزن ، ومقتُّ نفسي! ثم بكى » .

١٢٠ـ والله لا اتجرت للدنيا أبداً :

جاء في كتاب « أنباء نجباء الأبناء » لابن ظفر المكي رحمه الله تعالى : (ص ١٤٨) ، ما نصه :

« أن الحارث المحاسبي ـ وهو صبي ـ مَرَّ بصبيان يلعبون على باب رجل تمَّار ، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم ، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات .

فقال للحارث : كُلْ هذه التمرات .

قال الحارث : ما خبرك فيها ؟

قال : إني بعت الساعة تمراً من رجل فسقطت من تمره .

فقال : أتعرفه ؟ قال : نعم .

فالتفت الحارث إلى الصبيان الذين يلعبون وقال :

أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم ، فمرَّ وتركه .

فتبعه التمَّار حتى قبض عليه ، فقال :

والله ما تنفلت من يدي حتى تقول لي ما في نفسك مني .

قال : يا شيخ ، إن كنت مسلماً فاطلب صاحب التمرات حتى تتخلص من تباعته ، كما تطلب الماء إذا كنت عطشاناً شديد العطش ، يا شيخ تُطعم أولاد المسلمين السُّحتَ ـ أي الحرام ـ وأنت مسلم ؟! .

فقال الشيخ : **والله لا اتجرت للدنيا أبداً** » .

١٢١ـ خصال العالم والمتعلم :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى : (١/ ٣٤٣) برقم : ٧٨٤ ، ما نصه :

« قال الأصمعي رحمه الله تعالى :

إذا كانت في العالم خصال أربع ، وفي المتعلم خصال أربع ، اتفق أمرهما وتم ، فإن نقصت من واحد منهما خصلة لم يتم أمرهما .

أما اللواتي في العالم :

فالعقل ، والصبر ، والرفق ، والبذل .

وأما اللواتي في المتعلم :

فالحرص ، والفراغ ، والحفظ ، والعقل .

لأن العالم إن لم يحسن تدبير المتعلم بعقله ، خلط عليه أمره ، وإن لم يكن له صبر عليه مَلَّه ، وإن لم يرفق به ، بغض إليه العلم ، وإن لم يبذل له علمه لم ينتفع به .

وأما المتعلم : فإن لم يكن له عقل لم يفهم ، وإن لم يكن له حرص لم يتعلم ، وإن لم يفرّغ للعلم قلبه لم يعقل عن معلمه ، وساء حفظه ، وإذا ساء حفظه كان ما يكون بينهما مثل الكتاب على الماء » .

١٢٢ـ أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوء بوزرها :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي : (٣/ ٨٢) في ترجمة الخليفة الأموي معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« أنه لما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له :

اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك .

فقال : والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلد وزرها ، وتتعجلون أنتم حلاوتها ، وأتعجل مرارتها ، اللهم إني بريء منها ، متخلٍّ عنها .

اللهم إني لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلاً لها .

فقالت أمه : ليت أني خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام .

فقال لها : وليتني يا أماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر ، أتفوز بنو أمية بحلاوتها ، وأبوء بوزرها ومنعها أهلها ؟ كلا إني لبريء منها » .

١٢٣ـ إني أحذرك يوم ينادي المنادي :

جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله تعالى : (٦٦/٩) في ترجمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى ما نصه :

« وذات يوم أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذناً خاصاً ـ يعني لا يدخل إلا خاصة الناس ـ فدخل مع الناس شيخ رث الهيئة ، لم يأبه له الحرس ، فألقى أمام عبد الملك صحيفة ، وخرج ، فلم يدر أحد أين ذهب .

وأخذ عبد الملك الصحيفة ، فإذا فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

يا أيها الإنسان ، إن الله قد جعلك بينه وبين عباده ، فاحكم بينهم ﴿ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص : ٢٦] .

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤ـ٦] .

﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴾ [هود : ١٠٣ـ١٠٤] .

إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [النمل : ٥٢] .

وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [الصافات : ٢٢] ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ﴾ [هود : ١٨] .

فلما قرأه عبد الملك تغير وجهه ، فدخل دار حرمته ، ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياماً » .

١٢٤ـ أحببت أن أُحسن أدبه :

جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله تعالى : (٨/ ٣٣٨) في ترجمة الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما ما نصه :

« عن الأصمعي قال :

إن ابن الزبير دخل على معاوية فأمر ابناً له صغيراً فلطمه لطمة دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي : ادن مني ، فدنا منه ، فقال له : الطم معاوية .

قال : لا أفعل ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه أبي .

فرفع ابن الزبير يده ، فلطم الصبي لطمة جعل يدور منها كما تدور الدوامة .

فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجر عليه الأحكام ؟

قال : إنه والله قد عرف ما يضره مما ينفعه ، **فأحببت أن أُحسن أدبه** » .

١٢٥ـ واغوثاه بك يا حكم :

جاء في كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للشيخ أحمد بن المقري التلمساني رحمه الله : (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) في ترجمة الخليفة الأموي الأندلسي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى ما نصه :

« ومن بديع أخبار الحكم :

أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول :

واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كَلِب العدو علينا ، فأيَّمنا وأيتمنا .

فسألها عن شأنها ، فقالت : كنت مقبلة من البادية في رُفقة ، فخرجت علينا خيل العدو ، فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تَمَلْمَلْتُ في وادي الحجارة مُسْهَراً أُراعـي نجـومـاً مـا يُـرِدْنَ تغـوُّراً
إليك أبا العاصي نَضَيْتُ مَطيَّتي تسيـرُ بهـم سـاريـاً ومُهجِّـراً
تـدارك نسـاء العـالميـن بنصـرةٍ فـإنَّـكَ أحـرى أن تُغيـثَ وتَنصُـرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر ، واستصراخ المرأة باسمه ، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادي الحجارة ومعه الشاعر ، وسأل عن الخيل التي أغارت من أي أرض العدو كانت ، فأُعلم بذلك ، فغزا تلك الناحية وأثخن فيها ، وفتح الحصون ، وخرب الديار ، وقتل عدداً كثيراً ، وجاء إلى وادي الحجارة فأمر بإحضار المرأة وجميع من أُسِرَ له أحدٌ في تلك البلاد ، فأُحضر ، فأمر بضرب رقاب الأسرى بحضرتها ، وقال للعباس : سلها ، هل أغاثها الحكم ؟

فقالت المرأة ، وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله ، وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :

ألـم تـرَ يـا عبـاس أنـي أجبتُهـا على البعدِ أقتادُ الخميس المُظفَّرا
فـأدركـتُ أوطـاراً وبـرَّدْتُ غِلَّـةً ونفَّستُ مكروباً وأغنيتُ مُعسِرا

فقال عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين . وقبَّل يده » .

١٢٦ـ هل رأيت فقيهاً بعينك :

جاء في « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالى : (١/ ٣٢) ما نصه :

« قال :

ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على طريق الآخرة ، ومعرفة

دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلك عليه قوله عز وجل :

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

وما يحصل به الإنذار والتخويف ، هو هذا الفقه ، دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة ، فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسي القلب .

وقد سأل فرقد السبخي ، الحسن البصري عن شيء فأجابه ، فقال : إن الفقهاء يخالفونك .

فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك يا فريقد ، وهل رأيت فقيهاً بعينك ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع ، الكاف نفسه عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم .

ولم يقل في جميع ذلك : الحافظ لفروع الفتاوى ، ولست أقول : إن اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوى الظاهرة ، ولكن كان بطريق العموم والشمول » .

١٢٧ـ إخواني إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي :

جاء في « تهذيب الكمال » : (٣٧/٢٢) في ترجمة التابعي الجليل عمرو بن سعيد بن العاص أبو أمية القرشي الأموي المدني المعروف بالأشدق رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن عبد الملك بن عمير ، عن أبيه قال :

لما حَضَرَتْ سعيد بن العاص الوفاة جمع بنيه ، فقال : أيكم يكفل ديني ؟ فسكتوا .

فقال : ما لكم لا تكلّمون ؟

فقال عمرو الأشدَق وكان عظيم الشدقين : وكم دينك يا أبة ؟

قال : ثلاثون ألف دينار .

قال : فبم استدنتها يا أبة ؟

قال : في كريم سددتُ فاقته وفي لئيم فديتُ عرضي منه .

فقال عمرو : هي عليَّ يا أبة .

فقال سعيد : مضت خَلَّةٌ وبقيت خَلَّتان .

فقال عمرو : وما هما يا أبة ؟

قال : بناتي لا تزوجهن إلا من الأكفاء ولو بعُلق الخُبز الشَّعير .

فقال : وأفعل يا أبة .

قال سعيد : مضت خلَّتان وبقيت خَلَّة واحدة .

فقال : وما هي يا أبة ؟

فقال : إخواني إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي .

فقال عمرو : وأفعل يا أبة .

فقال سعيد : أما والله لئن قلت ذلك ، لقد عرفت ذلك في حماليق وجهك وأنت في مهدك .

ثم قال سعيد : ما شتمتُ رجلاً منذ كنتُ رجلاً ولا كلَّفتُ من يرتجيني أن يسألني لهو أمَنَّ عليَّ مني عليه إذا قضيتها له إذ قصدني لحاجة » .

١٢٨ـ ما أعددت لهذا اليوم ؟ :

جاء في « الاستيعاب » : (٣/ ١٢١١) و « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » للمزي : (٢٢/ ٣٥٩) في ترجمة التابعي المخضرم عمران بن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« ذكر الهيثم بن عدي ، عن أبي بكر بن عياش ، قال :

اجتمع في جنازة أبي رجاء العُطاردي الحسن البصري ، والفرزدق ،

فقال الفرزدق للحسن :

يا أبا سعيد يقول الناس : اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس .

فقال الحسن :

لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددتَ لهذا اليوم ؟

قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم انصرف الفرزدق فقال :

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ النَّـاسَ مـاتَ كبيرُهُـم ... وقَدْ كان قَبْلَ البعثِ بعثِ محمدِ

ولَمْ يُغْنِ عنهُ عيشُ سبعينَ حجَّة ... وستِّيـنَ لمـا بـاتَ غيـرَ مـوسَّـدِ

إلـى حفـرةٍ غَبـراءَ يُكْـرَهُ وِرْدُهـا ... سِـوى أنَّهـا مَثوى وضيعٍ وسَيِّـدِ

ولو كانَ طُولُ العُمرِ يُخلدُ واحداً ... ويـدفـعُ عنـهُ غيـبَ عُمـرٍ عَمَـرَّدِ

لكـانَ الـذي راحُـوا بـه يَحمِلـونَـهُ ... مُقيمـاً ولكـن ليسَ حـيٌّ بمُخلَـدِ

نَـروحُ ونَغـدوا والحُتـوفُ أمـامَنـا ... يَضعْنَ لنا حتْفَ الرَّدى كلَّ مَرْصَدِ

وقَدْ قيلَ لي ماذا تُعِدُّ لما ترى ... ففيـه إذا مـا قـالَ غيـرُ مُفَنَّـدِ

فقلتُ له : أعددتُ للبعثِ والذي ... أزاد بـه أنِّـي شهـدتُ بـأحمـدِ

وأن لا إلـه غيـرُ ربِّـي هـو الـذي ... يُميتُ ويُحيي يومَ بعثٍ وموعدِ

فهذا الذي أعددتُ لا شيءَ غيرَهُ ... وإنْ قلتَ لي أكثِرْ من الخيرِ وازدَدِ

فقـال لقـد أعصمـتَ بـالخيـرِ كلِّـهِ ... تمسَّـكْ بهـذا يـا فـرزدقُ تَـرشُـدِ

١٢٩ـ إنما أتذلل لله لعله يرحمني :

جاء في « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني : (٢/ ٢٤٣) ، و « تهذيب الكمال » للمزي : (٢٢/ ٥٠٢ـ٥٠٣) العابد الزاهد القدوة العلاء بن زياد العدوي أبو نصر البصري رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن أوفى بن دلهم قال :

كان للعلاء بن زياد مالٌ ورقيقٌ فأعتق بعضهم ، ووصل بعضهم ، وباع بعضهم ، وأمسك غُلاماً أو غلامين يأكل غلتهما ، فتعبَّد فكان يأكلُ كلَّ يوم

رغيفين ، وتركَ مُجالسة الناس ولم يكن يجالس أحداً ، يصلي في جماعة ثم يرجع إلى أهله ، ويجمِّع ثم يرجع إلى أهله ، ويُشيِّعُ الجنازة ويعودُ المريض ثم يرجع إلى أهله ، فطفىء ، فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا ، فأتاه أنس بن مالك والحسن والناسُ وقالوا :

رَحِمَكَ الله أهلكتَ نفسكَ لا يسعك هذا .

فكلَّموهُ وهو ساكت ، حتى إذا فرغوا من كلامهم ، قال :

إنَّما أتذلَّلُ لله عز وجل لعله يرحمني » .

١٣٠ـ إني أحتاج إلى أدب :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله : (ص ٣١٤) في ترجمة الخليفة العباسي أبي العباس عبد الله المأمون بن الرشيد ، ما نصه :

« عن أبي محمد اليزيدي قال :

كنتُ أؤدِّبُ المأمون ، فأتيته يوماً ـ وهو داخل ـ فوجهت إليه بعض الخدم يعلمه بمكاني ، فأبطأ ، ثم وجهت إليه آخر ، فأبطأ ، فقلت : إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة .

فقيل : أجل ، ومع هذا إنه إذا فارقك تعرَّمَ على خدمه ، ولَقُوا منه أذى شديداً ، فقوِّمه بالأدب .

فلما خرج أمرت بحمله ، فضربته سَبْعَ دِرَرٍ ، قال : فإنه ليَدْلِكُ عينيه من البكاء ، إذ قيل : هذا جعفر بن يحيى قد أقبل ، فأخذ منه منديلاً ، فمسح عينيه من البكاء ، وجمع ثيابه ، وقام إلى فراشه ، فقعد متربعاً ثم قال : ليدخل ، فدخل ، فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه .

فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه ، ثم خرج ، فجئت فقلت : لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر .

فقال : يا أبا محمد ، ما كنت أُطلع الرشيد على هذه ، فكيف بجعفر ؟ إني أحتاج إلى أدب » .

١٣١ـ ثبات القلب وشجاعته :

جاء في كتاب « الإفصاح عن معاني الصحاح » للوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ، وزير المقتفي لأمر الله وابنه المستنجد بالله : (١/ ٢٠) ما نصه :

« وحضر يوماً في دار الخلافة بالمرخّم من التاج ، فجلس به وحضر أرباب الدولة للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهر ، فسقط من السقف أفعى عظيمة المقدار على كتف الوزير ـ يعني ابن هبيرة ـ فما بقي أحد من أرباب الدولة وحواشي الخدمة إلا خرج أو قام عن موضعه إلا الوزير .

فإنه التفت إلى الأفعى وهي تسرح على كمه حتى وقعت على الأرض وبادرها المماليك فقتلوها ، ولم يتحول الوزير عن بقعته ولا تغير في هيئته وعبارته » .

١٣٢ـ نترك القال ونرجع إلى الحال :

جاء في كتاب « قلائد الجواهر » لمحمد بن يحيى التادفي : (ص ٣٨) في ترجمة الإمام القدوة الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الحافظ أبو العباس أحمد البندنيجي :

حضرت أنا والشيخ جمال الدين بن الجوزي رحمه الله تعالى مجلس سيدنا الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه ، فقرأ القارىء آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهاً ، فقلت للشيخ جمال الدين : تعلم هذا الوجه ؟ قال : نعم . ثم ذكر وجهاً آخر ، فقلت له : أتعلم هذا الوجه ؟ قال : نعم .

فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهاً ، وأنا أقول له : أتعلم هذا الوجه ؟ وهو يقول : نعم .

ثم ذكر الشيخ فيها وجهاً آخر ، فقلت له : **أتعلم هذا الوجه ؟ قال : لا** ، حتى ذكر فيها كمال الأربعين وجهاً يعزو كل وجه إلى قائله .

والشيخ جمال الدين يقول : لا أعرف هذا الوجه ، واشتد عجبه من سعة علم سيدنا الشيخ رضي الله عنه .

ثم قال الشيخ : **نترك القال ونرجع إلى الحال : لا إله إلا الله محمد** رسول الله .

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ، وخرق الشيخ جمال الدين بن الجوزي ثيابه .

١٣٣ـ لا شك أن توقيعها خرج :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله : (٥/١٢٦) في ترجمة أعظم وزراء آل بويه صاحب العطايا والفضائل أبو غالب محمد بن علي بن خلف ، الملقب فخر الملك ما نصه :

« قال : أبو عبد الله أحمد بن القادسي في « أخبار الوزراء » :

وكان الوزير فخر الملك قد أهمل بعض الواجبات فعوقب سريعاً ، وذلك أن بعض خواصه قتل رجلاً ظلماً ، فتصدت له زوجة المقتول تستغيث ، فلم يلتفت إليها ، فلقيته ليلة في مشهد باب التبن وقد حضر للزيارة ، فقالت له :

يا فخر الملك ، القصص التي أرفعها إليك ولا تلتفت إليها ، صرت أرفعها إلى الله ، وأنا منتظرة خروج التوقيع من جهته .

فلما قبض عليه قال :

لا شك أن توقيعها خرج . . . » .

١٣٤ـ إن تحكم فيَّ يحكم فيك ملكٌ قادر يفرق بين الحق والباطل :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي : (٣/ ٣٣٢) و « وفيات الأعيان » لابن خلكان : (٢/ ٣٩٠) في ترجمة الإمام القدوة الرباني أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد أبو عبد الله الثوري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال القعقاع بن حكيم :

كنت عند المهدي وقد أُتي بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يُسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدي بوجه طَلْقٍ ، وقال له :

يا سفيان ، تفر منا هاهنا وهاهنا ، وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟

قال سفيان :

إن تحكم فيَّ يحكم فيك ملكٌ قادر يفرّق بين الحق والباطل .

فقال له الربيع :

يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ إيذن لي أن أضرب عنقه .

فقال له المهدي :

اسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم .

فكتب عهده ودفع إليه ، فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ، فطُلب في كل بلد فلم يوجد ، ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :

تحــرَّزَ سُفيــان وفَــرَّ بــدينــه   وأمسى شُريكٌ مرصداً للدَّراهم

١٣٥ـ الملك لا ينام إذا نامت الرعية :

جاء في كتاب « أعمال الأعلام بمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام » للسان الدين بن الخطيب : (ص ٧٦) ، و « نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب » لأحمد بن المقري التلمساني : (١/ ٤١٦) في ترجمة السلطان المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ما نصه :

« وحدث شعلة قال :

قلت للمنصور ليلة طال سهره فيها :

قد أفرط مولانا في السهر ، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ، وهو أعلم بما يحرّكه عدم النوم من علة العصب .

فقال : يا شعلة ، الملك لا ينام إذا نامت الرعية ، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة » .

١٣٦ـ أيفخر مثلك بمثل هذا ؟ :

جاء في كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » لأحمد بن المقري التلمساني : (١/ ٣٩٨ـ٣٩٩) في ترجمة المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن شجاع مولى المستعين بن هود :

لمّا توجَّهتُ إلى أذفونش وجدته في مدينة سالم ، وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره ، وامرأته متكئة إلى جانبه . فقال لي :

يا شجاع ، أما تراني قد ملكت بلاد المسلمين ، وجلست على قبر ملكهم ؟

قال : فحملتني الغيرة أن قلت له :

لو تنفَّس صاحبُ هذا القبر وأنتَ عليه ما سَمِعَ منك ما يكره سماعه ، ولا استقرَّ بكَ قرار .

فهمَّ بي ، فحالت امرأته بيني وبينه ، وقالت له :

صدقك فيما قال ، **أيفخرُ مثلكُ بمثل هذا ؟** » .

١٣٧ـ إنما تغرب بعد ساعة :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي : (١/ ٣٦٨) برقم : ٨٤٤ ، ما نصه :

« عن زكريا بن دلّويه قال :

بعث طاهر بن عبد الله بن طاهر[١] إلى محمد بن رافع[٢] بخمسة آلاف درهم على يدي رسول له ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع الكيس بين يديه فقال :

بعث الأمير طاهر بهذا المال إليك لتنفقه على أهلك .

فقال : خُذْ خُذْ ، لا أحتاج إليه ، فإن الشمس قد بلغت رؤوس الحيطان ، **إنما تغرب بعد ساعة** ، قد جاوزت الثمانين ، إلى متى أعيش ؟

ورد المال ولم يقبل ، فأخذ الرسول المال وذهب ، فدخل عليه ابنه فقال :

يا أبة ليس لنا الليلة خُبز .

قال : فذهب ببعض أصحابه خلف الرسول ليَرُدَّ المال إلى حضرة صاحبه فَزَعاً من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأخذ المال .

قال زكريا : وربما كان يخرج إلينا محمد بن رافع في الشتاء الشاتي وقد لبس لحافه الذي يلبسه بالليل » .

---

(١) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي : أحد الأمراء الولاة ، ولي خراسان بعد وفاة أبيه ، واستمر ثماني عشرة سنة ، وتوفي فيها سنة ٢٤٨ هـ .

(٢) محمد بن رافع بن أبي زيد القشيري مولاهم ، أبو عبد الله النيسابوري الزاهد ، كان ثقة عابداً محدثاً ، روى له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة ، مات سنة ٢٤٥ هـ .

١٣٨ـ لأن تلقى الله حانثاً خير من أن تلقاه قاتلاً :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » لجلال الدين السيوطي رحمه الله : (ص ٣٢٠) في ترجمة الخليفة العباسي أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال :

وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية ، فقال له :

والله لأقتلنك .

فقال : يا أمير المؤمنين تأنَّ عليَّ ، فإن الرفق نصف العفو .

قال : وكيف وقد حلفت لأقتلنَّكَ ؟

فقال : **لأن تلقى الله حانثاً خير من أن تلقاه قاتلاً** .

فخلى سبيله » .

١٣٩ـ عشر خصال جربوها :

جاء في كتاب « فتوح الغيب » للشيخ عبد القادر الكيلاني (الجيلاني) المقالة : ٧٨ ، ما نصه :

« قال رحمه الله تعالى :

لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العزم عشر خصال جربوها ، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى ، وصلوا إلى المنازل الشريفة :

الأولى : أن لا يحلف بالله عز وجل صادقاً ولا كاذباً .

الثانية : أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً .

الثالثة : أن يحذر أن يعد أحداً شيئاً فيخلفه .

الرابعة : أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق ، أو يؤذي ذرة فما فوقها .

الخامسة : أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه .

السادسة : أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشركٍ ولا كفر ولا نفاق ، فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وأبعد عن الدخول في علم الله تعالى .

السابعة : أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه .

الثامنة : يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق من مؤونة صغيرة ولا كبيرة ، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

التاسعة : ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين ، ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم ، فإنه العز الأكبر ، واليقين الصافي ، والتوكل الشافي الصريح ، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل ، وهو باب من أبواب الزهد وبه ينال الورع ويكمل نسكه .

العاشرة : التواضع لأن به يستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق ، وهذه الخصلة أصل الخصال كلها ، وبها يدرك العبد منازل الصالحين وهي كمال التقوى ، والتواضع هو أن لا يلقى العبد أحداً من الناس إلا ويقول عنه : عسى أن يكون عند الله خيراً مني . . . » .

١٤٠ـ عين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم :

جاء في كتاب « صيد الخاطر » للإمام العلم الأوحد عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله (ص ٢٧) وصف حالة ابن الجوزي في تحصيل العلم ما نصه :

« ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ، ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل ، لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة ، فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى ـ في بغداد ـ فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، **وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم** » .

١٤١ـ القلوب جوالة في هذه المواطن :

جاء في كتاب « الفوائد » للإمام ابن القيم رحمه الله (ص ٩٩) ما نصه :

« للقلب ستة مواطن يجول فيها : ثلاثة سافلة وثلاثة عالية .

فالسافلة : دنيا تتزين له ، ونفس تحدِّثه ، وعدو يوسوس له .

وثلاثة عالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، والقلوب جوالة في هذه المواطن » .

١٤٢ـ هو من أولياء الله :

جاء في كتاب « الخيرات الحسان » لابن حجر الهيثمي (ص ٦٣) في ترجمة أبي حنيفة النعمان فقيه الأمة وإمام الأئمة ، ما نصه :

« جاءه شخص فبادره سائلاً :

ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ، ولا يخاف النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ، ويصلي بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لا يرى ، ويبغض الحق ويحب الفتنة ويفر من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى ؟ .

فالتفت أبو حنيفة إلى أصحابه فقال لهم :

ما تقولون ؟

فقالوا : إنها صفة كافر .

فقال : **بل هو من أولياء الله فهو يرجو رب الجنة** ، ويخاف رب النار ، ولا يخاف الله تعالى أن يجور عليه ، ويأكل ميتة السمك ، ويصلي صلاة الجنازة أو على النّبي ﷺ ، ومعنى شهادته بما لا يرى أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويبغض الحق وهو الموت ، ويحب الفتنة وهي المال والولد ، ويفر من الرحمة يعني المطر ، ويصدق اليهود في : ﴿ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] والنصارى في : ﴿ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣] » .

١٤٣ـ كنت تفعل شيئاً لا يفعله أحد :

جاء في كتاب « وصايا ونصائح لطالب العلم » (ص ١٤) في ترجمة الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري ، المقرىء النحوي رحمه الله ، ما نصه :

« دخل الطبيب على أبي بكر الأنباري في مرض موته فنظر إلى مائه ـ أي بوله ـ وقال : **قد كنت تفعل شيئاً لا يفعله أحد** ، ثم خرج .

فقال : ما يجيء منه شيء .

قال له : ما الذي كنت تفعل ؟

قال الأنباري رحمه الله :

كنت أُعيد كل أسبوع عشرة آلاف ورقة » .

١٤٤ـ أوَبهذا أُمر الفارغ ؟ :

جاء في كتاب « الفتاوى الكبرى » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢/ ٤٦٨) ما نصه :

« خرج شريح القاضي على قومٍ من الحاكةِ في يوم عيدٍ وهم يلعبون .

فقال : ما لكم تلعبون ؟

قالوا : إنا تفرّغنا!

قال : **أوَ بهذا أُمر الفارغ** ؟ وتلا قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح : ٧ـ٨] .

١٤٥ـ لا حاجة بنا إليه :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للإمام السبكي : (٤/ ٢٨) في ترجمة الفقيه الزاهد الجامع بين العلم والدين نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي رحمه الله ، ما نصه :

« يُحكى أن تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان زاره يوماً ، فلم يقم له ،

فسأله عن أحَلِّ الأموال التي يتصرف فيها السلطان ، فقال الفقيه نصر :

أحلُّها أموال الجزية .

فخرج من عنده ، وأرسل إليه بمبلغ من المال ، فقال :

هذا من مال الجزية ، تفرقه على الأصحاب .

فلم يقبله ، وقال : **لا حاجة بنا إليه** .

فلما ذهب الرسول ، لامه الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد ، وقال له :

قد علمت حاجتنا إليه ، فلو كنت قبلته وفرَّقته فينا .

فقال : لا تجزع من فَوْته ، فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد .

فكان كما تفرس فيه » .

١٤٦ـ كيف بفتنة المنطق ؟ :

جاء في كتاب « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي رحمه الله : (٢/ ٨٢) ما نصه :

« قال رجل من العلماء عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

الصامت على عِلْم كالمتكلِّم على عِلْم .

فقال عمر : إنِّي لأرجو أن يكون المتكلم على علمٍ أفضلهما يوم القيامة حالاً ، وذلك أن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه!

فقال له : يا أمير المؤمنين ، **وكيف بفتنة المنطق** ؟!

فبكى عمر ـ رحمه الله ـ عند ذلك بكاءً شديداً » .

١٤٧ـ أطلقوا هذا لفعله ، وهذا لصدقه :

جاء في كتاب « الكامل في التاريخ » (١/ ٣٥٥) ، و « عيون الأخبار » (١/ ١٧) ما نصه :

« أُتِيَ الحجاج بأسرى من أصحاب ابن الأشعث ، فأمر بقتل أحدهم فقال الرجل : إن لي عندك يداً .

قال : وما هي ؟

قال : ذكر عبد الرحمن الأشعث يوماً أُمَّك فرددتُ عليه .

قال : ومن يشهد لك ؟

فقال الرجل : أُنشِدُ الله رجلاً سمعَ مني ذاكَ إلا شَهِدَ به .

فجاء رجل من الأسرى فقال : قد كان ذلك أيها الأمير .

قال الحجاج : ما منعك أن تفعل كما فعل ؟

قال : لقديم بغضي إيّاك .

قال الحجاج : أطلقوا هذا لفعله ، وهذا لصدقه ، فأطلقوهما » .

١٤٨ـ المؤمن يهضم نفسه :

جاء في كتاب « الولاة » وكتاب « القضاة » لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري رحمه الله (ص ٣١٢) في ترجمة القاضي عابس بن سعيد المرادي رحمه الله المتوفى سنة (٦٨ هـ) ما نصه :

« عن زياد بن يُونس قال : حدَّثني بكر بن مُضَر ، عن عبيد الله بن أبي جعفر ، أن عابس بن سعيد دعاه مروان ، فقال له :

أعَلِمْتَ الفرائض ؟ قال : لا .

قال : أفتجمعُ القرآن ؟ قال : لا .

قال : فكيف تقضي ؟

قال : ما علمتُه قضيتُ به ، وما جهلتُه سألتُ عنه .

قال له : اقضِ بهذا .

ثمَّ إن مروان سأله بعد ذلك عن فريضة فأصاب ، وسأله عن مسألة في الطلاق فأصاب ، وسأله عن شيء من القرآن فأصاب .

فقال مروان : عباد الله ، ألا تعجبون من عابس زعم أنه لا يُحسن الفرائض والقرآن ، ولكن المؤمن يهضم نفسه » .

١٤٩ـ إنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد :

جاء في كتاب « صيد الخاطر » للإمام ابن الجوزي رحمه الله (ص ٣٠٧) ما نصه :

« إن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام وإنما يقطع بالقلوب ، والشهوات العاجلة قطاع الطريق ، والسبيل كالليل المُدْلَهِمّ ، غير أن عين الموفق بصر فرس ، لأنه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء ، والصدق في الطلب إينار أين وجد يدل على الجادة ، وإنما يتعثر من لم يخلص ، **وإنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد** » .

١٥٠ـ متى يصل المسافر مقصده ؟ :

جاء في كتاب « الفوائد » للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله (ص ١٣١) ما نصه :

« إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل ، فإن حاد المسافر عن الطريق ، ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده ؟ » .

١٥١ـ جئت إليك بذنوبي فلا تُخيِّبني :

جاء في كتاب « بستان العارفين » للإمام النووي رحمه الله تعالى (ص ١٨٤ـ١٨٥) ، ما نصه :

« قُحِطَ النَّاسُ على عهد معاوية ، فخرج يستسقي بهم ، فلمَّا وصلوا إلى المُصلَّى قال معاوية لأبي مُسلِم ـ يعني الخولاني ـ :

قد ترى ما حلَّ بالناس فادعُ الله تعالى .

قال : أفعلُ على تقصيري ؟

فقام وعليه بُرنس ، فكشفَ البُرنس عن رأسه ، ثم رفع يديه ، ثم قال : **اللهمَّ إنَّا منك نستمطر ، وقد جئتُ إليك بذنوبي ، فلا تُخيِّبني** ، فما

انصرفوا حتى سُقوا ، فقال أبو مُسلِم :

اللَّهمَّ إن معاوية أقامني مقامَ سُمعَةٍ ، فإن كان عندك خيرٌ فاقبضني إليك .

وكان ذلك يوم الخميس ، فمات أبو مُسلم يوم الخميس المقبل ، رضي الله تعالى عنه » .

١٥٢ـ ما السياسة ؟ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله (ص ٣٥) ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة (١/ ١٠) ما نصه :

« عن المدائني قال :

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أبَه ، ما السياسة ؟

قال :

هيبةُ الخاصة مع صدقِ محبَّتها ، واقتياد قلوب العامّة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع ، فإن شُكرها أقربُ للأيدي منها » .

١٥٣ـ استسقوا بإصلاح نيَّاتكم :

جاء في كتاب « الكامل » لابن الأثير رحمه الله : (٨/ ٣٧٧) ، و « المنتظم في تاريخ الأمم » لابن الجوزي رحمه الله (٦/ ٣١٩) ما نصه :

« عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق ، قال : حدثنا أبو محمد الصلحي الكاتب[١] ، قال :

نادى منادي المتقي[٢] في زمن خلافته في الأسواق : إن أمير المؤمنين يقول لكم معشر رعيته : أن امرأة صالحة رأت النَّبي ﷺ في منامها ، فشكت

---

(١) أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي الكاتب .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم المتقي بن أبي الفضل جعفر المقتدر .

احتباس القطر[1] ، فقال لها : قولي للناس يخرجون في يوم الثلاثاء الأدنى ، ويستسقون ويدعون الله ، فإنه يسقيهم في يومهم ، وإن أمير المؤمنين يأمركم معاشر المسلمين بالخروج في يوم الثلاثاء ، كما أمركم رسول الله ﷺ ، وأن تدعوا وتستسقوا بإصلاح من نيَّاتكم ، وإقلاع من ذنوبكم .

قال : فأخبرني الجم الغفير أنهم لما سمعوا النداء ، ضجت الأسواق بالبكاء والدعاء .

فشق ذلك عليَّ ، وقلت : منام امرأة لا يُدرى كيف تأويله ، وهل يصح أم لا ، يُنادي به خليفة في أسواق مدينة السلام ؟ فإن لم يسقوا كيف يكون حالنا مع الكفار ؟فليته أمر الناس بالخروج ولم يذكر هذا .

ومازلت قلقاً حتى أتى يوم الثلاثاء ، فقيل لي : إن الناس قد خرجوا إلى المصلى مع أبي الحسن أحمد بن الفضل بن عبد الملك ، إمام الجامع ، وخرج أكثر أصحاب السلطان ، والفقهاء ، والأشراف .

فلما كان قبل الظهر ، ارتفعت سحابة ، ثم طبقت الآفاق ، ثم أسبلت عزاليها[2] بمطر جود[3] .

فرجع الناس حفاة من الوحل » .

١٥٤ـ أحسبني عوقبتُ به :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله (٥/ ٣٣٥) في ترجمة التابعي الكبير أحد فقهاء البصرة ، والمذكور بالورع في وقته الإمام الجليل محمد بن سيرين أبو بكر البصري ، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه ، ما نصه :

---

(١) القطر : المطر .

(٢) عزاليها : إشارة إلى شدة وقع المطر .

(٣) المطر الجود : المطر الغزير .

« عن أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا المدائني ، قال :

كان سبب حبس ابن سيرين في الدَّين ، أنه اشترى زيتاً بأربعين ألف درهم ، فوجد في زِقٍّ منه فارة ، فقال : الفأرة كانت في المعصرة . فصبَّ الزيت كلَّه .

وكان يقول : عيَّرتُ رجلاً بشيء منذ ثلاثين سنة ، أحسبني عوقبتُ به ، وكانوا يرون أنه عيَّر رجلاً بالفقر ، فابتُلي به » .

١٥٥ـ هل يطلب العلم دون ورد من الليل ؟ :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله (١/ ١٤٣) النص (١٧٨) ما نصه :

« عن أبي عصمة عاصم بن عصام البيهقي قال :

بِتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل ، فجاء بالماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان .

فقال : سبحان الله ! رجل يطلب العلم لا يكون له وِرْدٌ من الليل» .

١٥٦ـ خل الذنوب صغيرها :

جاء في كتاب « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : (٢/ ١٤٨) ما نصه :

« قال أبو هريرة رضي الله عنه . وسئل عن التقوى ؟ فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟

قال : نعم .

قال : فكيف صنعت ؟

قال : إذا رأيت الشوك ، عدلت عنه أو جاوزته أو قصَّرتُ عنه

قال : ذاك التقوى .

وأخذ هذا المعنى ابنُ المعتزّ فقال :

خـلِ الـــذنـــوبَ صغيـــرَهـــا وكبيـــرهـــا فهـــو التُّقـــى
واصنـــعْ كمـــاشٍ فـــوقَ أر ض الشـوْكِ يحـذرُ مـا يـرى
لا تحقـــــرن صغيـــــرة إنَّ الجبـــال مـــن الحصـــى »

١٥٧ـ أعلم بحالك منذ خرجت من الهند :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله (ص ٤٤٩ـ٤٥٠) في ترجمة الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن المستضيء بأمرِ الله رحمه الله تعالى ما نصه :

« وصل إليه رجل معه ببَّغاء تقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد : ١] تحفة للخليفة من الهند ، فأصبحت ميتة ، وأصبح حيران ، فجاءه فراش يطلب منه الببغاء ، فبكى وقال : الليلة ماتت .

فقال : قد عرفنا ، هاتها ميتة .

وقال : كم كان ظنك أن يعطيك الخليفة ؟

قال : خمسمائة دينار .

قال : هذه خمسمائة دينار ، خذها ، فقد أرسلها إليك الخليفة ، فإنه **أعلم بحالك منذ خرجت من الهند** » .

١٥٨ـ ما ظنك بمن أخذه كله ؟ :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٣/ ١٧٢) ما نصه :

« دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : عظني يا أعرابي .

فقال : كفى بالقرآن واعظاً ، أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ١ـ٦] .

ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان ، **فما ظَنُّكَ بمن أخذه كله!! ؟** » .

١٥٩ـ قد وهبني الله العافية :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (١٠/ ٣٤٤) ما نصه :

« روى البيهقي أن رجلاً جاء إلى الإمام أحمد فقال :

إن أُمي زمنة مقعدة منذ عشرين سنة ، وقد بعثتني إليك لتدعو لها .

فكأنه غضب من ذلك وقال :

نحن أحوج أن تدعو هي لنا من أن ندعو لها ، ثم دعا الله عز وجل لها .

فرجع الرجل إلى أمه ، فدقّ الباب ، فخرجت إليه على رجليها وقالت : قد وهبني الله العافية » .

١٦٠ـ لا يجزعنَّ رجلٌ بعدك :

جاء في كتاب « برد الأكباد عن فقد الأولاد » لمحمد القيسي الحموي (ص ٨٤) ما نصه :

« قال الأصمعي :

كانت تجيء عجوز من بني بكر بن كلاب يتحدث قومها عن عقلها وسدادها ، فأخبرني من حضرها وقد مات ابن لها ـ وقد كان واحدها ـ وقد طالت علته ، فأحسنت تمريضه ، فلما مات قعدت بفنائها ، وحضرها قومها ، فأقبلت على شيخ منهم ، فقالت : يا فلان ، ما حقٌّ من أُلبس العافية وأُسبغت عليه النعمة ، واعتدلت به الفطرة أن لا يعجز عن التوثق لنفسه قبل حلّ عقدته ، والحلول بعقوبته ، ينزل الموت بداره ـ يعني فيحول بينه وبين نفسه ـ ثم أنشدت تقول :

هو ابني وأُنسي أجرُهُ لي وعزَّني على نفسه ربٌّ إليه ولاؤُها

فإن أحتسِبْ أُوجز وإن أبكِه أكن كباكية لن يُغنِ شيئاً بكاؤها

فقال الشيخ : إنا لم نزل نسمع أن الجزع هو للنساء **فلا يجزعن رجلٌ بعدكِ** ، ولقد كرم صبرك ، وما أشبهت النساء!

فأقبلت عليه بوجهها وقالت :

إنه ما ميّز امرؤ بين جزع وصبر إلاّ وجد بينهما منهجين بعيدَيْ التفاوت في حالتهما ، أما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة ، وأما الجزع فغير معوَّض عوضاً مع مأثمه ، ولو كانا في صورة رجلين ، لكان الصبر اولاهما بالغلبة وبحسن الصورة ، وكرم الطبيعة في عاجل الدنيا وأجل الثواب ، وكفى بما وعد الله فيه ألهمه الله إياه » .

١٦١ـ بعتني من قومٍ لا يُصلُّون إلاَّ المكتوبة :

جاء في كتاب « البصائر في تذكير العشائر » للإمام اللكنوي رحمه الله (ص ٢٣٤) ما نصه :

« ذكروا أن للحسن بن صالح جارية فباعها من قومٍ ، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت :

يا أهل الدار ، الصلاة الصلاة .

فقالوا : أصبحنا ، أطلع الفجر ؟

فقالت : وما تُصلُّون إلاَّ المكتوبة ؟

قالوا : نعم .

فرجعت إلى الحسن بن صالح وقالت :

يا مولاي ، بعتني من قومٍ لا يصلُّون إلاَّ المكتوبة ، رُدَّني ، فردَّها » .

١٦٢ـ خذي العفو مني تستديمي مودَّتي :

جاء في كتاب « صفوة الأخبار ومنتقى الآثار » (ص ٢٢٠) ما نصه :

« أوصى أب ابنته ليلةَ زفافها فقال :

إياكِ والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وعليك بالزينة ، وأزينُ الزينة الكُحل ، وعليك بالطِّيب ، وأطيبُ الطِّيب إسباغُ الوضوء ، وكوني كما قلت لأمك يوماً :

خذي العفو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرَتي حين أغضبُ

ولا تنقريني نقركِ الدُّفَّ مرَّةً ... فإنكِ لا تدرينَ كيف المغيبُ

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباكِ قلبي والقلوبُ تقلَّبُ

فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

١٦٣ـ ما كان ليصحبني شعرٌ نظر إليه غير ذي محرم :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله (٤/ ٨٧) ما نصه :

« كان عند بعض القرشيين امرأة عربية ، فدخل عليها خصيٌّ لزوجها ، وهي واضعة خمارها ، فحلقت رأسها ، وقالت :

ما كان ليصحبني شعرٌ نظر إليه غير ذي محرم !! » .

١٦٤ـ الوصية أجدى عليك من كثير عقلك :

جاء في كتاب « جواهر الأدب » للسيد أحمد الهاشمي (ص ١٨٤) ما نصه :

« قال أبان بن تغلب ، وكان عابداً من عُبَّاد أهل البصرة :

شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفراً ، وهي تقول له :

أي بُنيَّ ، إجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، **فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك** .

قال أبان : فوقفتُ مستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها ، فإذا هي تقول : أي بُنيَّ ، إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة وتفرِّق بين المحبِّين .

وإياك والتعرُّضَ للعيوب فتتخذَ غرضاً[١] ، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام ، وقلَّما اعتورت[٢] السهام غرضاً إلا كَلَمَتْهُ[٣] حتى يهي[٤] ما اشتدَّ من قوته .

وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، وإذا هززت فاهزز كريماً يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها .

---

(١) الغرض : الهدف .

(٢) اعتورت : تداولت .

(٣) كلمته : جرحته .

(٤) يهي : يضعف ويتداعى .

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودَّته بشره ، وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرُّفها .

والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها » .

١٦٥ـ لقد كلفً من بعده تعباً :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٣/ ٥) ما نصه :

« قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يوماً لابنته عائشة : انظري يا بُنَيَّة ما زاد في مال أبي بكر منذ وُلِّيتُ هذا الأمر فرُدِّيه على المسلمين .

فنظرت ؛ فإذا بَكْرٌ[١] وقطيفة[٢] لا تساوي خمسة دراهم ومجشة[٣] .

فلما جاء بذلك الرسول إلى عمر ؛

قال : رحم الله أبا بكرٍ لقد كلَّف من بعده تعباً » .

١٦٦ـ كان أقوى لك على الحق :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله : (ص : ١٢٨) ما نصه :

« قال عكرمة بن خالد وغسره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا

---

(١) البكر : هو الفتي من الإبل .

(٢) القطيفة : دثار له حمل .

(٣) المجشة : آلة يجش بها الحب ويجرش .

عمر ، فقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً ، كان أقوى لك على الحق . قال : أكلكم على هذا الرأي ؟

قالوا : نعم .

قال : قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحِبَيَّ على جادَّة ، فإن تركت جادَّتهما ، لم أدركهما في المنزل » .

١٦٧ـ اسأل غيري عن عيبك :

جاء في كتاب « الأنوار في صحبة الأخيار » للإمام الشعراني رحمه الله (ص ٤٩ـ٥٠) ما نصه :

« صحب رجلٌ أبا إسحاق إبراهيم بن أدهم ، فلمَّا أراد أن يفارقه ، قال له :

لو نبَّهتني على ما فيَّ من العَيْب .

فقال له : يا أخي ، لم أرَ لكَ عَيْباً ، لأنِّي لحظتكَ بعين الولاء ، فاستحسنتُ منكَ ما رأيت ، فاسأل غيري عن عَيْبك .

وفي ذلك أنشدوا :

وعَيْنُ الرِّضا عن كلِّ عَيْبٍ كَليلَةٌ كما أنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبدي المساويا »

١٦٨ـ أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علماً :

جاء في كتاب « أخلاق العلماء » للآجري رحمه الله تعالى (ص ١١٠ـ١١١) ما نصه :

« عن حجاج بن عمير بن سعد ، قال :

سألتُ علقمةَ عن مسألةٍ ، فقال :

إئتِ عُبَيْدَةَ فاسأله .

فأتيتُ عُبَيدةَ ، فقال : إئتِ عَلْقمَة .

فقلتُ : عَلْقمة أرسلني إليك .

فقال : إئتِ مسروقاً فاسأله .

فأتيتُ مسروقاً ، فسألته ، فقال : إئتِ علقمة ، فاسأله .

فقلتُ : علقمة أرسلني إلى عُبَيْدَة ، وعُبَيْدَة أرسلني إليك .

فقال : إئتِ عبد الرَّحمن بن أبي ليلى .

فأتيتُ عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فسألته ، فكرهه ، ثم رجعت إلى علقمة ، فأخبرته ، قال : كان يقال :

أجرأ القوم على الفتيا أدناهم علماً » .

١٦٩ـ أين الرعاية والتذمُّم :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله (٣/ ١٣) ما نصه :

« قال عمر لرجل هم بطلاق امرأته :

لِمَ تُطلِّقها ؟

قال : لا أُحبُّها .

قال : أوَكُلُّ البيوتِ بُنيَتْ على الحبِّ ؟ وأين الرِّعايةُ والتذمُّم ؟ » .

١٧٠ـ أردتُ أن أُعرِّفها نفسها :

جاء في كتاب « أدب الدنيا والدين » للماوردي رحمه الله تعالى : (ص ٢١٨) ما نصه :

« رُويَ عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنه نادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس ، صعِدَ المنبرَ ، فحَمِدَ الله ، وأثنى عليه ، وصلَّى على نبيِّه ﷺ ، ثمَّ قال :

أيُّها الناس ، لقد رأيتني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزوم ، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب ، فأظلُّ اليوم وأيُّ يوم ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : والله يا أمير المؤمنين ، ما زدت على أن قصرت بنفسك .

فقال عمر رضي الله عنه : ويحكَ يا ابن عوف! إنِّي خلوتُ ، فحدَّثتني نفسي .

فقالت : أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك ؟ فأردتُ أن أُعرِّفها نفسها » .

١٧١ـ إنَّ في العلل لنعماً :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى : (٤/ ٤٢ـ٤٣) في ترجمة وزير المأمون الخليفة العباسي الفضل بن سهل السرخسي رحمه الله ما نصه :

« كان الفضل بن سهل قد مرض بخراسان ، وأشفى على التَّلَفِ ، فلما أصاب العافية جلس للناس ، فدخلوا عليه ، وهَنَّوهُ بالسلامة ، وتصرَّفوا في الكلام ، فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس ، وقال :

إنَّ في العلل لنعماً لا ينبغي للعُقلاء أن يجهلوها :

تمحيص الذنوب ، والتعرُّض لثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ، والإذكار بالنِّعمة في حالِ الصحَّة ، واستدعاءُ التوبة ، والحضُّ على الصَّدقة » .

١٧٢ـ أبواب من الخير :

جاء في كتاب « كنز العمال » للمتقي الهندي : (المجلد الثالث برقم : ٨٦١٨) ما نصه :

« قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

ما كان الله ليفتح باب الشُّكر ، ويخزن باب المزيد .

وما كان الله ليفتح باب الدُّعاء ، ويخزن باب الإجابة .

وما كان الله ليفتح باب التوبة ، ويخزن باب المغفرة .

أَتلوا عليكم من كتاب الله :

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وقال : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

١٧٣ـ ليتي أسلم إذا فعلتُ ذلك :

جاء في كتاب « جامع العلوم والحكم » لابن رجب الحنبلي : (٢/ ١٠ـ١١) ما نصه :

« كان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجل ، وأمره أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه ، فأتاه كتابه :

إني قدمت البصرة ، فوجدت الطعام منقصاً ، فحبستُه ، فزادَ الطعام ، فازددتُ فيه كذا وكذا .

فكتب إليه الحجاج : إنَّكَ قد خُنتَنا ، وعملتَ بخلافِ ما أمرناكَ به ،

فإذا أتاكَ كتابي فتصدَّق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقراء البصرة ، فليتني أَسْلَمُ إذا فعلتُ ذلك » .

١٧٤ـ كفى بالله حارساً :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : (ص ١٧٨) ما نصه :

« أخرج أبو نعيم في الدلائل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال :

عرضَ لعليٍّ رجلان في خصومة ، فجلس في أصلِ جدار ، فقال له رجلٌ : الجدارُ يقع .

فقال علي : امضِ ، كفى بالله حارساً .

فقضى بينهما ، فقام ، ثم سقطَ الجدار » .

١٧٥ـ بئس الأخ أخاً يرعاكَ غنياً ، ويقطعكَ فقيراً :

جاء في كتاب « المتحابين في الله » لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى : (ص ٧٩) ما نصه :

« قال الأسودُ بن كثيرٍ ، شَكَوْتُ إلى محمد بن عليٍّ بن الحُسَين الحاجةَ وجفاءَ الإخوان .

فقال : بئسَ الأخُ أخاً يرعاكَ غنيًّا ، ويقطعكَ فقيراً .

ثم أمرَ غُلامَهُ ، فأخرجَ كيساً فيه سبعمائة درهم ، فقال :

استنفق هذه ، فإذا نفدت ، فأعلمني » .

١٧٦ـ أردتُ أن أغنيهم عن الخيانة :

جاء في كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم رحمهما الله تعالى : (ص ٤٦) ما نصه :

« كان عمر بن عبد العزيز قد طلَّق نفسه من الفيء ، فلم يُرزَقْ منه شيئاً

إلاَّ أعطاؤه من المسلمين ، فدخل عليه ابن أبي زكريا ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إني أريدُ أن أكلِّمكَ بشيءٍ .

قال : قل .

قال : قد بَلَغني أنَّكَ تُرزق العاملَ من عُمَّالكَ ثلاث مئة دينار .

قال : نعم . قال : ولِمَ ذلك ؟

قال : أردتُ أن أُغنيهم عن الخيانة .

قال : فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك .

قال : فأخرجَ ذراعه ، وقال :

يا ابن أبي زكريّا ، إن هذا نبت من الفيء ، ولست معيداً إليه منه شيئاً أبداً » .

١٧٧ـ أتيت بشفيع عظيم :

جاء في كتاب « محاسن الإسلام » للإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى : (ص ٤١) ما نصه :

« حُكيَ أنَّ الحجَّاج أحضرَ رجُلاً ، فأمرَ بضربِ عنقه ، فقال الرجل : أيُّها الأمير خذ بيدي ، وامشي معي إلى بساطك ، ثمَّ اصنع بي ما شئت .

فأجابه الحجَّاج ، فقال الرَّجلُ : بحقِّ الصُّحبة أن تعفوَ عنِّي ، فعفا عنه ، وقال : أتيتَ بشفيع عظيم .

فلم يضيِّع الحجَّاج صُحبة لحظة » .

١٧٨ـ أحببت أن أعوضهم عن أملهم بهذا :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله : (٤/ ١٣١) في ترجمة الإمام الفقيه أحد الكرماء الأجواد الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري إمام أهل مصر في الفقه والحديث رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الحارث بن مسكين :

اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرةً فاستغلوها ، فاستقالوه . فأقالهم ، ثم دعا بخريطة فيها أكياس ، فأمر لهم بخمسمئة دينار ، فقال له الحارث في ذلك ، فقال :

اللهمَّ غفراً ، إنَّهم كانوا أمَّلوا فيه أملاً ، فأحببت أن أُعوِّضهم من أملهم بهذا » .

١٧٩ـ لو ملت عدلناكَ كما يعدل السهم في الثقاب :

جاء في كتاب « منتخب كنز العمال » (٢/ ٧٩) ما نصه :

« عن موسى بن أبي عيسى ، قال :

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشربة بني حارثة ، فوجد محمد بن مسلمة ، فقال عمر :

كيف تراني يا محمد ؟

قال : أراك ـ والله ـ كما أُحِبُّ وكما يُحِبُّ من يُحبُّ لك الخير ، أراكَ قويًا على جمع الأموال ، عفيفاً عنه ، عدلاً في قَسْمه ، ولو ملت عدلناكَ كما يعدل السهم في الثقاب .

فقال عمر رضي الله عنه : هاه .

وقال : لو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب .

فقال : الحمد لله الذي جعلني في قومٍ إذا ملتُ عدلوني » .

١٨٠ـ أربعة لا أقدر على مكافأتهم :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله : (٣/ ٦٣) في ترجمة الصحابي الجليل أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي رضي الله عنهما ما نصه :

« قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

أربعة لا أقدر على مكافأتهم :

رجلٌ بدأني بالسلام .

ورجلٌ وسَّع لي في المجلس .

ورجلٌ اغبَرَّتْ قدماه في المشي في حاجتي .

فأمَّا الرابع فما يكافئه عنِّي إلاَّ الله عز وجل .

قيل : ومن هو ؟

قال : رجلٌ نزلَ به أمرٌ فبات ليلته يُفكِّر فيمن يقصده ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي » .

١٨١ـ ظلماتٌ خمسٌ وسُرُجٌ خمسٌ :

جاء في كتاب « مختصر المحاسن المجتمعة » للإمام أبي هريرة الصفوري رحمه الله تعالى : (ص ١٠١) ما نصه :

« قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه :

الظُّلماتُ خمسٌ ، ولكلٌ واحدةٍ سراج :

فالذُّنوبُ ظُلْمَةٌ ، وسِراجُها التَّوبة .

والقبرُ ظُلْمَةٌ ، وسِراجُهُ الصَّلاة .

والميزانُ ظُلْمَةٌ ، وسِراجُهُ لا إله إلاَّ الله .

والصِّراطُ ظُلْمَةٌ ، وسِراجُهُ اليقين .

والآخرةُ ظُلْمَةٌ ، وسِراجُها العملُ الصَّالح » .

١٨٢ـ ليس ذلك المال لي فأُعطيكَه :

جاء في كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم رحمهما الله تعالى : (ص ٦٣ـ٦٤) ما نصه :

« أتت عمَّةُ عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة ، فقالت :

إنّي أُريد كلامَ أمير المؤمنين .

قالت لها : اجلسي حتى يفرُغ .

فجلسَتْ ، فإذا بغلامٍ قد أتى ، فأخذ سِراجاً .

فقالت لها فاطمة :

إن كنت تريدينه فالآن ، إذا كان في حوائجِ العامَّةِ ، كتبَ على الشمع وإذا صار إلى حاجة نفسه ، دعا بسراجه .

فقامت ، فدخلَتْ عليه ، فإذا بين يديه أقراصٌ وشيءٌ من ملحٍ وزيت ، وهو يتعشى ، فقالت :

يا أمير المؤمنين ، أتيتُ بحاجةٍ لي ، ثُمَّ رأيتُ أن أبدأ بكَ قبل حاجتي .

قال : وما ذاكَ يا عمَّة ؟

قالت : لو اتَّخذتَ لك طعاماً ألْيَن من هذا .

قال : ليس عندي يا عمَّة ، ولو كان عندي لفعلتُ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، كان عمُّكَ عبد الملك يُجري عليَّ كذا وكذا ، ثُمَّ كان أخوكَ الوليد فزادني ، ثمَّ وُلِّيتَ أنتَ فقطعتَهُ عنِّي .

قال : يا عمَّة ، إنَّ عمِّي عبد الملك ، وأخي الوليد ، وأخي سليمان ، كانوا يعطونكِ من مال المسلمين ، وليس ذاك المال لي فأُعطيكِه ، ولكنِّي أُعطيكِ مالي إن شئتِ .

قالت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

قال : عطائي مئتا دينار ، فهل لك ؟

قال : وما يبلغ منِّي عطاؤك ؟

قال : فليس أملكُ غيره يا عمَّة .

قالت : فانصرفَتْ عنه » .

١٨٣ـ تمام العمل بخمس خصال :

جاء في كتاب « جامع العلوم والحكم » للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : (١/ ٢١٥) ما نصه :

قال أبو عبد الله الناجيُّ الزاهد رحمه الله :

خمسُ خصالٍ بها تمام العمل :

الإيمان بمعرفة الله عزَّ وجلَّ ، ومعرفةُ الحقِّ ، وإخلاصُ العمل لله ، والعملُ على السُّنَّة ، وأكلُ الحلال .

فإذا فُقدت واحدة ، لم يُرفع العمل .

وذلك ، إذا عرفت الله عزَّ وجلَّ ، ولم تعرف الحقَّ ، لم تنتفع .

وإذا عرفتَ الحقَّ ، ولم تعرف الله ، لم تنتفع .

وإن عرفت الله ، وعرفت الحقَّ ، ولم تخلص العمل ، لم تنتفع .

وإن عرفتَ الله ، وعرفت الحقَّ ، وأخلصت العمل ، ولم يكن على السُّنَّةِ ، لم تنتفع .

وإن تمَّت الأربع ، ولم يكن الأكل من حلال ، لم تنتفع » .

١٨٤ـ ما أبقيتُ لآخرتي :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله في ترجمة الإمام الفقيه الزاهد داود بن نصير الطائي أبو سليمان الكوفي رحمه الله تعالى : (٢/ ٢٦١) ما نصه :

« قال أبو الربيع الأعرج : دخلتُ على داود الطائي بيته بعد المغرب ، فقرَّبَ لي كُسَيْراتٍ يابسةٍ ، فعطشتُ ، فقُمتُ إلى دَنٍّ فيه ماءٌ حارّ ، فقلت :

رحمكَ الله ، لو اتَّخذتَ دَنًّا غير هذا يكون فيه الماءُ بارداً .

فقال لي : إذا كنتُ لا أشربُ إلاَّ بارِداً ، ولا آكُلُ إلاَّ طيِّباً ، ولا ألبسُ إلاَّ ليِّناً ، فما أبقيتُ لآخرتي ؟ » .

١٨٥ـ نِعْمَ الزَّادُ زادكَ يا حاتم :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله في ترجمة أوحد عصره في الزهد والورع حاتم بن عنوان الأصم البلخي رحمه الله (٢/ ٢٨) ما نصه :

« قال رجلٌ لحاتم الأصمِّ :

بَلَغني أنَّكَ تجوزُ المفاوزَ من غيرِ زادٍ .

فقال حاتم : بل أجوزُ بالزَّاد ، وإنَّما زادي فيها أربعةُ أشياء .

قال : وما هي ؟

قال : أرى الدُّنيا كلَّها مُلكاً لله ، وأرى الخَلقَ كُلَّهم عبادُ الله وعيالُه ، والأسباب والأرزاق بيد الله ، وأرى قضاءَ الله نافِذاً في كلِّ أرضِ الله .

فقال له الرَّجلُ : نِعْمَ الزَّادُ زادُكَ يا حاتم ، أنتَ تجوزُ به مفاوزَ الآخرة » .

١٨٦ـ أريدوا بعلمكم الله تعالى :

جاء في كتاب « تذكرة السامع والمتكلم » : (ص ٦٩) ما نصه :

« قال أبو يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ :

يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى ، فإنِّي لم أجلس مجلساً قطّ أنوي فيه أن أتواضعَ إلاَّ لم أقم حتى أعلوهم .

ولم أجلس مجلساً قطُّ أنوي فيه أن أعلوهم إلاَّ لم أقم حتى أُفتَضح » .

١٨٧ـ يكون عن حالي لتُسألَنَّهْ :

جاء في كتاب « الأحكام السلطانية » للإمام الماوردي رحمه الله تعالى : (ص ١٢٨ـ١٢٩) ما نصه :

« جاء أعرابي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :

يـا عمـر الخيـر جُـزيـتَ الجنَّـةْ اكْـسُ بُنيَّـاتـي وأُمَّهُنَّـهْ
وكُـنْ لنـا مـن الـزَّمـان جُنَّـةْ أُقسـمُ بـالله لتفعَلَنَّـهْ

فقال عمر رضي الله عنه : إن لم أفعلْ يكون ماذا ؟

قال :

إذاً أبا حفصٍ لأذهبَنَّهْ .

فقال : وإذا ذهبتَ يكونُ ماذا ؟

فقال :

يكـونُ عَـنْ حـالـي لتُسـأَلُنَّـهْ يـومَ تكـونُ الأُعطيـاتُ هِنَّـهْ
ومـوقـفُ المسـؤولِ بينَهُنَّـهْ إمّـا إلـى نـارٍ وإمّـا جَنَّـهْ

قال :

فبكى عمر رضي الله عنه حتى خضبت لحيته ، وقال :

يا غلام ، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشِعره ، إني والله لا أملكُ غيره » .

١٨٨ـ بر الفضل بن يحيى بأبيه :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى : (٣/ ٩٨) ما نصه :

« قال المأمون : لم أرَ أحداً أبرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من برِّه به أنَّ يحيى كان لا يتوضَّأُ إلاَّ بماءٍ مسخَّن ، وهما في السجن ، فمنعهما السَّجَّان من إدخال الحطبِ في ليلةٍ باردةٍ ، فقامَ الفضلُ حين أخذَ يحيى مضجعه إلى قُمْقُم كان يُسَخَّنُ فيه الماء ، فملأهُ ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهوَ في يده حتّى أصبح » .

١٨٩ـ فمَنْ لي من الله يوم القيامة ؟ :

جاء في كتاب « حياة الصحابة » للكاندهلوي رحمه الله تعالى (٢/ ٩٨) ما نصه :

« عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قام يوم الجمعة ، فقال :

إذا كان بالغداة ، فأحضروا صدقات الإبل نقسم ، ولا يدخل علينا أحدٌ إلاّ بإذن .

فقالت امرأةٌ لزوجها : خُذ هذا الخطام[١] ، لعل الله يرزقنا جملاً .

فأتى الرجل ، فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد دخلا إلى الإبل ، فدخل معهما ، فالتفت أبو بكر ، فقال :

ما أدخلكَ علينا ؟

ثم أخذَ منه الخطامَ ، فضربَهُ ، فلما فرغَ أبو بكر من قَسْمِ الإبل ، دعا بالرجل ، فأعطاه الخِطامَ ، وقال : استقد[٢] .

فقال له عمر : والله لا يستقيد ، لا تجعلها سُنَّةً .

فقال أبو بكر : فمَنْ لي من الله يوم القيامة ؟

فقال عمر : أرضه .

فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلةٍ ورَحْلِها ، وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بها » .

١٩٠ـ والله لا رضيتُ عنه إلاّ بمُرِّ الحقِّ :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : (ص ١٧٩ـ١٨٠) في ترجمة الخليفة الراشد الزاهد علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ، ما نصه :

---

(١) الخطام : الزمام الذي يقاد به الجمل .
(٢) استقاد : اقتص .

« عن زر بن حُبَيْش ، قال :

جلس رجلان يتغدّيان ، مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعا الغداء بين أيديهما ، مر بهما رجل فسلّم .

فقالا :

اجلس وتغدَّ .

فجلس ، وأكل معهما ، واستووا في أكل الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم ، وقال :

خذاها عوضاً مما أكلت لكما ، ونلتُه من طعامكما .

فتنازعا ، فقال صاحب الخمسة أرغفة :

لي خمسةُ دراهم ، ولك ثلاثة .

وقال صاحب الأرغفة الثلاثة :

لا أرضى إلاَّ أن تكون الدراهم بيننا نصفين .

فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليٍّ ، فقصَّا عليه قصتهما ، فقال لصاحب الأرغفة الثلاثة :

قد عرض عليك صاحبك ما عرض ، وخبزه أكثر من خبزك ، فارضَ بالثلاثة .

فقال : والله لا رضيتُ عنه إلاَّ بمُرِّ الحقِّ .

فقال عليٌّ : ليس لك في مُرِّ الحقِّ إلاَّ درهم واحد ، وله سبعة دراهم .

فقال الرجل : سبحان الله! قال : هو ذلك .

قال : فعَرِّفني الوجه في مُرِّ الحقِّ حتى أقبله .

فقال عليٌّ : أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون ثلثاً ، أكلتموها أنتم ثلاثة أنفس ، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقلّ ؟

فتُحملون في أكلكم على السَّواء .

قال : فأكلتَ أنت ثمانية أثلاثٍ ، وإنما لك تسعةُ أثلاث ، وأكل

صاحبك ثمانية أثلاثٍ ، وله خمسة عشرَ ثُلثاً ، أكل منها ثمانيةً ، وبقي له سبعة ، أكلها صاحب الدراهم ، وأكل لك واحداً من تسعة ، فلك واحد بواحد ، وله سبعة .

فقال الرجل : رضيتُ الآن » .

١٩١ـ العفو يسعهم :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٣/ ١٥) في ترجمة التابعي الجليل القدر ، وافر العلم ، عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالى ما نصه :

« كلَّم الشعبيُّ عمر بن هبيرة الفِزاريّ أمير العراقين في قومٍ حبسهم ، ليطلقهم ، فأبى ، فقال له :

أيها الأمير إن حبستهم بالباطل ، فالحقُّ يُخرِجهم ، وإن حبستهم بالحقِّ ، **فالعفو يسعُهم** .

فأطلقهم » .

١٩٢ـ صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في ترجمة الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد رحمه الله (ص ٣٢٠) ما نصه :

« عن ابن أبي دؤاد قال :

دخل رجل من الخوارج على المأمون ، فقال له المأمون :

ما حملك على خلافنا ؟ قال : آية من كتاب الله .

قال : وما هي ؟

قال : قوله تعالى :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

قال : أَلكَ علمٌ بأنها منزلةٌ ؟

قال : نعم .

قال : وما دليلك ؟ قال : إجماع الأُمَّة .

قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل ، فارضَ بإجماعهم في التأويل .

قال : صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين » .

١٩٣ـ أدب التعامل :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى (١/ ٢٦٧) ما نصه :

« قال بكر بن عبد الله :

إذا رأيت أكبر منكَ ، فقل : سبقني بالإسلام ، والعمل الصالح ، فهو خير مني .

وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ ، فقل : سبقته بالذُّنوب والمعاصي ، فهو خيرٌ منِّي .

وإذا رأيتَ إخوانكَ يكرمونكَ ، فقل : نعمةٌ أحدثوها .

وإذا رأيتَ منهم تقصيراً : فقل : بذنبٍ أحدثتُه » .

١٩٤ـ أقبل على شأنك :

جاء في « طبقات الشافعية » للإمام السبكي رحمه الله : (٦/ ١٠٣٢) في ترجمة الإمام الفقيه محمد بن عبد الكريم القزويني الرافعي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قال الإمام الرافعيُّ عن بعض أحوال أبيه محمد بن عبد الكريم القزويني الرافعيّ :

وحكى لي الحُسين بن عبد الرحيم المؤذّن ، وهو رجلٌ صالحٌ : أنَّ والدي خرج ليلةً لصلاة العشاء ، وكانت ليلةً مُظلمةً ، قال :

فرأيتُ نوراً ، فحسبتُ أنَّ معه سِراجاً ، فلمّا وصلَ إليّ لم أجد معه شيئاً ، فذكرتُ له ، فلم يعجبه وقوفي على حاله ، وقال لي :

أقبل على شأنك » .

١٩٥ـ احفظ عني أربعاً وأربعاً :

جاء في كتاب « كنز العمال » للمتقي الهندي (١٦/ ٢٢٦ـ٢٢٧) و « تاريخ الخلفاء » للسيوطي رحمه الله : (ص ١٨٤) في ترجمة الخليفة الراشد الزاهد علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ، ما نصه :

« عن عقبة بن أبي الصهباء قال :

لما ضربَ ابنُ مُلْجَم عليًا دخل الحسنُ وهو باكٍ ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه :

يا بُنيَّ احفظ عنِّي أربعاً وأربعاً .

قال : وما هنَّ يا أبتِ ؟

قال : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحُمق ، وأوحش الوحشة العُجْب ، وأكرمُ الكرم حُسنُ الخُلُق .

قال : فالأربعُ الأُخر ؟

قال : إيَّاكَ ومُصاحبةَ الأحمق ، فإنَّه يريدُ أن ينفعكَ فيضرُّكَ ، وإيَّاكَ ومصادقة البخيل ، فإنَّه يقعدُ عنكَ أحوج ما تكون إليه ، وإيَّاكَ ومصادقة الفاجر ، فإنَّه يبيعكَ بالتافه » .

١٩٦ـ قد استجاب الله دعوتك :

جاء في « طبقات الشافعية » للسبكي رحمه الله : (٣/ ٢٢٧) ما نصه :

« قال حسَّان بن محمد أبو الوليد النيسابوري : قالت لي والدتي :

كنتُ حاملاً بك ، وكان للعباس بن حمزة مجلس ، فاستأذنتُ أباكَ أن أحضرَ مجلسه ، في أيام العشر ، فأذن لي ، فلما كان في آخر المجلس ، قال العباس بن حمزة :

قوموا ، فقاموا ، وقمت معهم ، فأخذ العبَّاس يدعو ، فقلت :

اللهم هب لي ابناً عالماً .

فرجعتُ إلى المنزل ، فبِتُّ تلك الليلة ، فرأيت فيما يرى النائم ، كان رجلاً أتاني ، فقال :

أبشري ، فإنَّ الله قد استجاب دعوتك ، ووهب لك ولداً ذكراً ، وجعله عالماً ، ويعش كما عاش أبوك .

قالت : وكان أبي عاش اثنتين وسبعين سنة .

قال الأُستاذ : وهذه تمت لي اثنتان وسبعون سنة .

قال الحاكم : فعاش الأستاذ بعد هذه الحكاية أربعة أيام » .

١٩٧ـ الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ١٩٣) في ترجمة الخليفة الراشد الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد سبط رسول الله ﷺ الهاشمي رضي الله عنه ، ما نصه :

« عن أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه ، قال :

أضاق الحسنُ بن عليٍّ ، وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف ، فحبسها معاويةُ في إحدى السنين ، فأضاق إضاقةً شديدةً ، ثم قال :

فغدوتُ بدواةٍ لأكتب إلى معاوية ، لأذكِّره بنفسي ، ثم أمسكت .

فرأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال :

« كيف أنت يا حسن ؟ »

فقلت : بخير يا أبتِ ، وشكوتُ إليه تأخُّر المال عنِّي .

فقال : « أدعوتَ بدواةٍ لتكتبَ إلى مخلوقٍ مثلكَ تُذكِّرُه ذلك ؟ »

فقلتُ : نعم يارسول الله ، فكيف أصنع ؟

فقال : « قل : اللهم اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عمَّن سِواكَ حتى لا أرجو أحداً غيركَ . . اللهمَّ وما ضَعُفَتْ عنه قُوَّتي ، وقصَّر عنه عملي ، ولم تنتهِ إليه رغبتي ، ولم تَبْلُغْه مسألتي ، ولم يَجْرِ على لساني مما أعطيتَ أحداً من الأوَّلين والآخرين من اليقين فخصَّني به يا ربَّ العالَمين » .

قال : فوالله ما ألححتُ به أسبوعاً حتى بعثَ إليَّ معاويةُ بألفِ ألفِ وخمسمئة ألفِ .

فقلتُ : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يُخيِّب من دعاه .

فرأيت النَّبي ﷺ في المنام ، فقال :

« يا حسنُ ، كيف أنت ؟ » .

فقلتُ : بخير يارسول الله ، وحدَّثته بحديثي ، فقال :

« يا بُنيَّ ، هكذا من رجا الخالق ، ولم يرجُ المخلوق » . . » .

١٩٨ـ ما سمعتُ مثل هذا الكلام :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله (٢/ ٢٨٦) في ترجمة الصالحة المشهورة أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية والتي كانت من أعيان عصرها رحمها الله تعالى ، ما نصه :

« لقي سفيان الثوري رابعة ـ وكانت زريَّة الحال ـ فقال لها :

يا أم عمرو ، أرى حالاً رثَّةً ، فلو أتيتِ جاركِ فُلاناً لغيَّرَ بعض ما أرى .

فقالت له : يا سفيان ، وما ترى من سوء حالي ؟ ألستُ على الإسلام ، فهو العزُّ الذي لا ذُلَّ معه ، والغنى الذي لا فقر معه ، والأُنس الذي لا وحشةَ معه ، والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها ؟

فقام سفيان وهو يقول : ما سمعتُ مثل هذا الكلام » .

١٩٩ـ خصال جمعت خير الدنيا والآخرة :

جاء في كتاب « بستان العارفين » للإمام النووي رحمه الله تعالى : (ص ٨٥) ما نصه :

« قال الإمام الشافعيُّ رحمه الله تعالى :

خير الدنيا وخير الآخرة في خمسِ خصال :

غِنى النَّفس ، وكفُّ الأذى ، وكَسْبُ الحلال ، ولباسُ التقوى ، والثِّقةُ بالله عزَّ وجلَّ على كلِّ حال » .

٢٠٠ـ إن كان لك دين ، فإن لك حسباً :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٢/ ٢٤٧) ما نصه :

« تفاخر صفوان بن أُميَّة مع رجلٍ ، فقال له صفوان :

أنا صفوان بن أُميَّة بخٍ ، بخٍ .

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ويلك .

إن كان لك دين ، فإن لك حسباً .

وإن كان لك عقل ، فإن لكَ أصلاً .

وإن كان لك خُلُقٌ ، فلك مروءة .

وإلاَّ فأنت شرٌّ من حمار » .

٢٠١ـ ما حسنت بك الحياة :

جاء في كتاب « أدب الدنيا والدين » لأبي الحسن الماوردي رحمه الله تعالى (ص ٣٣) ما نصه :

« ذُكر أن إبراهيم بن المهديِّ دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون

في الفقه ، فقال : يا عمّ ، ما عندك فيما يقول هؤلاء ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، شغلونا في الصِّغَر ، واشتغلنا في الكبر .

فقال : لم لا تتعلمه اليوم ؟

قال : أوَيَحْسُنُ بمثلي طلبُ العِلم ؟

قال : نعم ، والله لأن تموتَ طالباً للعلم ، خير من أن تعيش قانعاً بالجهل .

قال : وإلى متى يَحسنُ بي طلبُ العِلْم ؟

قال : ما حَسُنَتْ بكَ الحياة ، لأن الصغير أعذر ، وإن لم يكن في الجهل عُذْر ، لأنَّه لم تَطُل به مدَّة التفريط ، ولا استمرَّتْ عليه أيام الإهمال » .

٢٠٢ـ من لم يصن نفسه ، لم ينفعه علمه :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للإمام السبكي رحمه الله تعالى : (٢/ ٩٩) ما نصه :

« قال الشافعي رحمه الله تعالى :

مَنْ تعلَّمَ القرآن ، عَظُمَتْ قيمتُه .

ومَنْ نظرَ في الفقه ، نَبُلَ قَدْرُه .

ومَنْ كتَبَ الحديث ، قَوِيَتْ حُجَّتُه .

ومَنْ نظَرَ في اللُّغة ، رَقَّ طبعُه .

ومَنْ نظَرَ في الحساب ، جَزُلَ رأيُه .

ومَنْ لم يصُنْ نفسهُ ، لم ينفعهُ عِلْمُه » .

٢٠٣ـ الفضل في الحالين له :

جاء في كتاب « الأنوار في صحبة الأخيار » لعبد الوهاب الشعراني رحمه الله : (ص ٥٦ـ٥٧) ما نصه :

« كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يزورُ تلميذه الإمام أحمد بن حنبل كثيراً ، ويزورُه الآخر كثيراً .

فقيل للشَّافعيِّ في ذلك ، فأنشد رحمه الله :

قـالـوا يـزورُكَ أحمـدٌ وتـزورُهُ ... قلـتُ الفضـائـل لا تغـادرُ منزلَـهْ
إن زارَنـي فبفضلِـهِ ، أو زُرتُـهُ ... فلفَضْلِهِ ، والفضلُ في الحالَيْنِ لَهْ

فأجابه الإمام أحمد رضي الله عنه :

إن زُرتَنـا فبفضـلٍ فيـكَ تمنحُنـا ... أو نحنُ زُرنا فللفضلِ الذي فيكا
فلا عَدِمْنا كلا الحالَينِ منكَ ولا ... نـالَ الـذي يتمنَّى فيـكَ شـانيكـا »

٢٠٤ ـ اركب أنت بنفسك حتى تُحصِّنه لها :

جاء في كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم رحمه الله : (ص ٦٦ـ٦٧) ما نصه :

« كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحدٌ من الناس إذا خرج كتاباً إلاَّ حمله .

فخرجَ بريدٌ من مصر ، فدفعت إليه فرتونةُ السوداءُ مولاةُ ذي أصْبَح كتاباً تذكرُ فيه أن لها حائطاً قصيراً ، وأنَّه يُقتحَمُ عليها منه ، فيُسرقُ دجاجُها ، فكتبَ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاةِ ذي أصْبَح ، بلَغَني كتابُكِ وما ذكرتِ من قِصَرِ حائطكِ ، وأنَّه يُدخَلُ عليكِ فيه ، فيُسرَقُ دجاجُكِ ، فقد كتبتُ لكِ كتاباً إلى أيُّوبَ بن شُرَحْبيل ـ وكان أيُّوب عامله على صلاة مصر وحربها ـ آمُرُه أن يبني لكِ ذلك حتى يُحصِّنه لكِ ممّا تخافينَ إن شاء الله ، والسَّلام .

وكتبَ إلى أيُّوب بن شُرَحْبيل :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شُرَحْبيل ، أمّا بعد :

فإنَّ فرتُونة مولاةُ ذي أصْبَح كتبت إليَّ تشكو قصر حائطها ، وأنه يُسرقُ

دجاجُها ، وتسألُ تحصينَهُ لها ، فإذا جاءكَ كتابي هذا ، فاركَبْ أنتَ بنفسِكَ إليه حتى تُحصِّنه لها .

فلمّا جاءَ الكتابُ إلى أيُّوب ، ركبَ ببدنه حتى أتى الجيزة يسألُ عن فرتونة ، حتى وقع عليها ، وإذا هي سوداء مسكينة ، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها ، وحصَّنَهُ لها » .

٢٠٥ـ هذا مقامي بين يديك :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله (٤/ ٣٢) في ترجمة العابدة الزاهدة حبيبة العدوية رحمها الله تعالى ما نصه :

« قال عبد الله المكِّيُّ أبو محمد :

كانت حبيبة العدوية إذا صلَّت العتمة قامت على سطحٍ فشدَّت عليها درعها وخمارها فقالت :

إلهي ، غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلَّقت الملوك أبوابها ، وبابكَ مفتوح ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه ، **وهذا مقامي بين يديك** .

فإذا كان السَّحَرُ قالت :

اللهمَّ ، وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفَر ، فليت شعري هل قبلتَ منِّي ليلتي فأهنا ، أم رَدَدْتَها عليَّ فأُعزى ؟

فوعزَّتِكَ ، لهذا دَأبي ودأبُكَ أبداً ما أبقيتني .

وعِزَّتِكَ ، لو انتهرتَني مابرحتُ من بابكَ ، ولا وقَعَ في قلبي غيرُ جُودِكَ وكرمِكَ » .

٢٠٦ـ فوائد ارتياد المساجد :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى : (٣/ ٣) ما نصه :

« عن عُمَير بن المأمون ، قال :

سمعتُ الحسن بن عليٍّ يقول :

من أدامَ الاختلاف إلى المساجد أصابَ ثماني خصال :

آية محكمة ، وأخاً مستفاداً ، وعِلماً مُستطرَفاً ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدلُّه على هدًى ، أو تردعه عن ردى ، وتركُ الذُّنوب حياءً أو خشيةً » .

٢٠٧ـ بل تاركني :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى (٢/ ٢١) ما نصه :

« أتى رجل الوليد بن عبد الملك ، وهو على دمشق لأبيه ، فقال للأمير : عندي نصيحة .

فقال : إن كانت لنا ، فأظهرْها ، وإن كانت لغيرنا ، فلا حاجة لنا فيها .

قال : جارٌ لي عصى ، وفرَّ من بَعْثِه .

قال : أما أنت فتُخبرُ أنَّك جارُ سوءٍ ، فإن شئتَ أرسلنا معك ، فإن كنتَ صادقاً ؛ أقصيناكَ ، وإن كنت كاذباً ، عاقبناك ، وإن شئت ، تاركناك .

قال : بل تارِكْني » .

٢٠٨ـ علمت أنها علامة القبول :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للإمام السبكي رحمه الله تعالى : (٥/ ٢٦٨) في ترجمة الإمام الفقيه أبي الحسن الماوردي رحمه الله تعالى ما نصه :

« قيل : إن أبا الحسن الماوردي لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته ، وجمعها في موضعٍ ، فلمّا دنَتْ وفاتُه ، قال لمن يثق به :

الكتب التي في المكان الفُلاني كلُّها تصنيفي ، وإنما لم أُظهرها ؛ لأنِّي لم أجد نيَّةً خالصة ، فإذا عاينت الموت ، ووقعت في النَّزْع ، فاجعل يدك في يدي ، فإن قبضت عليها وعصرتها ، فاعلم أنَّه لم يُقبل منِّي شيء منها ،

فاعمد إلى الكُتُب وألقِها في دِجلَة ، وإن بسطتُ يدي ، ولم أقبض على يدكَ ، فاعلم أنها قد قُبِلَتْ ، وأنّي قد ظفرتُ بما كنتُ أرجوه من النيَّة .

قال ذلك الشَّخص : فلمَّا قاربَ الموتَ ، وضعتُ يدي في يده ، فبسطَها ، ولم يقبض على يدي ، فعلمتُ أنّها علامةُ القَبُول ، فأظهرتُ كُتبَه بعدَه » .

٢٠٩ـ منهج التعامل مع الناس :

جاء في كتاب « أدب الدنيا والدين » لأبي الحسن الماوردي رحمه الله : (ص ٢٣١) ما نصه :

« حُكيَ عن الأحنف بن قيس أنَّه قال :

ما عاداني أحدٌ قطُ إلاَّ أخذتُ في أمره بإحدى ثلاثِ خِصال :

إن كان أعلى منِّي ، عرفتُ له قَدْرَه .

وإن كان دوني ، رفعتُ قَدْري عنه .

وإن كان نظيري ، تفضَّلتُ عليه . » .

٢١٠ـ لو احتجتُ إلى مالكَ ما وعظتُكَ :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٢٦٥) في ترجمة الخليفة العباسي المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي العباسي الهاشمي رحمه الله ما نصه :

« عن محمد بن منصور البغدادي قال :

قام بعض الزُّهَّاد بين يدي المنصور فقال : إن الله أعطاكَ الدُّنيا بأسرها ، فاشترِ نفسكَ ببعضها ، واذكر ليلة تبيتُ في القبرِ لم تبت قبلها ليلة ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده .

فأفحم المنصور ، وأمر له بمال ، فقال :

لو احتجتُ إلى مالكَ ما وعظتُكَ » .

٢١١ـ اقضِ القضا يا كعب لا تردده :

جاء في كتاب « الأحكام السلطانية » لأبي الحسن الماوردي رحمه الله (ص ٩٢) وكتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله (ص ١٤١) في ترجمة الخليفة الراشد الفاروق العادل عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنه ، ما نصه :

« روى الزُّبَير بن بكّار :

أن امرأةً أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت :

يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم النهار ، ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله .

فقال لها : نِعْمَ الزَّوجُ زوجُكِ .

فجعلت تكرِّرُ عليه القول ، وهو يُكرِّرُ عليها الجواب .

فقال له كعب بن سوار الأسدي : يا أمير المؤمنين ، هذه امرأةٌ تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه .

فقال له عمر رضي الله عنه : كما فهمت كلامها ، فاقضِ بينهما .

فقال كعب : علي بزوجها . فأُتيَ به .

فقال : إنَّ امرأتكَ تشكوكَ .

فقال : أفي طعامٍ أو شراب ؟

قال : لا في واحد منهما .

فقالت المرأة من الرجز :

يـا أيهـا القـاضـي الحكيـمُ رُشـدهْ	ألهى خليلي عن فراشي مسجدُهْ
زهَّـدَهُ فـي مضجعـي تعبُّـدُهْ	نهـارُهُ وليلُـهُ مـا يـرقُـدُهْ
فلسـتُ فـي أمـرِ النسـاءِ أحمَـدُهْ	**فـاقـضِ القضـا يـا كعـبُ لا تَـرِدُدُهْ**

فقال الزَّوجُ من الرَّجز :

زهَّدَني في فَرْشِها وفي الحَجلْ أنّي امرؤٌ أذهلَني ما قد نزَلْ
في سورة « النَّحل » وفي السَّبعِ الطُّوَلْ وفي كتابِ اللهِ تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب من الرَّجز :

إنَّ لها حقًّا عليك يا رجُلْ نصيبُها في أربعٍ لمَنْ عَقِلْ
فأعطها ذاكَ ودَعْ عنكَ العِلَلْ

ثم قال له : إن الله قد أحلَّ لكَ من النِّساءِ مثنى وثلاث ورباع ، فلكَ ثلاثةُ أيَّامٍ ولياليهنَّ تعبدُ فيهنَّ ربَّكَ ، ولها يومٌ وليلةٌ .

فقال عمر لكعب رضي الله عنهما : والله ما أدري من أيِّ أمْرَيْكَ أعجبُ أمن فهمكَ أمرهما ، أم من حُكمِكَ بينهما ؟! اذهَبْ فقد ولَّيتُكَ القضاءَ بالبصرة » .

٢١٢ـ لا أزعمُ أنَّه ابتلاني ، وقد عافاني :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٤٠) في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ، ما نصه :

« خطب الحجاج بن يوسف في يوم جمعةٍ فأطالَ الخُطْبَة ، فقام إليه رجل ، فقال :

إن الوقت لا ينتظركَ ، والرَّبُّ لا يعذركَ .

فأمر به إلى الحبس ، فأتاه آل الرجل ، فقالوا :

إنَّه مجنون .

فقال : إن أقرَّ على نفسه بما ذكرتُم ، خَلَّيتُ سبيله .

فقال الرجل : لا والله ، **لا أزعمُ أنَّه ابتلاني ، وقد عافاني** » .

٢١٣ـ الذي يغفر زلَلي :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى : (٣/ ١٧) ما نصه :

« قيل لخالد بن صفوان :

أيُّ إخوانكَ أحبُّ إليكَ ؟

قال : الذي يغفرُ زَلَلي ، ويقبَلُ عِلَلي ، ويسدُّ خلَلي » .

٢١٤ـ لا يضيق سَمُّ الخياطِ على متحابين :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (٣/ ١٢) ما نصه :

« قال اليزيديُّ :

رأيتُ الخليل بن أحمد ، فوجدتُه قاعداً على طِنْفِسَةٍ ، فأوسعَ لي ، فكرهتُ التضييقَ عليه .

فقال : إنَّه لا يضيقُ سَمُّ الخياطِ على مُتحابَّيْنِ ، ولا تسعُ الدُّنيا مُتباغِضَيْن » .

٢١٥ـ أردت أن أحفظ عليه دينه :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للإمام السبكي رحمه الله (٥/ ٥٥) ما نصه :

« قال القاضي حسين :

كنت عند القفَّال ، فأتاه رجلٌ قَرويٌّ ، وشكا إليه أن حماره أخذه بعض أصحاب السلطان ، فقال له القفَّال :

اذهب فاغتسل ، وادخل المسجد ، وصلِّ ركعتين ، واسأل الله تعالى أن يردَّ عليكَ حمارك .

فأعاد عليه القرويُّ كلامه ، فأعاد القفَّال ، فذهب القرويُّ ، ففعلَ ما أمره به ، وكان القفَّال قد بعثَ من يردُّ حماره ، فلمّا فرغَ من صلاته ، رُدَّ الحمار ، فلما رآه على باب المسجد ، خرج ، وقال :

الحمد لله الذي ردَّ عليَّ حماري .

فلمّا انصرف ، سُئلَ القفَّال عن ذلك ، فقال :

أردتُ أن أحفظَ عليه دينه كي يحمد الله تعالى » .

٢١٦ـ لا يمكَّن حتى يبتلى :

جاء في كتاب « الفوائد » للإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى (ص ٢٦٩) ما نصه :

« سأل رجل الشافعي فقال :

يا أبا عبد الله ، أيُّما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يُبتلى ؟

فقال الشافعي :

لا يمكَّن حتى يُبتلى ، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلمّا صبروا مكَّنَهم ، فلا يظنُّ أحد أن يخلص من الألم البتَّة » .

٢١٧ـ موتُ هذا خيرٌ من حياته :

جاء في كتاب « الجواب الكافي » للإمام ابن القيّم رحمه الله (ص ١٨٤) ما نصه :

« قال ابن القيّم رحمه الله :

وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبديّة في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضَّنك في العذاب الأليم .

وهو يمرُّ مرَّ السحاب ، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم ، فإذا قطع

وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموتُ هذا خيرٌ له من حياته » .

٢١٨ـ كان يصنع ذلك بنا :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (ص ٢٢٩) ما نصه :

« قال عبد الله بن عبد الملك رحمه الله :

كنا مع أبينا في موكبه فقال :

سَبِّحوا حتى تأتوا تلك الشجرة ، فنُسبِّح حتى نأتيها ، فإذا رفعت لنا شجرة أخرى ، قال :

كَبِّروا حتى تأتوا تلك الشجرة .

فكان يصنعُ ذلك بنا » .

٢١٩ـ علم الحال ، وعلم الوقت :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله (٥/ ٢٧) في ترجمة أحد الموصوفين بالعبادة والاجتهاد ، وكثرة الدرس للقرآن أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء ، أبي العبّاس الأدمي الصوفي رحمه الله ما نصه :

« عن محمد بن علي بن المأمون قال :

سُئل أحمد بن عطاء عن قول النَّبي ﷺ :

« طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم » .

فقال : علم الحال ، وعلم الوقت ، وعلم السر ، فمن جهل وقته وما عليه ، فقد جهل العلم الذي أُمر به » .

٢٢٠ـ انظر ممّا نجّاكَ الله :

جاء في كتاب « التوابين » لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى (ص ٢٢٦) ما نصه :

« عن يوسف بن الحسين (زاهد من العلماء) :

كنت مع ذي النون المصري على شاطىء غدير ، فنظرتُ إلى عقرب أعظم ما يكون على شطِّ الغدير واقفة :

فإذا بضفدعة قد خرجت من الغدير ، فركبتها العقرب ، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت .

فقال ذو النون : إن لهذه العقرب لشأناً فامضِ بنا .

فجعلنا نقفو أثرها ، فإذا برجل نائم سكران ، وإذا حيَّةٌ قد جاءت فصعدت من ناحية سُرَّته إلى صدره ، وهي تطلب أذنه ، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها ، فانقلبت وانفسخت ، ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت .

فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال :

يا فتى! **انظر ممّا نجّاكَ الله** ، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك ، ثم أنشأ ذو النون يقول :

يا غافلاً والجليل يحرسه ... من كل سوءٍ يدبُّ في الظُّلَمِ
كيف تنامُ العيون عن ملك ... تأتيه من فوائدِ النِّعَمِ

فقال السكران بعد أن أفاق :

إلهي! هذا فعلكَ بمن عصاك ، فكيف رفقكَ بمن يطيعك ؟ » .

٢٢١ـ سبق المقرَّبون :

جاء في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ (٢/ ٢٨٢) ما نصه :

« سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر رضي الله عنه :

فقال له : من سبق ؟

قال : سبق المُقرَّبون .

قال : إنَّما أسألكَ عن الخيل ؟

قال : وأنا أُجيبكَ عن الخير » .

٢٢٢ـ إنَّما يسبقُ من الخيل المُضمرة :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (١/ ٥٦٠) في ترجمة الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ما نصه :

« أنه كان يصوم حتى يعود كالخلال[١] ، فقيل له :

لو أجْمَمْتَ[٢] نفسكَ ؟

فقال : هيهات إنما يسبقُ من الخيل المُضمرة » .

٢٢٣ـ أعزُّ الأشياء شيئان :

جاء في كتاب « الحدائق » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٣/ ٢٣٥) ما نصه :

« كان بعض الحكماء يقول :

أعزُّ الأشياء شيئان ، قلبكَ ووقتكَ ، فإذا أهملتَ قلبكَ وضيَّعتَ وقتكَ فقد ذهبت منك الفوائد » .

٢٢٤ـ الهمّة وصدق الرغبة والعزيمة :

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله (١/ ١٣١) ما نصه :

---

(١) الخلال : العود الذي تخلل به الأسنان .

(٢) أجممت : تركتها تستريح .

« قال الغزالي : فالكَيِّسُ يقطعُ من المسافة بصحّة العزيمة ، وعلوِّ الهِمَّة ، وتجريد القَصد ، وصحّةِ النيّة ، مع العمل القليل أضعاف أضعافَ ما يقطعُه الفارغُ من ذلك ، مع التّعب الكثير ، والسفر الشّاق ، فإن العزيمة والمحبّة تُذهب المشقَّة وتُطيِّبُ المسير والتقدم ، والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم ، وصدق الرغبة ، والعزيمة ، فيتقدم صاحبُ الهمَّة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل ، فإن ساواه في هِمَّته تقدَّم عليه بعمله » .

٢٢٥ـ لا أسبقُه إلى شيء أبداً :

أخرج أبو داود في الزكاة برقم (١٦٧٨) والترمذي في المناقب (٣٦٧٦) وقال : حسن صحيح ، ما نصه :

« قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق ووافق ذلك منِّي مالاً فقلت : اليوم أسبقُ أبا بكر ـ إن سبقته ـ

قال : فجئت بنصف مالي .

فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيتَ لأهلك ؟

فقلت : مثله .

وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده .

فقال : يا أبا بكر ، ما أبقيتَ لأهلك ؟

قال : أبقيتُ لهم الله ورسوله .

قلت : لا أسبقُه إلى شيءٍ أبداً » .

٢٢٦ـ يعطي فقراء المدينة :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله (٢/ ٩٦) في ترجمة الإمام الفقيه الربّاني علي بن الحسين الهاشمي زين العابدين رحمه الله :

« عن عمر بن ثابت رحمه الله قال :

لمّا مات علي بن الحسين ـ رحمه الله ـ فغسلوه وجعلوا ينظرون إلى آثارٍ سودٍ في ظهره ، فقالوا : ما هذا ؟

فقالوا : كان يحملُ جُرَب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء المدينة (وفي رواية) : إنه عندما كان يسير بالليل يقول :

إن صدقة السرِّ تُطفىء غضب الرَّبِّ عزَّ وجلَّ » .

٢٢٧ـ يا أبا محمد ما الذي أبكاك ؟ :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله (٢/ ٢٩٣) في ترجمة الإمام المحدِّث الفقيه سفيان بن عُيَينة الهلالي رحمه الله تعالى :

« قال رجل : كنتُ أمشي مع سفيان بن عُيَينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى .

فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك ؟

قال : أيُّ مصيبة أعظم من أن يؤمّل فيك رجلٌ خيراً فلا يُصيبه ؟ » .

٢٢٨ـ أضرار الشِّبع :

جاء في كتاب « تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم » للكناني رحمه الله (ص ٧٤) ما نصه :

« قال الشافعي رحمه الله :

ما شبعتُ منذ ست عشرة سنة ، وسبب ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب ، وكثرته جالبة للنوم ، والبلادة ، وقصور الذهن ، وفتور الحواس ، وكسل الجسم ، هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية » .

٢٢٩ـ ارفق بنفسك :

جاء في « طبقات الشافعية » للإمام السبكي رحمه الله تعالى (٤/ ٢٨٣) في ترجمة إمام وقته في الزُّهد الجُنَيد بن محمد البغدادي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال الجريري :

كنتُ واقفاً على رأس الجُنَيد في وقت وفاته ، وهو يقرأ القرآن .

فقلت له : **ارفق بنفسك** .

فقال لي : يا أبا محمد ، أرأيتَ أحداً أحوجُ إليه منِّي في هذا الوقت ، وها أناذا تُطوى صحيفتي ؟

وكان قد ختم القرآن الكريم ثم بدأ بالبقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله » .

٢٣٠ـ ثمرة شجرته طيِّبة :

جاء في كتاب « الفوائد » للإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى (ص ١٦٤) ما نصه :

« قال ابن القيم رحمه الله :

السنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، والأنفاس ثمرها ، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فثمرة شجرته طيِّبة » .

٢٣١ـ إن هذا لا يحل لك :

جاء في كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » للإمام ابن القيّم رحمه الله (ص ٧٠) ما نصه :

« قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

وأعرف من أصابه مرض من صداع وحمى ، وكان الكتاب عند رأسه ،

فإذا وجد إفاقة قرأ فيه ، فإذا غُلِبَ وضعَهُ ، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك فقال :

إن هذا لا يحل لك ، فإنك تعين على نفسك وتكون سبباً لفوات مطلوبك » .

٢٣٢ـ اشتغال دائم بالمطالعة والقراءة :

جاء في كتاب « بستان العارفين » للإمام النووي رحمه الله تعالى (ص ٧٩) ما نصه :

« يقول الشيخ عبد العظيم نقلاً عن إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي :

ولم أر ولم أسمع أحداً أكثر اجتهاداً منه في الاشتغال ، كان دائم الاشتغال في الليل والنهار .

وقال : جاورتُه في المدرسة يعني القاهرة ، بيتي فوق بيته اثنتي عشرة سنة ، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي في ساعة من ساعات الليل ، إلا وجدت ضوء السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم حتى كان في حال الأكل والكتاب والكتب عنده يشتغل فيها » .

٢٣٣ـ آخ الإخوان على قدر التقوى :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٢) ، و « سيرة عمر بن الخطاب » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١٧٧ـ١٧٨) ما نصه :

« قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه :

مَنْ عرَّض نفسه للتُّهمة فلا يَلومَنَّ مَنْ أساءَ به الظَّنَّ ، ومَنْ كتم سرَّه كانت الخيَرَةُ بيده ، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنه ، حتى يأتيكَ ما يغلبك عليه ، ولا تظُنَّنَّ بكلمةٍ خرجت من امرىءٍ مُسلِمٍ شرًا ، وأنت تجدُ لها في الخير

مَخْرَجاً ، وعليك بإخوان الصِّدق فكِسْ[1] في اكتسابهم ، فإنهم زينة في الرَّخاء ، عُدة في البلاء ، ولا تهاوَنْ في الحَلفِ بالله فيُهينُكَ ، وعليك بالصِّدقِ ولو قتلَكَ ، ولا تعتَز إلى مَنْ لا يُغنيكَ ، واعتزِلْ عدوَّكَ ، واحذَرْ صديقكَ إلاَّ الأمين ، والأمينُ من خشي الله تعالى ، ولا تَصْحَبْ الفاجرَ فتتعلَّم من فُجوره ، ولا تُطلِعْهُ على سِرِّكَ فيفضحك ، وتخشَّع عند القبور ، وآخِ الإخوان على قدر التَّقوى ، ولا تَستَعِنْ على حاجتك من لا يُحبُّ نجاَحَها لك ، وشاوِرْ في أمركَ الذين يخافونَ الله عزَّ وجلَّ » .

٢٣٤ـ إن الملوك لا يُستحى من مسألتهم :

جاء في كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني (١٤/ ٩٤ـ٩٥) في ترجمة الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة وهو صحابي رضي الله عنه ، ما نصه :

« قال أبو الحسن المدائني :

كان لبيدُ بن ربيعةَ لا يمُرُّ به يومٌ إلاَّ أراقَ فيه دماً ، وكان يفعلُ ذلك إذا هبَّتِ الرياح ، وربَّما ذبَحَ العَناقَ إذا أضاق ، فصعِدَ الوليدُ بن عقبة المنبرَ وقد هبَّتِ الرياح ، فقال :

أعينوا أبا عقيلٍ على مُروءتِهِ .

وبعث إليه بمائة ناقة ، فلمّا جاءتهُ قال لابنته : أجيبيه عنِّي . وكان لبيد قد تركَ قولَ الشعر ، فقالت ابنتُه :

إذا هبَّـتْ ريـاحُ أبـي عقيـلٍ	دعـونـا عنـدَ هَبَّتِهـا الـوَليـدا
طـويـلُ البـاعِ أبيـضَ عَبشميـاً	أعـانَ علـى مـروءتِـهِ لبيـدا
بـأمثـالِ الهضـابِ كـأنَّ ركبـاً	عليهـا مـن بنـي حـامٍ قعـودا
أبـا وهـبٍ جـزاكَ اللهُ خيـراً	نحـرنـاهـا وأطعمنـا الثَّـريـدا
فعُـدْ إنَّ الكـريـمَ لـه معـادٌ	وظنِّـي يـا ابـن أروى أن تعـودا

---

(١) فكس : أي كن كيساً في اكتسابهم .

قال لها أبوها لبيد : أحسنتِ ، لولا أنّكِ سالتِ!

فقالت : إنّ الملوكَ لا يُستحى من مسالتِهم .

قال : وأنتِ في هذا أشعرُ » .

٢٣٥ـ رأيتك تحبُّ من أعطيته :

جاء في « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٠٩) ما نصه :

« قال أبو الحسن المدائني :

قامَ رجلٌ إلى أسدِ بن عبد الله فسأله ، فأعرَضَ عنه .

فقال : أما والله إنّي لا أسألُكَ من غير حاجة .

قال : فما يدعوكَ إلى مسألتي إذاً ؟

قال : رأيْتُكَ تُحبُّ من أعطيته ، فأحببتُ أن تُحبَّني .

فأعطاهُ عشرة آلاف درهم » .

٢٣٦ـ أعطوه ما أمَّل ، وعرِّفوه ما جَهِلَ :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٣١٥) في ترجمة السيدة الجليلة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور العباسية الهاشمية أم الأمين محمد بن هارون رحمهم الله جميعاً ، ما نصه :

« حضر شاعرٌ ببابِ زُبَيْدة أُمِّ الأمين وأنشد :

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائركِ المثابِ
تُعطينَ من رجليكِ ما تُعطي الأكفُّ من الرغابِ

فتبادَر الخدمُ إليه ليوقعوا به على سوءِ أدبه وعبارته .

فقالت : دعوه فإنَّ من أرادَ خيراً فأخطأ خيرٌ ممَّن أرادَ شرّاً فأصاب ، سمع الناس يقولون : شمالُكِ أندى من يمينِ غيركِ ، فقدَّر أنَّ هذا مثل ذلك ، أعطوه ما أمَّل ، وعرِّفوه ما جَهِلَ » .

٢٣٧ـ فجزاك الله من معلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيراً :

جاء في « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى (٩/١٢٦) ما نصه :

« صلَّى الحجاج بجنب سعيد بن المسيب ـ وذلك قبل أن يلي شيئاً ـ فجعل يرفعُ قبل الإمام ، ويقعُ قبله في السُّجود ؛ فلمَّا سلَّمَ ، أخذَ سعيد بطرف رداءه ـ وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة ـ فمازال الحجاج يُنازعه رداءَهُ حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد وقال له :

يا سارق ، يا خائن ، تُصلِّي هذه الصلاة ، لقد هممتُ أن أضربَ بهذا الفعل وجهك .

فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج .

ولمّا جاء الحجاج نائباً على المدينة ودخلَ المسجدَ إذا مجلسُ سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج ، فخشي الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال :

أنت صاحب الكلمات ؟

فضرب سعيد صدره بيده ، وقال : نعم .

قال : فجزاكَ الله من معلِّمٍ ومؤدِّبٍ خيراً ، ما صلَّيتُ بعدكَ صلاةً إلاَّ وأنا أذكرُ قولكَ ؛ ثم قام فمضى » .

٢٣٨ـ علو الهمة أن لا تقف دون الله :

جاء في كتاب « مدارج السالكين » للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى (٣/ ١٧١ـ١٧٢) ما نصه :

« علوُّ الهِمَّة : أن لا تقف دون الله ، ولا تتعوَّض عنه بشيءٍ سواه ، ولا ترضى بغيره بدلاً منه ، ولا تبيع حظها من الله ، وقربه والأنس به ، والفرح والسرور والابتهاج به ، بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية ، فالهمة العالية

على الهمم كالطائر العالي على الطيور ، لا يرضى بمساقطهم ، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم ، فإن الهمة كلما علت ، بعدت عن وصول الآفات إليها ، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان ، فإن الآفات قواطع وجواذب ، وهي لا تعلو إلى المكان العالي فتجتذب منه ، وإنما تجتذب من المكان السافل ، فعلو همة المرء : عنوان فلاحه ، وسفول همته : عنوان حرمانه » .

٢٣٩ـ خِفتُ الله أن أكذب :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٣٣٨) في ترجمة القاضي عبد الله بن يزيد بن خُذامر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن عبد الله بن المسيب العدوي قال :

كان وفد من أهل مصر وفدوا على سليمان بن عبد الملك ، وفيهم ابن خُذامر الصنعاني مولى سبأ .

فسألهم سليمان عن شيء من أهل المغرب فأخبروه ، وأبى ابن خُذامر أن يتكلّم .

فلمّا خرجوا قال له عمر بن عبد العزيز : ما منعكَ من الكلام يا أبا مسعود ؟

قال : خِفتُ الله أن أكذب .

فعرفها له عمر ، فلمّا وَلِيَ كتب إلى أيُوب بن شُرَحْبيل بولاية ابن خُذامر القضاء ، فوليه من سنة مائة إلى سنة خمس ومائة » .

١٤٠ـ نِعْمَ ما أدّبَكَ أهلُكَ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٢٧) ما نصه :

« خرجَ عبد الله بن عامر بن كُرَيزٍ رحمه الله من المسجد يُريدُ منزلَهُ ،

وهو وحده ، فقام إليه غلامٌ من ثقيفٍ فمشى إلى جانبه .

فقال له عبد الله : أَلَكَ حاجةٌ يا غلام ؟

قال : سلامَتُكَ وفلاحُكَ ، رأيتُكَ تمشي وحدكَ ، فقلت : أقيكَ بنفسي وأعوذُ بالله إن طارَ بجناحِكَ مكروه .

فأخَذَ عبد الله بيده ، ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينارٍ فدفعها إلى الغلام ، وقال :

استَنفِقْ هذه ، فنِعْمَ ما أدَّبَكَ أهلُكَ » .

٢٤١ـ عليك بالدِّين فإنَّه يرفعُ الخسيسة :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ٣٢٢) ما نصه :

« قال الأوقص المخزوميُّ قاضي مكة :

قالت لي أمِّي : يا بُنيَّ ، إنَّك خُلِقتَ خِلْقةً لا تصلحُ معها لمجامعة الفتيان في بيوت القيان ، إنَّك لا تكون مع أحدٍ إلاَّ تخطَّتكَ إليه العيون ، **فعليكَ بالدِّين فإنَّه يرفعُ الخسيسة** ، ويتمُّ النَّقيصة .

قال : فنفعني الله بكلامها ، فبلغتُ القضاء » .

٢٤٢ـ أحسنت حفظه وصحبته :

جاء في كتاب « الأذكياء » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٢٦٤) ما نصه :

« قال العُتبيُّ : قال رجلٌ من ولد عليٍّ رضي الله تعالى عنه لامرأته : أمرُكِ بيدكِ ، ثمَّ ندم .

فقالت : أما والله لقد كانت بيدكَ عشرين سنة ، **فأحسنتُ حفظه وصحبته** ، فلن أُضيِّعهُ إذ كان بيدي ساعة من نهار ، وقد رددته إليك .

فأُعجبَ بذلك من قولها وأمسكها » .

٢٤٣ـ يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٤٢) ما نصه :

« قال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن البصري وقد همَّ به ، فلمّا قامَ بين يديه

قال : **يا حجاج ، كم بينك وبين آدم من أب ؟**

قال : كثير .

قال : فأين هم ؟

قال : ماتوا .

فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن » .

٢٤٤ـ رغم أنفي للحق :

جاء في كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للشيخ أحمد بن المقري التلمساني (٢/ ٤٨ـ٤٩) في ترجمة الإمام الفقيه قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف ، أبي محمد ، البيَّاني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« أن قاسم بن أصبغ قال :

لمّا رحلتُ إلى المشرق نزلتُ القيروان ، فأخذتُ عن بكر بن حماد حديث مُسدد ، فقرأتُ عليه يوماً فيه حديث النَّبي ﷺ : « أنه قدم عليه قومٌ من مُضَر مجتابي النمار » فقال : إنما هو مجتابي الثمار ، فقلت : إنما هو مجتابي النمار ، هكذا قرأته على كل من لقيته بالأندلس والعراق .

فقال لي : بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ؟ أو نحو هذا .

ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ ، لشيخ كان في المسجد ، فإن له بمثل هذا علماً .

فقمنا إليه ، وسألناه عن ذلك ، فقال : إنما هو مجتابي النمار كما قلتُ ، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم ، والنمار : جمع نَمِرة .

فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه :

رغم أنفي للحق ، وانصرف » .

٢٤٥ـ لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت :

جاء في كتاب « جذوة المقتبس » للحميدي رحمه الله (ص ١٧٢) و « نفح الطيب » للمقري التلمساني رحمه الله (٣/ ١٧٢ ، ١٩٠) في ترجمة أبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني رحمه الله ، ما نصه :

« قال ابن حزم رحمه الله : ومن أعظم ما يُحكى من المكارم التي لم نسمع لها أختاً :

أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي حدثني :

أن أبا الجيش مجاهداً ـ يعني العامري ـ صاحب الجزائر ودانيه ، وجَّه إلى أبي غالب أيام غلبته على مُرْسيه ، وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور ـ يعني تلقيح العين ـ مما ألَّفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد ، فردَّ الدنانير وأبى من ذلك ، ولم يفتح في هذا باباً البتة ، وقال :

والله لو بذلَ لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، لأني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب .

فأُعجب لهمة هذا الرئيس وعلوِّها ، وأُعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها » .

٢٤٦ـ أبشر فإنِّي وإيَّاك في الجنة :

جاء في كتاب « الأذكياء » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٢٥٤) ما نصه :

« دخل عمران بن حطَّان يوماً على امرأته ، وكان عمران قبيحاً دميماً قصيراً ، وقد تزيَّنت ، وكانت امرأة حسناء ، فلمَّا نظرَ إليها ازدادت في عينه جمالاً وحُسناً ، فلم يتمالك أن يُديم النظر إليها ، فقالت : ما شأنك ؟

قال : لقد أصبحت والله جميلة .

فقالت : **أبشِرْ فإنِّي وإيَّاكَ في الجنَّة** .

قال : ومن أين علمتِ ذلك ؟

قالت : لأنَّكَ أُعطيتَ مثلي فشكرتَ ، وابتُليتُ بمثلكَ فصبرتُ ، والصَّابرُ والشَّاكرُ في الجنَّة » .

٢٤٧ـ أفضل النساء :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٦/ ١٠٧) ما نصه :

« سئل أعرابي عن النساء ، وكان ذا تجربةٍ وعلمٍ بهنَّ ، فقال :

أفضل النساء :

أطولهنَّ إذا قامت ، وأعظمهنَّ إذا قعدت ، وأصدقهنَّ إذا قالت ، التي إذا غضِبَتْ حلمَتْ ، وإذا ضحكت تبسَّمت ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدَتْ ، التي تُطيعُ زوجَها ، وتلزمُ بيتَها ، العزيزةُ في قومها ، الذَّليلة في نفسها ، الودودُ الولودُ ، وكل أمرِها محمود » .

٢٤٨ـ أبِالموْتِ تُخوِّفوني ؟ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن المنقذ رحمه الله تعالى (ص ٢٢٢) ما نصه :

« قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أتقتُلُ أهلَ الشَّامِ بالغداة وتظهرُ بالعشيِّ في إزارٍ ورداء ؟!

فقال : أبالموتِ تُخوِّفوني ؟! فوالله ما أُبالي أسقطتُ على الموتِ أو سقَطَ الموتُ عليَّ » .

٢٤٩ـ كان إذا صُدِقَ انكسر :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ١٨٠) ما نصه :

« قال الأصمعي عن عيسى بن عمر قال :

رُمِيَ الحجاج بسهم فقال : انظروا من هذا .

فأومأ رجل بيده فأُخِذَ ، فأُدخلَ على الحجاج وقد ذهبت روحه .

قال عيسى ـ بصوت ضعيف يحكي صوت الحجاج ـ :

أنت الرامينا منذ الليلة!

قال : نعم أيها الأمير .

قال : وما حملك على ذلك ؟

قال : الغيُّ ، والله واللؤم .

قال : خلُّوا عنه .

وكان إذا صُدِقَ انكسر » .

٢٥٠ـ هو زين لكم :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٢/ ١٧٣) في ترجمة قاضي القضاة الإمام الفقيه المجتهد محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ، ما نصه :

« عن أحمد بن عطية ، قال : سمعت أبا عبيد يقول :

كنّا مع محمد بن الحسن ، إذ أقبل الرشيد ، فقام إليه الناس كلهم ، إلاَّ

محمد بن الحسن ، فإنه لم يقم ، وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب ، ممتلىء البطن على محمد بن الحسن ، فقام ، ودخل الناس من أصحاب الخليفة .

فأمهل الرشيد يسيراً ، ثم خرج الآذن ، فقال : محمد بن الحسن ، فجزع أصحابه له ، فأُدخل ، فأمهل ، ثم خرج طيّب النفس مسروراً ، فقال : قال لي : ما لك لم تقم مع الناس ؟

قلت : كرهتُ أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، إنك أهّلتني للعلم ، فكرهتُ أن أخرج عنه إلى طبقة الخدمة التي هي خارجة عنه ، وإن ابن عمك ﷺ قال :

« من أحبَّ أن يتمثّل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار » ، وإنما أراد بذلك العلماء ، فمن قام بحقّ الخدمة وإعزاز الملك ، فهو هيبة العدو ، ومن قعد اتّبع السنّة التي عنكم أخذت ، فهو زينٌ لكم .

قال : صدقت يا محمد . . . » .

٢٥١ـ غيري من المسلمين على مثلها وأكثر منها :

جاء في كتاب « المنتظم في تاريخ الأمم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٧/ ٢٢٣) ما نصه :

« عن علي بن المحسن التنوخي ، قال :

كان عبد الصمد[١] يدق السُعْد[٢] في العطارين ، ويذهب مذهب التديُّن والتصوُّف ، والتعفُّف والتقشُّف .

فسمع عطاراً يهودياً ، يقول لابنه : يا بُنيّ ، قد جرَّبتُ هؤلاء

(١) عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق الدينوري : الواعظ ، الزاهد ، كان يُضرب به المثل في المجاهدة ، والتقشف ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، توفي سنة ٣٩٧ هـ .

(٢) السُّعْد : نبت له أصل تحت الأرض أسود طيب الريح .

المسلمين ، فما وجدتُ فيهم ثقة .

فتركه عبد الصمد أياماً ، ثم جاءه ، فقال : أيها الرجل ، تستأجرني لحفظ دكّانك ؟

قال : نعم ، وكم تأخذ منّي ؟

قال : ثلاثة أرطال خبز ، ودانقين فضة كل يوم .

قال : قد رضيت .

قال : فأعطني الخبز أدراراً ، واجمع لي الفضة عندك ، فإني أريدها لكسوتي .

فعمل معه سنة ، فلما انقضت جاءه ، فحاسبه ، فقال : انظر إلى دكانك .

قال : قد نظرت .

قال : فهل وجدت خيانة أو خللاً ؟

قال : لا والله .

قال : فإنّي لم أرد العمل معك ، وإنما سمعتك تقول لولدك في الوقت الفلاني ، إنك لم تر في المسلمين أميناً ، فأردت أن أنقض عليك قولك ، وأُعلمك أنه إذا كان مثلي ـ وأنا أحد فقرائهم ـ على هذه الصورة ، فغيري من المسلمين على مثلها ، وما هو أكثر منها .

ثم فارقه ، وأقام على دقّ السُّعْد » .

٢٥٢ـ استحييتُ من ربي أن يراني طالب رزق من غيره :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٤٣ـ١٤٤) ما نصه :

« قال القاضي أبو عليّ المُحَسِّنُ بن أبي القاسم علي التنوخي :

خرج رجلان من المدينة يريدان عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، للوفادة

عليه ، أحدهما من ولد جابر بن عبد الله الأنصاري ، والآخر من ثقيف ، وكان عبد الله عاملاً بالعراق لعثمان بن عفان رضي الله عنه .

فأقبلا يسيران ، حتى إذا كانا بناحية البصرة ، قال الأنصاري للثقفي :

هل لك في رأي رأيته ؟

قال : اعرضه .

قال : ننيخ رواحلنا ، ونتوضأ ، ونصلِّي ركعتين ، نحمد الله عزَّ وجلَّ فيهما ، على ما قضى في سفرنا .

قال له : نعم ، هذا الرأي الذي لا يُردّ .

قال : ففعلا .

ثم التفت الأنصاري إلى الثقفي ، فقال له : يا أخا ثقيف ، ما رأيُكَ ؟

قال : وأيُّ موضعِ رأي هذا ؟ قضيتُ سفري ، وأنضيتُ بَدَني ، وأتعبتُ راحلتي ، ولا مؤمَّلَ دونَ ابنِ عامرٍ ، فهل لكَ من رأي غير هذا ؟

قال : نعم ، إنَّني لمّا صلَّيتُ ، فكَّرتُ ، فاستحييتُ من ربِّي ، أن يراني طالبَ رِزقٍ من عند غيرِه .

ثم قال : اللهمَّ رازقَ ابنِ عامرٍ ارزقني من فضلك ، ثم ولَّى راجعاً إلى المدينة .

ودخلَ الثقفي إلى البصرة ، فمكثَ على باب ابنِ عامرٍ أيّاماً ، فلمّا أذِنَ له دخلَ عليه ، وكان قد كُتبَ إليه من المدينة بخبرهما .

فلمّا رآهُ رحَّبَ به ، وقال : ألم أُخبَرْ أنَّ ابن جابرٍ خرجَ معك ؟

فأخبرَهُ ما كان منهما .

فبكى ابنُ عامر ، وقال : والله ما قالها أشراً ولا بَطَراً ، ولكن رأى مجرى الرِّزق ، ومخرجَ النِّعمة ، فعلمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي فعل ذلك ، فسألَهُ من فضله .

ثم أمر للثقفي بأربعة آلاف ، وكسوةٍ وطرفٍ ، وأضعفَ ذلك

للأنصاري ، فخرج الثقفي وهو يقول :

أُمامةُ ما سعيُ الحريضِ بزائدٍ ... فتيلاً ، ولا عجزُ الضعيفِ بضائرِ
خرجنا جميعاً من مساقطِ رؤوسنا ... على ثقةٍ مِنّا بجودِ ابنِ عامرِ
فلمّا أنخنا الناعجاتِ ببابِهِ ... تأخَّرَ عنّي اليثربيُّ ابنُ جابرِ
وقال : « ستكفيني عطيةُ قادرٍ ... على ما يشاءُ اليومَ للخلقِ قاهرِ
فإنَّ الذي أعطى العراقَ ابنَ عامرٍ ... لربِّي الذي أرجو لسدِّ مفاقري »
فلمّا رآني قال : « أين ابنُ جابرٍ » ؟ ... وحَنَّ كما حنَّتْ عِرابُ الأباعِرِ
فأضعفَ عبد الله ـ إذ غاب ـ حظَّهُ ... على حظِّ لهفان من الحرصِ فاغرِ

٢٥٣ـ ما كنتُ لأطيعه حيًّا ، وأعصيه ميتاً :

جاء في كتاب « حياة الصحابة » للكاندهلوي رحمه الله (٢/ ٧٠) و « كنز العمال » للمتقي الهندي رحمه الله (٥/ ١٩٢) ما نصه :

« أخرج مالك عن ابن أبي مُلَيْكة قال :

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بامرأة مجذومة ، وهي تطوف بالبيت ، فقال لها :

يا أَمَةَ الله ، لا تُؤذي النَّاسَ ، لو جلستِ في بيتكِ .

فجلست ، فمرَّ بها رجل بعد ذلك ، فقال :

إنَّ الذي كان نهاكِ قد مات فاخرجي .

قالت : ما كنتُ لأُطيعه حيًّا ، وأعصيه ميتاً » .

٢٥٤ـ لا يسلم بفتح الباب ولا بغلقه :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله (ص ٤٤٢) في ترجمة علي بن معبد رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن أحمد بن محمد بن سلامة قال : سمعتُ يُونُس يقول :

سمعت عليَّ بن مَعْبَد يقول :

انصرفتُ من عند المأمون ، وقد أبيتُ عليه الدُّخول فيما عرضهُ عليَّ من تولِّي القضاء بمصر ، وفرشتُ حصيراً وقعدتُ على بابي ، وقلت : أقربُ ممَّن عسى أن يأتيني يُعزِّيني على ما نالني .

فبينا أنا كذلك ، إذ مر رجلان فسمعت أحدهما يقول لصاحبه :

والله ما صح له إلى الآن شيء ، وقد فتح بابه وفرش حصيره .

فقلت لمن كان عندي : قد حدث حادث انصرفوا ، فانصرفوا ، ودخلتُ ورددتُ الباب ، وقعدتُ من ورائه ، وقلت : أقربُ على من عسى أن يجيء من إخواني .

فمر رجلان فسمعت أحدهما يقول لصاحبه : والله ما صحَّ له من الإخوان شيء ، فقد أغلق بابه ، فكيف لو صح له شيء .

فقلت : يا نفسُ ألا كنت لا تسلمين بفتحِ بابكِ ، ولا تسلمين بغلقِهِ ، فهل بينهما واسطة ؟ » .

٢٥٥ـ القلب السليم :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٤٣ـ١٤٤) ما نصه :

« ذُكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكينٌ أبو محمد ، إن يعذِّبه الله عزَّ وجلَّ فبذنبه ، وإن يغفر له فهنيئاً له ، وإن يلق الله بقلبٍ سليم فهو خيرٌ منَّا ، وقد أصابَ الذُّنوبَ من هو خيرٌ منه .

فقيل له : وما القلب السليم ؟

قال : أن يعلم الله منه الحياءَ والإيمان ، وأن يعلمَ أنَّ الله حقٌّ ، وأن الساعة حقٌّ قائمة ، وأن الله يبعثُ مَنْ في القبور » .

٢٥٦ـ إني لم آتِ هذا الأمر من قبل وجهه :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى

(٣/ ١١٨)، وكتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٨٠)، وكتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله (ص ١٠٥) برقم (١٦٩) ما نصه :

« عن علي بن الحسن بن شقيق قال : حدثنا عبد الله قال :

كتب غلامٌ لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز ، أن قصب السُّكَّر أصابته آفة فاشتر السكَّر فيما قبلك .

قال : فاشتراه من رجل ، فلم يأتِ عليه إلا قليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً ، فأتى صاحب السكر ، فقال :

يا هذا ، إن غلامي كان كتب إليَّ ولم أُعلمك فأقلني فيما اشتريتُ منك .

فقال الآخر : فقد أعلمتني الآن وطيَّبتُه لك .

قال : فرجعَ فلم يحتمل قلبه .

قال : فأتاه فقال : يا هذا! إنِّي لم آتِ هذا الأمر من قبل وجهه ، فأُحبُّ أن يستردَّ هذا البيع .

قال : فما زال به حتى ردَّ عليه » .

٢٥٧ـ اعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب :

جاء في « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٢٣٠) ما نصه :

« قال عبد الملك بن مروان لمؤدِّب ولده ـ وكان رجلاً من بني زُهرة ـ :

علِّمهم الصِّدقَ كما تُعلِّمهم القرآن ، واحملهم على الأخلاقِ الجميلة ، ورَوِّهم الشِّعرَ يشجعوا وينجدوا ، وجالس بهم أشرافَ الناس وأهل العلم منهم ، فإنهم أحسنُ الناس رِعةً وأحسنهم أدباً ، وجنِّبهم السَّفلةَ والخَدَم ، فإنَّهم أسوأ الناس رِعةً وأسوؤهم أدباً ، ومُرهُمْ فليستاكوا عرضاً ، وليمصُّوا الماءَ مَصًّا ولا يَعبُّوه عَبًّا ، ووقِّرهم في العلانية ، وذلِّلهم في السرِّ ، واضربهم على الكذب ، إن الكذبَ يدعو إلى الفجور ، والفجورُ يدعو إلى

النار ، وجنِّبهم شتمَ أعراضِ الرجال ، فإنَّ الحرَّ لا يجدُ من عرضِهِ عِوضاً ، وإذا وَلُوا أمراً فامنعهم من ضربِ الأبشار ، فإنَّه عارٌ باقٍ ، ووترٌ مطلوب ، واحملهم على صلة الأرحام ، واعلم أنَّ الأدبَ أولى بالغلامِ من النَّسب » .

٢٥٨ـ ما كنتُ أرى أن أحداً هكذا بقي :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١٢٠) برقم (٢١٢) بإسناد حسن ، ما نصه :

« عن الشعبي ـ رحمه الله ـ قال :

جاء رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : اشتريتُ من هذا داراً فوجدتُ فيها عشرة آلاف درهم .

فقال : خُذها .

فقال : لِمَ! إنّما اشتريتُ الدار .

فقال للبائع : خُذها أنت .

قال : لِمَ! وقد بعتُ الدَّارَ بما فيها .

فأدارا الأمر بينهما ، فأبيا .

فأتى زياد فأخبره ، فقال : **ما كنتُ أرى أن أحداً هكذا بقي** .

وقال لشريح : ادخل بيت المال فألقِ في كل جراب قبضة ، حتى يكون للمسلمين .

ثم قال للشعبي : كيف ترى الأمير ؟

قال أبو بكر بن عياش : أعجبه ما صنع » .

٢٥٩ـ اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٣١٤) في ترجمة زُبيدة بنت جعفر أُمِّ الأمين رحمها الله تعالى ، ما نصه :

« أنّها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار ، وأنها أسالت الماء عشرة أميال بحطِّ الجبال ونحوت الصخر ، حتى غلغلته من الحِلِّ إلى الحرم .

وعملت عقبه البستان ، فقال لها وكيلها : يلزمكِ نفقة كثيرة .

فقالت : اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار .

فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار .

ورآها عبد الله بن المبارك في المنام فقال لها : ما فعل الله بكِ ؟

قالت : غفر لي الله بأوّلِ مِعولٍ ضُرِبَ في طريق مكة » .

٢٦٠ـ لأعرضنَّكِ على الله ، أخذَكِ ، أو تركَكِ :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤ / ٤٢١) ما نصه :

« عن عبد الله بن قيس ، أبي أُميَّة الغفاري قال :

كنّا في غزاة لنا ، فحضر عدوُّهم ، فصيحَ في الناس ، فهم يثوبون إلى مصافهم ، إذا رجل أمامي ، رأس فرسي عند عَجُزِ فرسه ، وهو يُخاطب نفسه ويقول :

أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلت لي : أهلكَ وعيالكَ فأطعتُكِ ورجعتُ ، ألم أشهد مشهدَ كذا وكذا ؟ فقلتِ : أهلُكَ وعيالُكَ ، فأطعتُكِ ورجعتُ ؟ والله لأعرضنَّكِ اليوم على الله ، أخذكِ ، أو تركِكِ » .

فقلتُ : لأرمُقنَّه اليوم ، فحمل الناسُ على عدوِّهم ، فكان في أوائلهم ، ثم إن العدوَّ حمل على الناس فانكشفوا ، فكان في حُماتهم ، ثم إن الناس حملوا ، فكان في أوائلهم ، ثم حمل العدو ، وانكشف الناس ، فكان في حُماتهم ، قال :

فوالله مازال ذلك دأبُه حتى رأيتُه صريعاً ، فعددتُ به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة » .

٢٦١ـ لا تستوحش لقلة السالكين :

جاء في كتاب « مدارج السالكين » للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى (١/ ٢١) ما نصه :

« قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو يحدث عن كبير الهمَّة :

لا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ، فإنهم هم الأقلُّون قَدْراً ، وإن كانوا الأكثرين عدداً ، كما قال بعض السلف : وعليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين . وكلما استوحشتَ في تفرُّدكَ ، فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم ، وغُضَّ الطرفَ عمَّن سواهم ، فإنَّهم لن يُغنوا عنكَ من الله شيئاً ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك ، فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفتَّ إليهم أخذوكَ وعاقوك » .

٢٦٢ـ ما أنسى عِزَّ خروج الخطيب :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للسبكي رحمه الله تعالى (٣/ ١٤) في ترجمة الإمام الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« دخل عليه بعض العلويَّة ، وفي كُمِّه دنانير .

فقال للخطيب : فلان يُسلِّم عليك ، ويقول لك : اصرف هذا في بعض مهماتك .

فقال الخطيب : لا حاجة لي فيها ، وقطب وجهه .

فقال العلويّ : كأنَّك تستقِلُّه ؟

ونفضَ كُمَّه على سجادة الخطيب ، وطرحَ الدنانير عليها ، فقال : هذه ثلاثمئة دينار .

فقام الخطيب محمرًا وجهُه ، وأخذ السجَّادة ، وصبَّ الدنانير على الأرض ، وخرج من المسجد .

قال أحد تلامذة الخطيب :

ما أنسى عِزَّ خروج الخطيب ، وذُلَّ ذلك العلويِّ ، وهو قاعدٌ على الأرض ، يلتقطُ الدنانير من شقوق الحصير ويجمعها » .

٢٦٣ـ إنما الناس بأعلامهم وذوي أسنانهم :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٤٠) ما نصه :

« قال المدائني ـ رحمه الله ـ :

لمّا وَلِيَ زيادُ بن أبيه صَعِدَ المنبرَ بعد صلاة الظهر ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُها الناس ، إني رأيتُ خِلالاً ثلاثاً نَبَذتُ إليكم فيها بالنصيحة :

رأيتُ إعظامَ ذي الشرف ، وإجلالَ ذي العلم ، وتوقيرَ ذوي الأسنان ، وإني أُعاهد الله لا يأتيني شريفٌ بوضيعٍ لم يعرف له شرفه على ضعته إلاّ عاقبته ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهلٍ لاحاهُ في علمه ليُهتجنَهُ عليه إلا عاقبته ، فإنما الناس بأعلامهم وذوي أسنانهم ، ثم تمثَّل :

تُهدى الأُمورُ بأهل الرأي ما صَلَحتْ فإن تولَّتْ فبالأشرارِ تنقادُ
لا يصلحُ القومُ فوضى لا سراة لهم ولا سَراةَ إذا جُهَّالُهم سادُوا

٢٦٤ـ بل أجمعُهنَّ لك :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٣/ ٤٣٣) ما نصه :

« قال الأصمعي ـ رحمه الله ـ :

وقفت أعرابيَّةٌ من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما فقالت :

إنِّي أتيتُ من أرضٍ شاسعة ، تهبطني هابطة ، وترفعني رافعة ، في بوادٍ

بَرَيْنَ لحمي[1] ، وهِضْنَ عظمي[2] ، وتركنني والهةً قد ضاق بي البلد بعد الأهل والولد ، وكثرةٍ من العدد ، لا قرابة تؤويني ، ولا عشيرة تحميني ، فسألت أحياء العرب :

مَنِ المُرتجى سَيْبُه[3] ، المأمونُ غَيْبُه ، الكثيرُ نائِلُه ، المكفِيُّ سائِلُه ، فدُلِلْتُ عليكَ ، وأنا امرأةٌ من هوازن ، فقدتُ الولد والوالد ، فاصنع في أمري واحدةً من ثلاث :

إمَّا أن تُحسنَ صَفدي[4] ، وإما أن تُقيمَ أوَدي[5] ، وإما أن تَردَّني إلى بلدي .

قال : بل أجمعهنَّ لك .

ففعل ذلك بها أجمع » .

٢٦٥ـ واعجباً لواعظٍ يوعظ :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢/ ١٩٥ـ١٩٦) ما نصه :

« قال عبد الواحد بن زيد في قصته مع ميمونة السوداء :

فقلت لها : عظيني .

فقالت : واعجباً من واعظٍ يُوعظ ، ثم قالت : يا ابن زيد ، إنَّكَ وضعتَ معايير القِسطِ على جوارحكَ لخبرتك بمكتوم مكنون ما فيها ، يا ابن زيد ، إنَّه بلغني أنَّه ما من عبدٍ أُعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلاَّ سلبه الله حُبَّ الخلوة معه ، وبدَّله بعد القُربِ البُعْدَ ، وبعد الأُنس الوحشة .

---

(١) برين لحمي : هزلنه .

(٢) هضن عظمي : كسرنه .

(٣) السيب : العطاء .

(٤) الصفد : العطاء .

(٥) الأود : الاعوجاج أو أمسك رمقه .

ثم أنشأت تقول :

يـا واعظـاً قـامَ لاحتسـابِ	يـزجـر قـومـاً عـن الـذُّنـوبِ
تنهـى وأنـت السقيـمُ حقًّـا	هـذا مـن المنكـر العجيـبِ
لـو كنـتَ أصلحـتَ قبـل هـذا	عيبـكَ أو تُبـتَ مـن قـريـبِ
كـان لمـا قلـتَ يـا حبيبـي	مـوقـعُ صـدقٍ مـن القلـوبِ
تنهـى عـن الغـيِّ والتمـادي	وأنـتَ فـي النَّهـي كـالمُـريـبِ

فقلتُ لها : إنِّي أرى هذه الذئاب مع الغنم ، فلا الغنم تفزع من الذئاب ، ولا الذئاب تأكل الغنم ، فأيُّ شيءٍ هذا ؟

فقالت : إليكَ عنِّي ، فإنِّي أصلحتُ ما بيني وبين سيدي ، فأصلح بين الذئاب والغنم » .

٢٦٦ـ أيها القاضي ليس ذلك لك :

جاء في « طبقات الشافعية » للسبكي رحمه الله تعالى (٢/ ١٧٩ـ١٨٠) ما نصه :

« كانت أمُّ الشافعي ـ رحمهما الله تعالى ـ باتفاق النقلة من العابدات القانتات ، ومن أذكى الخلق فطرة ، وهي التي شهدت هي وأمُّ بِشرٍ المَريسي بمكة عند القاضي ، فأرادَ أن يفرِّق بينهما ، ليسألهما منفردتين عمَّا شهدتا به استفساراً ، فقالت له أمُّ الشافعي :

أيها القاضي ليس لك ذلك ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

فلم يفرِّق بينهما .

قال تاج الدين السبكي :

هذا فرع حسن ، ومعنى قويّ ، واستنباط جيد ، ومنزع غريب ، والمعروف في مذهب ولدها ـ رحمه الله ـ إطلاق القول بأنّ الحاكم إذا ارتاب بالشهود استُحِبَّ له التفريق بينهم ، وكلامها ـ رحمها الله ـ صريح في استثناء النساء ، للمنزع الذي ذكرَتهُ ، ولا بأس به » .

٢٦٧ـ آلله كذلك حملك على ما صنعت ؟ :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١٢١) برقم (٢١٣) بإسناد حسن ، ما نصه :

« عن عبد الله بن خالد العبسي :

أن عمر بن الخطاب رأى قوماً مجتمعين على أمرٍ كرهه ، فسعى إليهم بالدرَّة فتفرقوا ، وقام رجل منهم فضربه .

وقال : ما حملك على أن قمت لي حتى ضربتك ؟ ألا ذهبت كما ذهب أصحابك ؟

قال : يا أمير المؤمنين! إن الله جعل حقَّكَ عليَّ ـ أو قال : على كل مسلم ـ كحق الوالد على ولده ، وإني لما رأيتُكَ سعيت كرهتُ أن أُتعبكَ ، فقمتُ حتى تقضي مني حاجتك .

قال : آلله كذلك حملك على ما صنعت ؟!

فحلف ، فأخذ يده بيده ، فجلسا ، فلم يزل له مكرماً حتى فارق الدنيا » .

٢٦٨ـ الشكر أن لا تعصي الله بنعمة :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي رحمه الله تعالى : (٢/ ٢٦٦) في ترجمة الجنيد بن محمد رحمه الله ما نصه :

« قال الجنيد : أعلى درجةِ الكبر أن ترى نفسك ، وأَدناها أن تخطر ببالك . وقال : الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة .

وقال : كنت بين يدي السَّريِّ السقطيِّ ، ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر ، فقال : يا غلام ، ما الشكر ؟

فقلت : أن لا تعصي الله بنعمة .

فقال : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك .

قال الجنيد : فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها » .

٢٦٩ـ إن البكاء داعٍ إلى الرَّحمة :

جاء في كتاب « الرقة والبكاء » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ٥٥ـ٥٦) برقم : (٣٨) ما نصه :

« عن حمزة الأعمى قال :

ذهبت أُمِّي إلى الحسن ، فقالت : يا أبا سعيد! ابني هذا قد أحببتُ أن يلزمكَ ، فلعل الله أن ينفعه بك .

قال : فكنتُ أختلف إليه ، فقال لي يوماً :

يا بنيَّ! أدِمِ الحزنَ على خير الآخرة لعله يوصلك إليه ، وابكِ في ساعات الخلوة لعل مولاك يطَّلعُ عليك فيرحمُ عَبْرَتَكَ فتكون من الفائزين .

قال : وكنتُ أدخلُ عليه منزله وهو يبكي ، وآتيه مع الناس وهو يبكي ، وربما جئتُ وهو يصلِّي فأسمع بكاءه ونحيبه .

فقلت له يوماً : يا أبا سعيد! إنَّك لتُكثر من البكاء!

فبكى ثم قال : يا بنيَّ! فما يصنع المؤمن إذا لم يبكِ ؟

يا بنيَّ! إن البكاء داعٍ إلى الرحمة ، فإن استطعتَ أن لا تكون عمرك إلاَّ باكياً فافعل ، لعله يراك على حالة فيرحمكَ بها ، فإذا أنتَ قد نجوتَ من النار » .

٢٧٠ـ أعطاكَ الله أملكَ فيما بكيتَ عليه :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » للمزي رحمه الله في ترجمة معاوية بن قرة بن إياس التابعي الجليل رحمه الله تعالى (٢٨/ ٢١٤) ما نصه :

« قال أبو إسحاق الضرير ، عن أبي كَعْب صاحب الحرير :

كنّا عند معاوية بن قُرّة جُلوساً فذكر شيئاً فَنَحَبَ رجلٌ من ناحية المجلس ، فقال له معاوية بن قُرّة :

أعطاكَ الله أملكَ فيما بكيتَ عليه .

قال : فارتجّتِ الحلقة بالبُكاء » .

٢٧١ـ أنت تلي الفظاظة والغلظة ، وأنا ألي الرأفة والرحمة :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٥٢) ما نصه :

« عن عَوانَة قال : قال زياد بن أبيه :

ما غَلَبني معاوية في شيءٍ من أمر السياسة إلاّ في شيءٍ واحد ، وذاك : أنني استعملتُ رجلاً على دَسْتِ مَيْسَان ، فكسَرَ الخراج ولحق بمعاوية ، فكتبتُ إليه أسأله أن يبعثه إليّ ، فكتب إليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنه ليس ينبغي لمثلي ومثلك أن نسوسَ الناس جميعاً بسياسةٍ واحدةٍ ، أن نشتدَّ جميعاً فنُخرجهُم ، أو نلينَ جميعاً فنَمزِجَهُم ، ولكن تكون أنت تلي الفظاظة والغِلظة ، وأكون أنا ألي الرأفة والرحمة ، فإذا هرب هاربٌ من باب ، وجد باباً فدخل فيه ، والسلام » .

٢٧٢ـ لا تزد عن ثلاث :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (٣/ ١٨١) ما نصه :

« قال الحجاج لأيوب بن القرية :

اخطب عليّ هند بنت أسماء ولا تزد عن ثلاث . فأتاهم فقال :

أتيتكم من عند من تعلمون ، والأمير معطيكم ما تسألون ، أفتنكحون أن تردُّون ؟

قالوا :

بل أنحكنا وأنعمنا ، على الثبات والنبات ، والغنى حتى الممات ؛ جعلها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما .

فرجع ابن القرية إلى الحجاج فقال :

أقرَّ الله عينكَ ، وجمع الله شملك ، وأنبتَ ريعك ، على البركة والخير » .

٢٧٣ـ أبوء بالذَّنب وأستغفر الله تعالى :

جاء في كتاب « نهاية الأرب » (٦/ ٥٤) ما نصه :

« دخل الحارث بن مسكين على المأمون ، فسأله عن مسألة فقال :

أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون الرشيد ـ وذكر قول مالك فلم يعجب المأمون ـ فقال :

لقد تيست فيها وتيس مالك .

فقال الحارث بن مسكين : والسامع يا أمير المؤمنين من التيسين أتيَس .

فتغير وجه المأمون ، وقام الحارث فخرج ، فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون ، فأيقن الشر ، ولبس ثياب أكفانه ، ثم أقبل حتى دخل عليه ، فقرَّبه من نفسه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال :

يا هذا ، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني ، فقال لنبيه موسى عليه السلام إذ أرسله إلى فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] .

فقال الحارث : أبوء بالذنب وأستغفر الله تعالى .

قال : عفا الله عنك ، انصرف إذا شئت » .

٢٧٤ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى : (٤/ ٩٥) ما نصه :

« رُويَ أن الحجاج قال لأخي قطريِّ بن الفجأة : لأقتلنك .

فقال : لِمَ ذلك ؟

قال : لخروج أخيك .

قال : فإنَّ معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي .

قال : هاته .

قال : فمعي ما هو أوكد منه .

قال : ما هو ؟

قال : كتاب الله عز وجل حيث يقول : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] فعجب منه وخلى سبيله » .

٢٧٥ـ لست قابلاً شهادتك :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٣٤٤) في ترجمة القاضي توبة بن نمر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن عبد الملك بن شعيب بن الليث قال : حدَّثني أبي ، قال : سمعت أبي يقول عن توبة بن نمر القاضي :

أن رجلاً وامرأته اختصما عنده فطلَّقها ، فقال توبة : متِّعها .

فقال : لا أفعل .

قال : فسكت عنه لأنه لم يره لازماً له .

فأتاه الرجل الذي طلَّق امرأته في شهادة ، فقال له توبة :

لست قابلاً شهادتك .

قال : ولِمَ ؟

قال : إنك أبيتَ أن تكون من المحسنين ، وأبيت أن تكون من المُتَّقين .

ولم يقبل له شهادة » .

٢٧٦ـ أظنُّكَ لا تُفلح أبداً :

جاء في كتاب « المُغرب في محاسن المغرب » لعلي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد رحمه الله تعالى (٢/ ٩٩) ، وكتاب « نفح الطيب » للمقري التلمساني (٢/ ٣٣٣ـ٣٣٤) في ترجمة الإمام الفقيه العالم الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال علي بن موسى بن محمد ـ رحمهما الله تعالى ـ :

ومّما شاهدتُ من عجائبه أنّه عاش سبعاً وستين سنة ولم أره يوماً يخلي مطالعة كتاب أو كَتْب ما يخلده ، حتى أن أيّام الأعياد لا يُخليها من ذلك ، ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكُتُب ، فقلت له : يا سيدي ، أفي هذا اليوم لا تستريح ؟

فنظر إليَّ كالمُغضب ، وقال :

أظنُّكَ لا تُفلح أبداً ، أترى الراحة في غير هذا ؟ والله لا أحسبُ راحة تبلغ مبلغها ، ولوددتُ أن الله تعالى يُضاعف عمري حتى أُتِمَّ كتاب « المغرب » على غرضي .

قال : فأثارَ ذلك في خاطري أن صرتُ مثله لا ألتذُّ بنعيم غير ما ألتذُّ به من هذا الشأن ، ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه ، وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ، ومشاهدة الفضلاء ، واستفادة ما يرى وما يسمع ، وفي تولُّعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول :

يا مُفنياً عُمره في الكأس والوَترِ ... وراعياً في الدُّجى للأنجمِ الزُّهُرِ
يبكـي حبيبـاً جفـاه أو يُنـادمُ مَـنْ ... يَهْفُو لديه كغُصنٍ باسمِ الزَّهرِ
مُنعَّمـاً بيـن لـذَّاتٍ يمحقُهـا ... ولا يخلـدُ مـن فخـرٍ ولا سِيَـرِ
وعـاذلاً لـي فيمـا ظَلْـتُ أكتبُـه ... يُبدي التعجُّبَ من صبري ومن فكري
يقولُ ما لكَ قد أفنيتَ عُمركَ في ... حبرٍ وطِرسٍ عن الأغصانِ والحبرِ
وظَلْـتَ تسهـرُ الليـلَ فـي تعـبٍ ... ولا تَنـي أمـدَ الأيـامِ فـي ضجـرِ
أقصر فإني أدري بالذي طمحت ... لأفقـه همَّتـي واسـأل عـن الأثـرِ
واسمع لقولِ الذي تُتْلى محاسنُهُ ... من بعدِ ما صارَ مثلَ التربِ كالسورِ
جمال ذي الأرضِ كانوا في الحياة وهم ... بعـد الممـات جمـالُ الكُتـبِ والسِّيَرِ

٢٧٧ـ دواعي البكاء :

جاء في « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٦/ ١٦٧) ما نصه :

« عن أحمد بن إسحاق الحضرمي قال : سمعتُ صالحاً المُرِّي يقول :

للبكاء دواعي ، الفكرة في الذُّنوب ، فإن أجابت على ذلك القلوب ، وإلاَّ نقلتها إلى تلك الشدائد والأهوال ، فإن أجابت على ذلك ، وإلاَّ فاعرض عليها التقلُّب بين أطباق النيران .

قال : ثم صاح وغُشيَ عليه ، فتصايح الناس من نواحي المجلس » .

٢٧٨ـ تُحبُّون أن تُبشَّروا بالجنَّة على مساوىءِ أعمالكم :

أخرج البخاري في التفسير ، تفسير سورة « حم المؤمن » (٦/ ١٥٨ـ١٥٩) و « تهذيب الكمال » للمزي (٢٢/ ٥٠٥ـ٥٠٦) ما نصه :

« كان العلاء بن زياد يُذَكِّرُ النَّارَ ، فقال رجلٌ : لِمَ تُقنِّطُ النَّاسَ ؟

قال : وأنا أقدرُ أن أُقنِّطَ النَّاس والله يقول :

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] ، ويقول : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٤٣] ، ولكنكم تُحبُّون أن تُبشَّروا بالجنَّة على مساوىءِ أعمالكم ، وإنَّما بعثَ الله محمداً مُبشِّراً بالجنَّة لمن أطاعه ، ومُنذراً بالنَّار لمن عصاه » .

٢٧٩ـ أكره أن أرى من يعصي الله :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ٦٧) برقم : (٧٤) بإسناد حسن ، ما نصه :

حدَّثنا كثير بن هشام قال :

كان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ قاعداً بالبصرة ، فقيل له : هذا مساور ابن سوار يمر ـ وكان على شرطة محمد بن سليمان ـ فوثبَ فدخل داره ، وقال : أكره أن أرى من يعصي الله ، ولا أستطيع أن أُغير عليه » .

٢٨٠ـ ما فعل من خير فلك وله :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٤٠ـ٤١) ما نصه :

« أوفدَ زياد بن أبيه عبيد بن كعب النُّمَيري إلى معاوية ، فقال له معاوية :

أخبرني عن زياد ؟

قال : يستعملُ على الخير والأمانة ، دون الهوى ، ويعاقبُ على قدر الذَّنب ، ويسمرُ فيستحزمُ بحديث الليل تدبيرَ النهار .

قال : أحسنَ ، فكيف يعمل في حقوق الناس ؟

قال : يأخذ ماله عفواً .

قال : فكيف عطاياه ؟

قال : يمنَع حتى يُبَخَّل ، ويعطي حتى يقال جواد .

قال : أحسنَ ، إن البذل رضيعُ العدل ، فكيف الشفاعة عنده ؟

قال : ليس فيها مطمع ، وما فعل من خير فلكَ وله » .

٢٨١ـ اتركوه فقد غلبني خبثاً ودهاءً :

جاء في كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » للأبشيهي رحمه الله تعالى (١/ ٧) ما نصه :

« لما ابتنى الحجاج واسط ، ابتنى فيها قبّة ، فأُعجب بها فقال لمن حوله :

كيف ترون قبّتي هذه وبناءها ؟

فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نضرة بهجة ، قليل عيبها ، كثير خيرها .

قال : لم لا تخبروني بنصح ؟

قالوا : لا يصفها لك إلا الغضبان .

فبعث إلى الغضبان ، فأحضره وكان في السجن ، فقال له :

كيف ترى قبّتي هذه ، وبناءها ؟

قال : أصلح الله الأمير ، بنيتها في غير بلدك ، لا لك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بباق .

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، ردُّوه إلى السجن .

فلمّا حملوه قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] .

فقال : أنزلوه .

قال : ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٩] .

قال : اضربوا به الأرض .

فلما ضربوا به الأرض ، قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥] .

قال : جُرُّوه .

فلما جرُّوه قال : ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود : ٤١] .

فقال الحجاج : ويلكم اتركوه ، فقد غلبني خبثاً ودهاءً .

ثم عفا عنه وأنعمَ عليه ، وخلَّى سبيله .

٢٨٢ـ إن فعلتِ شيئاً من هذا فأنتِ طالق :

جاء في كتاب « أخبار ولاة وقضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله (ص ٣٤٢ـ٣٤٣) في ترجمة القاضي توبة بن نمير الحضرمي رحمه الله ، ما نصه :

« عن عبد الله بن لهيعة :

أن توبة لمّا وليَ القضاء دعا امرأته عفيرة فقال :

يا أمَّ محمد أي صاحب كنتُ لك .

قال : خيرَ صاحب وأكرمه .

قال : فاسمعي ولا تعرِضَنَّ لي في شيءٍ من القضاء ، ولا تذكريني بخصم ، ولا تسليني عن حكومة ، فإن فعلتِ شيئاً من هذا فأنتِ طالق ، فإما أن تُقيمي مُكرَّمة ، وإمّا أن تذهبي ذميمة ، فانتقلت عنه فلم تكن تأتيه إلا في الشهر والشهرين .

وفي رواية أخرى : عن المفضل بن فضالة قال :

لمّا وليَ توبة القضاء دعا امرأته فقال لها : كيف علمتِ محبَّتي لك ؟

قالت : جزاكَ الله من عشير خيراً .

قال : قد علمتِ ما قد بلينا من أمر الناس كلهم ، فأبُتُّ الطلاق (فصاحت) .

فقال : إن كلَّمتني في خصم أو ذكَّرتني به .

قال : فإن كانت لترى دواته قد احتاجت إلى الماء٠فلا تأمر بها أن تمُدَّ خوفاً من أن يدخل عليه في يمينه شيء » .

٢٨٣ـ ما عندنا أوسع لك :

جاء في كتاب « المحاسن والمساوىء » (ص ١٣٩) ما نصه :

« كان الحجاج بن يوسف حسوداً لا تتمُّ له صنيعة حتى يفسدها ، وأحسَّ عمارة بن تميم اللخمي أن الحجاج يتربَّص به ، وكان عاقلاً رفيقاً فجعل يترفَّق بالحجاج ويُداريه حتى عزمَ الحجاج على المضيِّ إلى عبد الملك بن مروان في دمشق فأخرج عمارة معه .

فلمّا قامت الخطباء بين يدي عبد الملك وأثنت على الحجاج ، قام عمارة فقال : يا أمير المؤمنين ، سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي .

فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ، وكان من بأسه ونجدته وعقله ومكيدته كذا وكذا ، وهو أيمن الناس نقيبة ، وأعلمهم بتدبير وسياسة .

ولم يبق الحجاج غاية في الثناء عليه .

فقال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين .

قال : نعم ، فرضي الله عنك ، فأعادها عمارة ثلاثاً ومن كلها يقول عبد الملك : قد رضيت .

فقال عمارة : فلا رضي الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ، ولا عافاه ، فهو ـ والله ـ السيء التدبير ، الذي أفسد عليك أهل العراق ، وألَّب عليك الناس ، وما أُتيت إلا من قلَّة عقله ، وضعف رأيه ، وقلَّة بصره بالسياسة ، ولك والله أمثالها إن لم تعزله .

فقال الحجاج : مه يا عمارة! فقال عمارة : لا مه ولا كرامة يا حجاج .

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كل مملوك لي حر إن سرتُ تحت راية الحجاج أبداً .

فقال عبد الملك : ما عندنا أوسع لك .

فلما انصرف عمارة إلى منزله بعث إليه الحجاج وقال له : أنا اعلم أنه ما خرج هذا عنك إلا عن معتبة ، ولك عندي العتبى ، ولك ولك!

فأرسل إليه عمارة : ما كنت أظنُّ أن عقلك على هذا! أرجع إليك بعد الذي كان من طعني وقولي عند أمير المؤمنين ؟ لا ، ولا كرامة لك » .

٢٨٤ـ متى يبلغ المُتَّقي الدرجة العليا ؟ :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٣٥) ما نصه :

« سألت عُبيدة بنت أبي كلاب ، مالك بن دينار ، فقالت :

يا أبا يحيى ، متى يبلغُ المُتَّقي الدرجة العُليا التي ليس فوقها درجة ؟

قال مالك : بخٍ بخٍ يا عُبَيْدة ، إذا بلغَ المُتَّقي تلك الدرجة العُليا التي ليس فوقها درجة ، لَم يَكن شيءٌ أحبُّ إليه من القدوم على الله .

قال : فصرخت عُبَيْدة صرخةً سقطت مغشياً عليها » .

٢٨٥ـ اللهمَّ أنت المأمول لأحسن الخلف :

جاء في كتاب « الفرج بعد الشدَّة » للتنوخي رحمه الله تعالى (١/ ١٨١) ما نصه :

« عن البرقيِّ قال :

رأيتُ امرأة بالبادية ، وقد جاء البَرَدُ ، فذهب بزرعٍ كان لها ، فجاء الناس يعزُّونها ، فرفعت طرفها إلى السماء ، وقالت :

اللهمَّ أنت المأمول لأحسن الخلف ، وبيدكَ التعويض عمَّا تلف ، فافعل بنا ما أنت أهله ، فإن أرزاقنا عليك ، وآمالنا مصروفة إليك .

قال : فلم أبرَحْ ، حتى جاء رجل من الأجِلاَّء ، فحُدِّث بما كان ، فوهبَ لها خمسمئة دينار » .

٢٨٦ـ ما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً :

جاء في كتاب « التوابين » لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى (ص ١٩٢ـ١٩٣) ما نصه :

« قال جعفر بن محمد ، سمعت الجنيد بن محمد يقول :

كان أبو شعيب البراثيُّ أوَّل من سكن براثى في كوخٍ يتعبَّد فيه ، فمرَّت بكوخه جارية من بنات الكبار ، كانت رُبِّيَتْ في قصور المُلوك ، فنظرَتْ إلى أبي شُعَيب ، فاستحسنت حالَه ، وما كان عليه ، فصارت كالأسير له ، فعزمت على التجرُّد من الدنيا والاتصال بأبي شُعَيْب ، فجاءت إليه ، وقالت :

أُريد أن أكون لك خادمة .

فقال لها : إن أردتِ ذلك فغيِّري من هيئتك ، وتجرَّدي عمّا أنتِ فيه حتى تصلُحي لما أردتِ .

فتجرَّدت عن كلِّ ما تملكه ، ولبست ثياب النُسك وحضرته ، فتزوَّجها ، فلمّا دخلت الكوخ رأت قطعة خِصاف في مجلس أبي شُعَيْب تقيه النَّدى .

فقالت : ما أنا بمقيمة فيه حتى تخرجَ ما تحتكَ ، لأنِّي سمعتُكَ تقول :

إن الأرض تقول :

(يا ابن آدم ، تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني ؟) فما كنتُ لأجعل بيني وبينها حجاباً .

فأخذَ أبو شُعَيب الخِصاف ، فرمى بها .

فمكثت معه سنين كثيرة تتعبَّدُ أحسنَ عبادة ، وتُوفِّيا على ذلك متعاونين » .

٢٨٧ـ فمن يحجر عليك أيها القاضي ؟ :

جاء في كتاب « أخبار ولاة وقضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٣٤٧) ما نصه :

« عن ربيعة بن أخي غوث الحضرمي :

أن توبة بن نمر كان لا يملك شيئاً إلاَّ وهبَه ، ووصل به إخوانه ، وأفضل به عليهم ، فلما وليَ القضاء كان يرى أن يحجر على السفيه والمُبذِّر ، فرفع إليه غلامٌ من حِمْيَر لا تحوي يده شيئاً إلا وهبه وبذره ، فقال توبة : أرى أن أحجرَ عليك يا بُنيَّ .

قال : فمن يحجر عليكَ أيها القاضي ؟ والله ما نبلغُ في أحوالنا عُشر معشار من تبذيرك .

فسكتَ توبة ولم يحجر على سفيه بعد » .

٢٨٨ـ ما كان بكائي إلاَّ لبكائهم :

جاء في كتاب « الحلية » لأبي نعيم الأصبهاني (٦/ ٢٤٤) ، و « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٣/ ٣٧٧ـ٣٧٨) ، و « الورع » لابن أبي الدنيا (ص ٦٦ـ٦٧) برقم : (٥٦) ، ما نصه :

« عن مسمع بن عاصم قال :

بِتُّ أنا وعبد العزيز بن سلمان ، وكِلابُ بن جُري ، وسلمان الأعرج ، على ساحل من بعض السواحل .

فبكى كلاب حتى خشيتُ أن يموت .

ثم بكى عبد العزيز لبكائِه .

ثم بكى سلمان لبكائهم .

وبكيتُ والله لبكائهم ، لا أدري ما أبكاهم .

فلما كان بعدُ ، سألتُ عبد العزيز ، فقلت : يا أبا محمد! ما أبكاكَ ليلتك ؟

فقال : إني والله نظرتُ إلى أمواجِ البحر تموجُ وتخيَّل ، فذكرتُ إطباقَ النيران وزفراتها ، فذلك الذي أبكاني .

ثم سألتُ كِلاباً أيضاً نحواً ممّا سألتُ عبد العزيز ، فوالله لكأنّما قصَّته! فقال لي مثل ذلك .

ثم سألت سلمان الأعرج نحواً ممّا سألتهما ، فقال لي : ما كان في القوم شرٌّ منِّي! ما كان بكائي إلاَّ لبكائهم ، رحمةً لهم ممّا كانوا يصنعون بأنفسهم » .

٢٨٩ـ إنك اليوم تأكُلُ وغداً تُؤْكَلُ :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١٠٢ـ١٠٣) برقم : (١١١) ما نصه :

« عن أبي سعد قال :

سمعتُ الحجاج يخطب يوماً على المنبر يقول :

يا ابن آدم! بينما أنت في دارك وقرارك ، إذ تسوَّرَ عليكَ عبدٌ يُدعى مَلَكَ الموت ، فوضعَ يدَهُ من جسدك موضعاً ، فذلَّ له ، فاختلس روحكَ ، فأخذه ، فذهب به ، ثم قام إليك أهلكَ ، فغسلوكَ وكفَّنوكَ ، ثم حملوكَ إلى قبركَ فدفنوكَ ، ثم رجعوا ، فاختصمَ فيك حبيباك : حبيبك من أهلك ، وحبيبك من مالك! فاتَّقِ الله ، **فإنَّك اليوم تأكُلُ وغداً تُؤْكَلُ** .

قال أبو سعد : ثم نعر نعرةً ، فظننتُ أنه الموت به ، ثم نظرتُ إلى عينيه تسكبانِ ، حتى نظرت إليه يتلقى دموعه بعمامته ، ثم ينزل ، فيفتُل .

قال : وصعد المنبر ، فاستسقى ، وقد استسقى قبل .

قال : فلما كان في ذلك اليوم استسقى ، فلا والله ما نزل عن المنبر حتى مُطر ، فاستقبلَ القبلة وصلَّى ، وسقطَ رِداؤه .

قال : وبكى لمّا أُجيب ، ثم أقبلَ بوجهه فقال :

أيها الناس ، إن العبد يسألُ ربَّه الحاجة وطلبها إليه ، ومن أمر ربِّه يُجيبه فيها ، فيطول الله عليه ليكون إذا أعطاها إيَّاه أشدَّ لشُكره ، وإنِّي أقسمتُ عليكم بالله لما صُمتم شكراً ثلاثاً .

ثم خرج! » .

٢٩٠ـ ليس العجب أن تفعل ، إنما العجب أن لا تفعل :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٨٤ـ٨٥) ما نصه :

« قال أبو الحسن المدائني :

تحمَّلَ الهذيلُ بن زفر بن الحارث ديَّات قومه ، فأتى يزيدَ بن المهلَّبِ ، فقال : أصلحكَ الله ، إنه قد عَظُمَ شأنُكَ ، عن أن يُستعانَ بكَ أو يُستعانُ عليكَ ، ولستَ تصنعُ شيئاً من المعروف إلاَّ أنت أعظم منه ، **وليس العجبُ أن تفعلَ ، وإنما العجبُ أن لا تفعَلَ!**

فقال : ما حاجتكَ ؟

فسأله أن يُعينَهُ في الديَّاتِ التي تحمَّلَ ، فأمرَ له بها ، وبمئة ألفِ درهم ، فقبِلَ الدِّيَّاتِ ولم يقبل المائة ألفِ درهم ، وقال : ليس هذا موضعها » .

٢٩١ـ أيقظت رأيي وأنمت هواي :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٥/ ٣٦) و « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله تعالى (١/ ٦٣) ما نصه :

« كتب الوليد إلى الحجاج أن صِفْ لي سيرتَكَ ، فكتبَ إليه :

إنِّي أيقظتُ رأيي ، وأنمتُ هواي ، فأدنيتُ السيِّدَ المُطاعَ في قومه ، ووليتُ الحربَ الحازمَ في أمره ، وقلَّدتُ الخراجَ الموفر لأمانته ، وصرفتُ

السيف إلى النطف[1] المسيء ، فخافَ المريب صولةَ العقاب ، وتمسَّكَ المُحسنُ بحظِّه من الثَّواب » .

٢٩٢ـ لا تفعل :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه رحمه الله تعالى (١/ ٣٨) ما نصه :

« قال الشعبي :

كنتُ جالساً عند شُرَيح إذ دخلت عليه امرأةٌ تشتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاءً شديداً ، فقلت : أصلحك الله ما أراها إلاَّ مظلومة ؟

قلت : لبكائها ؟

قال : لا تفعل ، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يبكون وهم ظالمون » .

٢٩٣ـ من ضاق قلبه ، ضاقت عليه الدنيا بما فيها :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٤/ ٤٣٨) في ترجمة الزَّاهدة ميمونة أخت إبراهيم بن أحمد الخوَّاص لأُمِّه ، رحمهما الله تعالى ، ما نصه :

« عن أبي الخير الأقطع قال :

دخلَ الخوَّاصُ على أُخته ميمونة ـ وكانت أُخته لأُمِّه ـ فقال لها : إنِّي اليومَ ضيِّقُ الصَّدر .

فقالت : مَنْ ضاقَ قلبُه ، ضاقت عليه الدُّنيا بما فيها ، ألا ترى الله يقول : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة : ١١٨] ، لقد كان لهم في الأرض مُتَّسع ، ولكن ضاقَتْ عليهم أنفسُهم ، فضاقت عليهم بما فيها الأرض » .

---

(١) النطف : الرجل المريب .

٢٩٤ـ مَنْ سَرَّهُ أن يسبق فليكفَّ عن الذُّنوب :

جاء في كتاب « أحسن المحاسن » لأبي إسحاق الرقِّي رحمه الله تعالى (ص ١٥٥) ما نصه :

« قالت عائشة رضي الله عنها :

إنَّ العبدَ إذا عملَ بمعصية الله ، عاد حامدُه من الناس ذامًّا .

إنكم لم تلقوا الله بشيء خير لكم من قلَّة الذُّنوب ، فمَنْ سرَّه أن يسبقَ الدائبَ المجتهد ، فليكفَّ نفسه عن الذُّنوب » .

٢٩٥ـ خلاص هذا المسكين :

جاء في هامش كتاب « أخبار ولاة وقضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله (ص ٣٤٨) في ترجمة القاضي خير بن نعيم الحضرمي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« ذكر الشريف في النقط :

أن اثنين ترافعا إلى خير بن نعيم ، فادَّعى أحدهما بعشرين ديناراً ، فسكتَ المدَّعى عليه .

فقال له : ما يخلصك السكوت .

فناوله رقعة ، وقال : استرها .

فسترها خير بكُمِّه ، فإذا فيها : المبلغ في ذِمَّتي ، ولكن ليس له بها شاهدٌ ، وأنا اليوم لا أقدرُ على حقِّ الرسول ، فإن اعترفت عقلني ، وإن استحلفني خفتُ الله .

فبكى خير فأخرج منديلاً من كُمِّه ، فوزَنَ عشرين ديناراً للمُدَّعي ، فقال : ما هذه الدنانير ؟

قال : خلاص هذا المسكين . فقال : ما أردتَ بهذا ؟

قال : الأجر والثَّواب .

قال : أنا أحقُّ ، والله لا طلبتُها منه أبداً .

فقام المطلوب فقال له خير : خُذها فليس لي فيها رجعة .

فأخذ عشرين ، وتخلَّص من عشرين » .

٢٩٦ـ بادروا آجالكم بأعمالكم :

جاء في كتاب « الرقة والبكاء » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١٠١ـ١٠٢) برقم : (١٠٩) ما نصه :

« عن أبي بكر الهذلي قال :

رأيتُ الحجاج يخطبُ على المنبر ، فسمعتُه يقول :

يا أيها الناس! إنَّكم غداً موقوفون بين يدي الله ، ومسؤولون ، فليتَّقِ الله امرؤٌ ، ولينظر ما يعدُّ لذلك الموقف ، فإنه موقف يخسر فيه المبطلون ، وتذهَلُ فيه العقول ، ويرجعُ الأمرُ فيه إلى الله ، لتُجزى كل نفسٍ بما كسبت ، إن الله سريع الحساب ، بادروا آجالكم بأعمالكم قبل أن تُخترموا دون آمالكم .

ثم نحَبَ وهو على المنبر ، فرأيتُ دموعه تنحدرُ على لحيته » .

٢٩٧ـ تأملون ما لا تدركون :

جاء في « تهذيب الكمال » للمزي رحمه الله (٢٢/ ٤٧٤) في ترجمة الصحابي الجليل عويمر بن مالك الأنصاري أبو الدرداء الخزرجي رضي الله عنه ، ما نصه :

« عن رجاء بن حيوة ، عن أبي الدرداء :

إنَّما العلم بالتعلُّم ، والحِلمُ بالتَّحلُّم ، ومَنْ تَبَحَّرَ الخيرَ يُعْطِه ، ومَنْ يَتَوَقَّ الشرَّ يتوقَّه ، وثلاثةٌ لا ينالونَ الدَّرجات العُلى : مَنْ تَكَهَّنَ أو استقسمَ أو رجَعَ من سفَرِهِ من طَيَرة .

وقال أبو الدرداء : يا أهل دمشق ، اسمعوا قولَ أخٍ لكم ناصح : ما لي

أراكم تجمعونَ ما لا تأكلون ، وتَبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تُدركون ، فإنَّ مَنْ كان قبلكم جمعوا كثيراً ، وبنوا شديداً ، وأملوا طويلاً ، فأصبح جَمْعُهم بُوراً ، ومساكنُهم قُبوراً ، وآمالُهم غُروراً » .

٢٩٨ـ لم تزل السمكة ثلاثة أيام :

جاء في كتاب « تذكرة الحفاظ » للإمام الذهبي رحمه الله (٣/ ٨٣٠) ما نصه :

« قال ابن أبي حاتم : كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقةً ، نهارنا ندور على الشيوخ ، وبالليل ننسخ ونقابل ، فأتينا يوماً أنا ورفيقٌ لي شيخاً ، فقالوا : هو عليل .

فرأيت سمكة أعجبتنا . فاشتريناها ، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ ، فمضينا ، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام ، وكادت أن تنتن ، فأكلناها نيئة لم نتفرغ نشويها ، ثم قال : **لا يستطاع العلم براحة الجسد** » .

٢٩٩ـ استحيوا من الله حقَّ الحياء :

جاء في مسند الإمام أحمد (١/ ٣٨٧) ، والترمذي في السنن (٤/ ٦٣٧) ، وأبو يعلى (٨/ ٤٦١) ، والحاكم (٤/ ٣٢٣) ، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٣٤) ، بإسناد حسن عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه ، ما نصه :

« عن عبد الله قال : قال النَّبي ﷺ ذات يوم لأُناس من أصحابه :

« **استحيوا من الله حقَّ الحياء** » .

قالوا : يارسول الله ! إنَّا لنفعلُ ذلك !

قال : ليس ذلك من الحياء من الله ، ولكن من استحيى من الله حق الحياء ، فليحفظ الرَّأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى ، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حقَّ الحياء » .

٣٠٠ـ أغنوا عنِّي هذا :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٨٥ـ٨٦) ما نصه :

« قال شيخ من بني عمرو بن كلابٍ :

خرجَ عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما يريدُ الشأمَ ، فألجأه المطرُ إلى أبياتٍ ، فإذا قبَّةٌ حمراء بفنائها رجلٌ ينادي : الذرى الذرى[1] !

قال عبد الله : فأنخنا فدخلنا القبَّةَ ، وحُطَّ عن رواحلنا ، ثم أتى بجزور فنحرها ، فبتنا في شواءٍ وقديد ، وتحدَّث معنا من الليل هنيهةً ثم انصرفَ ، فلمّا أصبحَ وقف عن القبة ، وسألنا عن مبيتنا ، وانصرف ، فأتى بجزور فعقرها .

فقلنا : رحمك الله ما تريد إلى هذا ؟!

قال : كلوا رحمكم الله طريًا ، فإنَّا لا نُطعمُ الضيف غابا[2] .

قال عبد الله رحمه الله : فدعوتُ بثوبٍ فجعلتُ فيه زعفراناً وصررتُ في طرفٍ منه مئة دينار ، ثم بعثتُ به إلى أهله .

فقالوا : إنَّا لا نقدرُ على أخذه إلاَّ بإذنه ، فسألتُهُ أن يقبلَهُ منِّي ، فأبى ، فلمّا ارتحلنا وودَّعتُهُ أمرتُ فأُلقي الثوب بين البيوت ، ومضينا ، فإنَّا لنسيرُ

---

(١) الذرى : الكن أو ما يستر من الريح .

(٢) الغاب : اللحم البائت .

إذ لحقنا على فرسٍ مُشرعاً رُمحهُ ، قد احمرَّتْ عيناه ، والثَّوبُ بين يديه ، فصاحَ بنا :

أغنوا عنِّي هذا ، ونبذَهُ إلينا ، وولَّى وهو يقول :

وإذا أخـذتُ ثـوابَ مـا أعطيتُـهُ   فكفى بذلك لنائلي تكديراً »

٣٠١ـ إنه عمود السلطان ، وقوام الأديان :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٩١) ما نصه :

« حدَّثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : سمعتُ القاضي أبا عمر يقول :

قُدِّمَ خادمٌ من وجوه خدمِ المعتضد بالله ، إلى أبي في حكم ، جاء فارتفعَ في المجلس .

فأمره الحاجبُ بموازاة خصمه ، فلم يفعل ادلالاً بعظم محلِّه في الدولة .

فصاح أبي عليه وقال : هاه ، تؤمر بموازاة خصمك ، فتمتنع ؟ يا غلام ، عمرو بن أبي عمرو النخّاس الساعة ، لأتقدَّم إليه ببيع هذا العبد ، وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين .

ثم قال لحاجبه : خُذ بيده وساوِ بينه وبين خصمه .

فأُخذ كرهاً وأُجلس مع خصمه .

فلمّا انقضى الحكم ، انصرف الخادم ، فحدَّث المعتضد بالحديث ، وبكى بين يديه .

فصاح عليه المعتضد ، وقال : لو باعكَ لأجزتُ بيعه ، ولما رددتُكَ إلى ملكي أبداً ، وليس خصوصك بي ، يُزيلُ مرتبة الحكم ، **فإنه عمود السلطان ، وقوام الأديان** » .

٣٠٢ـ إن كان عمر لا يعلم ، فإن إله عمر يعلم :

جاء في « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم رحمهم الله جميعاً (ص ٢٢ـ٢٣) ما نصه :

« ذُكرَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء ، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة ، فإذا بامرأة تقول لابنة لها : ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت ؟

فقالت الجارية : كيف أمذقُ وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟

فقالت : قد مذقَ الناس فامذقي ، فما يدري أمير المؤمنين ؟

فقالت : إن كان عمر لا يعلم ، فإله عمر يعلم ، ما كنتُ لأفعله ، وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر ، فلمّا أصبح دعا عاصماً ابنه ، فقال :

يا بُنيَّ ، اذهب إلى موضع كذا وكذا ، فاسأل عن الجارية ـ ووصفها له ـ فذهب عاصم ، فإذا هي جارية من بني هلال ، فقال له عمر :

اذهب يا بُنيَّ فتزوجها ، فما أحراها أن تأتي بفارسٍ يسود العرب ، فتزوَّجَها عاصم بن عمر ، فولدت له أُمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فتزوَّجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، فأتت بعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ » .

٣٠٣ـ على الإنسان أن لا يدع التوثُّق من نفسه :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٣/ ٢٤٣) ما نصه :

« قال عبد الرحمن بن عمر :

دخلتُ على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباءٍ لها ، وبين يديها بُنَيٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه ، فأغمضته ، وعَصَبتهُ ، وسجَّتهُ ،

وقالت : يا ابن أخي .

قلتُ : ما تشائين ؟

قالت : ما أحقُّ من ألبس النِّعمة ، وأُطيلتْ به النَّظرة أن لا يدعَ التوثُّقَ من نفسه قبل حلِّ عقدته ، والحلولِ بعَقْوَته ، والمحالة بينه وبين نفسه .

قال : وما يقطرُ من عينها دمعةٌ صبراً واحتساباً .

ثم نظرت إليه ، فقالت : والله ما كان مالُه لبطنه ، ولا أمرُه لعرسه .

ثم أنشدت :

رحيـبُ ذراعٍ بـالتـي لا تَشينُـه ... وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرعاً

٣٠٤ـ إن مِتُّ فاذكرني بذكرٍ مُحبَّب :

جاء في « ذيل الأمالي والنوادر » لأبي علي القالي رحمه الله تعالى (ص ١٩١) ما نصه :

« لمّا حضرت الحجاج الوفاة ، وأيقن الموت ، قال :

أسندوني ، وأذن للناس ، فدخلوا عليه ، فذكر الموت وكربه ، واللَّحد ووحشته ، والدُّنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وأنشأ يقول :

إنَّ ذنبـي وزن السمـوات والأ ... رض وظنِّـي بخـالقـي أن يحـابـي

فلئـن مَـنَّ بـالـرِّضـا فهـو ظنِّـي ... ولئـن مـرَّ بـالكتـاب عـذابـي

لـم يكـن ذلـك منـه ظلمـاً وهـل ... يظلمُ ربٌّ يُرجى لحسنِ المئابِ

ثم بكى ، وبكى جلساؤه ، ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فقد كنتُ أرعى غنمكَ ، أحوطُها حياطةَ النَّاصحِ الشَّفيقِ برعيَّة مولاه ، فجاء الأسد ، فبطشَ بالرَّاعي ومزَّقَ المرعيَّ كلَّ مُمزَّقٍ ، وقد نزلَ بمولاكَ ما نزلَ بأيُّوبَ الصَّابر ، وأرجو أن يكون الجبَّارُ أرادَ بعبده غُفراناً لخطاياه ، وتكفيراً لما حملَ من ذنوبه .

ثم كتب في آخر الكتاب :

إذا ما لقيتُ الله عنِّي راضياً ... فإنَّ شفاءَ النَّفسِ فيما هنالكِ
فحسبي بقاءُ الله من كل ميِّتٍ ... وحسبي حياةُ الله من كلِّ هالكِ
لقد ذاقَ الموت من كان قبلنا ... ونحن نذوقُ الموتَ من بعد ذلكِ
فإن متُّ فاذكرني بكلِّ مُحبَّبٍ ... فقد كان جَمًّا في رضاكَ مسالكي
وإلاَّ ففي دُبُرِ الصلاةِ بدعوةٍ ... يلقى بها المسجون في نارِ مالكِ
عليكَ سلامُ الله حيًّا وميِّتاً ... ومن بعدِ ما تحيا عتيقاً لمالكِ

٣٠٥ـ لا سترَ الله عليَّ ذنبي يوم القيامة إن سترتها :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٢٩/١) ما نصه :

« قال العتبي :

إنِّي لقاعدٌ عند قاضي هشام بن عبد الملك ، إذ أقبلَ إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه .

فقال صاحب الحرس : إن أمير المؤمنين جرَّاني (وكَّلني) في خصومة بينه وبين إبراهيم .

فقال القاضي : شاهديكَ على الجراية « الوكالة » ؟

قال : أتراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه إلاَّ هذه السترة ؟

قال : لا ، ولكنه لا يثبتُ الحقُّ لك ولا عليك إلا ببيِّنة .

قال : فقام صاحب الحرس فدخل على هشام فأخبره ، فلم نلبث أن تقعقعت الأبواب وخرج الحرسي وقال :

هذا أمير المؤمنين . وخرج هشام .

قعد هشام وإبراهيم بين يدي القاضي ، وكنَّا نسمعُ بعض كلامهم ،

ويخفى عنّا بعضه ، فتكلّما وأحضرا البيّنة ، فقضى القاضي على هشام بن عبد الملك .

فتكلّم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق ، إذ قال :

الحمدُ لله الذي أبان للناس ظلمك .

فقال له هشام : هممتُ أن أضربكَ ضربةً ينتثرُ منها لحمك عن عظمك .

فقال إبراهيم : أما والله لئن فعلت ، لتفعلنّه بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، وواجب الحق .

فقال هشام : يا إبراهيم ، استرها عليَّ .

قال : لا سترَ الله عليَّ إذاً ذنبي يوم القيامة إن سترتُها .

قال : فإنِّي مُعطيكَ عليها مئة ألف .

قال إبراهيم : فسترتُها عليه أيّام حياته ثمناً لما أخذتُ منه ، وأذعتها بعد مماته تزييناً له » .

٣٠٦ـ ما أسوأَ حالَ هشام إنْ لم يَغْفِرِ اللهُ له :

جاء في « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٢٢) ما نصه :

« أنَّ هشام بن عبد الملك بن مروان لمّا ثقل في مرضه الذي مات فيه بكى عليه ولده ، فقال لهم :

جادَ لكم هشامٌ بالدُّنيا ، وجُدْتُم عليه بالبكاء ، وترَكَ لكم ما كَسَبَ ، وتركتُم عليه ما اكتسَبَ ، فما أسوأَ حالَ هشامٍ إن لم يغفِرِ اللهُ له » .

٣٠٧ـ قليلُ الكلام خيرٌ من كثيره :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢/ ٥٢٩ـ٥٣٠) ما نصه :

« قال نوحٌ الأسود :

رأيتُ امرأة تأتي أبا عبد الله البَراثي فتجلسُ تسمع كلامه ، ولا تكادُ تتكلَّم ولا تسأل عن شيء . فقلتُ لها ذات يومٍ : لا أراكِ يرحمكِ الله تتكلَّمين ولا تسألين عن شيء ؟

فقالت : قليلُ الكلام خيرٌ من كثيره إلاَّ ما كان من ذكر الله ، والمُنصتُ أفهمُ للموعظة ، ولن ينصحكَ امرؤ لا ينصحُ نفسه ، وجُملة الأمر يا أخي : إن أردت الله بطاعة ، أرادك الله برحمةٍ ، وإن سلكتَ سبيل المعرضين ، فلا تَلُم إلا نفسكَ إذا صِرتَ غداً في زمرة الخاسرين .

قال : ثم استبكت فقامت ، وسمعتُها تعظُ ابنها يوماً وتقول :

ويحكَ يا بُنيَّ ، احذر بطالات الليل النهار ، فتنقضي مهلات الأعمار ، وأنت غيرُ ناظرٍ لنفسكَ ، ولا مُستعدٌّ لسفركَ .

ويحكَ يا بُنيَّ ، ما من الجنَّةِ عِوَضٌ ، ولا في ركوب المعاصي ثمنٌ من حلول النهار .

ويحكَ يا بُنيَّ ، مهِّدْ لنفسكَ قبل أن يُحالَ بينكَ وبين ذلك ، وجِدَّ قبل أن يجدَّ الأمرُ بك ، واحذر سطواتِ الدَّهر وكيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلُّبها بالعِبَر ، فعند ذلك يهتمُّ التقيُّ كيف ينجو من مصائبها .

ثم قالت : بُؤساً لك ـ يا بُنيَّ ـ إن عصيتَ الله وقد عرفته وعرفت إحسانه ، وأطعتَ إبليسَ وقد عرفته وعرفتَ طُغيانه » .

٣٠٨ـ بل في كيسي أنا :

جاء في هامش كتاب « أخبار ولاة وقضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله (ص ٣٤٩) في ترجمة القاضي خَيْر بن نُعَيم الحضرمي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« وذكر الشريف في النقط :

أن اثنين حضرا إلى خير عند أذان المغرب ، فتحاكما في جمل فصرفهما وتشاغل بصلاة المغرب .

فحضرا إليه في اليوم الثاني فقال أحدهما :

اشتريتُ من هذا جملاً باثني عشر ديناراً ، فخرج به عيب واضح ، فقال : ما أردُّه إلاَّ بحكم الحاكم ، فلم تحكم بيننا أمس ، فمات الجمل بالمناخ فيكون في كيسي أو كيسه ؟

فقال خير : بل في كيسي لكوني لم أبتّ الحكم بينكما .

ووزن له ثمن الجمل » .

٣٠٩ـ لا أنجو ، لا أنجو :

جاء في كتاب « الزهد » لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى (ص ١٨٧) ما نصه :

« أخبرنا ابن صبيح عن الحسن قال :

المؤمن من يعلم أن ما قال الله عزَّ وجلَّ كما قال ، والمؤمن أحسن الناس عملاً ، وأشدُّ الناس خوفاً ، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين ، ولا يزداد صلاحاً وبرًّا وعبادة إلا ازداد فرقاً ، يقول : **لا أنجو ، لا أنجو** .

والمنافق يقول : سواد الناس كثير وسيغفر لي ، ولا بأس على أن يسيء العمل ويتمنّى على الله الأماني » .

٣١٠ـ لكأنِّي ما قرأتُ هذه الآية قطّ :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٥/ ٢٠) ما نصه :

« بعث الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال :

أنت الذي تقول : إن الحسن بن علي ، ابن رسول الله ﷺ! والله لتأتيني بالمخرج أو لأضربنَّ عنقك .

فقال له : فإن أتيتُ بالمخرج فإنِّي آمن ؟

قال : نعم .

قال : اقرأ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ . . . ﴾ [الأنعام : ٨٣] إلى قوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ . . . ﴾ [الأنعام : ٨٤ـ٨٥] فمن أقربُ عيسى إلى إبراهيم ، أم الحسن إلى محمد ﷺ ؟

فقال الحجاج : فالله كأنّي ما قرأتُ هذه الآية قطُّ .

وولاّه القضاء » .

٣١١ـ إن الله لا يستحيي من الحقّ :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ١٤١ـ١٤٢) في ترجمة الخليفة الفاروق العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ما نصه :

« عن ابن جُريج ، قال :

أخبرني من أُصدِّقه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاولَ هذا اللَّيلُ واسودَّ جانبُهْ   وأرَّقَني أن لا خليلَ أُلاعِبُهْ

فوالله لولا اللهُ تُخْشى عواقبُهْ   لزحزح من هذا السرير جوانِبُهْ

فقال عمر : ما لكِ ؟

قالت : أغزيتَ زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقتُ إليه .

قال : أردتِ سوءاً ؟

قالت : معاذ الله .

قال : فاملكي عليكِ نفسكِ . فإنّما هو البريدُ إليه .

فبعثَ إليه ، ثمَّ دخل على حفصة رضي الله عنها ، فقال :

إنّي سائلُكِ عن أمرٍ قد أهمَّني ، فافرُجيه عنّي ، كم تشتاقُ المرأةُ إلى زوجها ؟

فخفضت رأسها ، واستحيت .

قال : فإنَّ الله لا يستحيي من الحقِّ .

فأشارت بيدها ، ثلاثة أشهر ، وإلاَّ فأربعة أشهر .

فكتب عمرُ أن لا تُحبسَ الجيوش فوق أربعة أشهر » .

٣١٢ـ مجلسك يا أبا محمد :

جاء في كتاب « رجال من التاريخ » (ص ١٣١ـ١٣٢) ما نصه :

« غضب المعتصم مرَّةً على القائد خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الفارس العربي البطل ، ابن الفارس العربي الذي قال الشاعر في رثاء أبيه :

أحامي الملك والإسلام أودى ؟ فما للأرض ويحك لا تميد ؟
تأمَّل هل ترى الإسلام مادت دعائمه وهل شاب الوليد ؟

وتشفَّع أحمد بن أبي دؤاد القاضي في خالد بن يزيد فلم يُشفِّعه المعتصم ، وكان من عادة ابن أبي دؤاد أن يجلس بجوار الخليفة ، فجاء بعد ذلك وجلس دون مجلسه المعتاد .

فقال له المعتصم : مجلسك يا أبا محمد .

قال : ما ينبغي لي أن أجلس فيه ، لأن الناس يظنون إن جلست فيه أنَّ لي من أمير المؤمنين ما أشفعُ به فأُشفَّع .

قال المعتصم : عُدْ إلى موضعك .

قال : مُشفَّعاً أو غير مُشفَّع ؟

قال : بل مُشفَّعاً . وعفا عن خالد .

قال : إن الناس لا يعلمون أنَّك عفوتَ عنه حتى تخلع عليه ، فأمر فخلع عليه ، قال أحمد : يا أمير المؤمنين! إن له رواتب ستة أشهر فمُرْ له بها تقم مقام الجائزة ، فأمر له بها .

فخرج والخلع عليه ، والمال بين يديه ، فناداه رجل :

مرحباً بك يا سيد العرب .

فقال له : اسكت ويحك ، إنما سيد العرب ابن أبي دؤاد » .

٣١٣ـ لست تصل رحمي بمثل إعفائي :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٣٨٤) في ترجمة القاضي عبد الملك بن محمد الحزمي رحمه الله ، ما نصه :

« عن يزيد بن عمر :

أن الطائي صاحب البريد شفعَ إلى الحَزْمي في خَصْم فكتب إليه الحزمي : ما أنت والقضاء ، عليك تدبُّر دوابِّكَ وبراذعها ، وكَنس زبولها .

فكتب إليه هارون يبغيه ويقول :

إن الناس قد شكوه .

وأتى كتاب هارون إلى داود بن يزيد بن حاتم ، وكان والياً على مصر يأمره أن يوقِّفَ الحزمي للناس .

فأقامه داؤد فأثنى الناس عليه خيراً ، وركب الليث بن سعد ، وعاصم بن العلاء القاص ، وعبد الله بن لهيعة ، إلى الأمير فأثنوا عليه .

فقال الحزمي لداؤود : قد جاءتني فُرجة ، فيها لباس العافية مما أنا فيه ، ولست تصل رحمي بمثل إعفائي ، وقد رضيتُ لك المفضل بن فضالة .

فلم يزل به حتى أعفاه » .

٣١٤ـ جزاء الوالي الظالم :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ١٢٧) ما نصه :

« حدَّثني القاضي أبو عبد الله الحسين بن شعيب الأرجاني ، وكان من شيوخ أهل العلم والرئاسة ببلده :

أن عاملاً للمكتفي رحمة الله عليه ، بكورة أرجان ، طالب بعض أهل الخراج بخراجه ، فتغيَّب عنه ، فأمر بإحراق بابه .

فاتَّصل الخبر بالمكتفي ، فأنفذ من قبض على العامل ، فضربه على باب المسجد بأرجان ، ألف سوط » .

٣١٥ـ ولا يوم الطين :

جاء في كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للشيخ أحمد بن المقري التلمساني رحمه الله (٤/ ٢٧٢ـ٢٧٣) في ترجمة الرميكية زوجة المعتمد بن عباد رحمهم الله تعالى ، ما نصه :

« أنها رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتهت المشي في الطين ، فأمر المعتمد ، فسُحِقَتْ أشياء من الطيب ، وذُرَّتْ في ساحة القصر حتى عمَّته ، ثم نُصبت الغرابيل ، وصُبَّ فيها ماء الورد على أخلاط الطيب ، وعُجنت بالأيدي حتى عادت كالطين ، وخاضتها مع جواريها .

وغاضبَها في بعض الأيام ، فأقسمت أنها لم ترَ منه خيراً قطُّ .

فقال : **ولا يوم الطين ؟**

فاستحيت واعتذرت .

وهذا مصداق قول نبينا ﷺ في حق النساء : « لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قطّ » .

٣١٦ـ اقض ما أنت قاض :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٢/ ٥٣٣) في ترجمة العلاء بن كثير الإسكندراني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال سليمان بن داود المهري ، عن علي بن مُطَّلِب وغيره :

كان العلاء بن كثير لا يتلقى أحداً إذا قدم الإسكندرية غير الليث بن سعد ، ولا يُشيِّعُ أحداً غيره إذا خرج .

قال : فبلغ العلاء أنَّه ولي .

قال سليمان : وإنَّما وَلِيَ مصلحة المسلمين ، فقدم اللَّيثُ ، فقال العلاء لأصحابه : لا أعلمَنَّ أحداً منكم خرج إليه ولا يلقاه .

قال : فقدم فدخل المسجد ، فلم يقم إليه أحد .

قال : فجاء اللَّيثُ فجلس إلى العلاء ، فقال : يا ليث وليت ؟

فقال اللَّيثُ : خِفتُ على دَمي .

فقال له العلاء : لَسَحَرَةُ فرعون كانوا أقربَ عهداً بالكُفر منك ولهُم كانوا أعلم بالله منك حين قالوا : اقض ما أنت قاض .

قال : فقال : فإنِّي أتوبُ إلى الله .

قال : فقال العلاء لإخوانه : خذوا بيد أخيكم » .

٣١٧ـ لكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ١٢٥ـ١٢٦) ما نصه :

« سأل رجلٌ الحسنَ بن عليٍّ ـ رضوان الله عليهما ـ حاجةً ، فقال له :

يا هذا ، حقٌّ سؤالكَ إيَّايَ يَعظُمُ لديَّ ، ومعرفتي ما يجب لكَ تكبُرُ عليَّ ، ويدي تعجَزُ عن نيلكَ ما أنتَ أهلُهُ ، والكثيرُ في ذاتِ الله تعالى قليلٌ ، وما في مَلَكتي وفاءٌ لشُكركَ ، فإن قبلتَ الميسورَ ، ورفعتَ عنِّي مؤونةَ الاحتيالِ والاهتمامِ لما أتكلَّفُ من واجبكَ ، فعلتُ .

فقال : يا ابن رسول الله ، أقبلُ القليلَ ، وأشكرُ العطيَّةَ ، وأعذُرُ على المنعِ .

فدعا الحسن ـ رضوان الله عليه ـ وكيلَهُ ، وجعَلَ يُحاسبُهُ على نفقاته حتى استقصاها ، ثم قال :

هاتِ الفاضلَ من الثلاثمئة ألف دينار ، فأحضرَ خمسين ألفاً .

قال : فما فعلتِ الخمس مئة دينار ؟ قال : هي عندي .

قال : أحضرها ، فأُحضرت ، فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل .

وقال : هاتِ من يحملها ، فأتاه بحمالين ، فدفع إليه الحسن ـ رضوان الله عليه ـ رداءه لكري الحمل .

فقال له مواليه : والله ما بقي عندنا درهم .

فقال : لكني أرجو أن يكون لي عند الله تعالى أجرٌ عظيم » .

٣١٨ـ ما ذكرت حديثك إلا أبكاني :

جاء في كتاب « الرقّة والبكاء » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١١٠ـ١١١) برقم : (١٢٠) ما نصه :

« عن عقيبة بن فضالة قال :

دخلتُ على سعيد بن دعلج وبين يديه رجل يُضْرَبُ ، فقلتُ :

أصلحَ الله الأمير! أُكلِّمكَ بشيءٍ ثمَّ شأنُكَ وما تريد .

قال : فأمر به ، فأمسكَ عنه ، فقال : هاتِ كلامك .

قال : فهبتُه والله ورهبتُ منه رهبةً شديدة ، ثم قلت :

إنَّه بلغني ـ أصلح الله الأمير ـ أن العباد يوم القيامة تُرْعَدُ فرائصُهم في الموقف خوفاً من شرِّ ما يأتي به المنادي للحساب ، وإن المتكبِّرين يومئذ لتحتَ أقدامِ الخلائق .

قال : فبكى ، فاشتدَّ بكاؤه ، فأمر بالرجل ، فأُطلق .

قال : فكنتُ إذا دخلتُ عليه بعد ذلك قرَّبَني وأكرمَني .

قال : وقال لي يوماً وقد دخلتُ عليه : ويحك يا عُقيبة! ما ذكرتُ حديثكَ إلاَّ أبكاني!

قال : ثم بكى » .

٣١٩ـ يوشك والله يغدى بك :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (ص ٢٤٠) ما نصه :

« عن الهيثم قال : سمعت أبي يقول : قال الحسن لأصحابه :

يا ابن آدم إلى متى ؟ يا أهلاه غدّوني ، يا أهلاه عشُّوني ، **يوشكُ الله يُغدّى بك** ، **يوشكُ والله يُراح بك** ، أما هو إلا أكلاً وبلعاً ، وسرطاً سرطاً أحمق ، إنما يجمع مالك لامرأة تذهب به إلى زوجها ، أو رجل يذهب به إلى زوجته ، فإن استطعت أن تكون آخر الثلاثة نصيباً فافعل .

قال : وسمعت الحسن يقول :

ابن آدم مالي مالي ، هل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت » .

٣٢٠ـ ليت شعري ما غرني بك يا رباح :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٤٣ـ٤٤) ما نصه :

« تزوَّج رباح القيسيُّ امرأة ، فبنى بها ، فلمّا أصبح قامت إلى عجينها .

فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا .

فقالت : إنَّما تزوجت رباحاً القيسيَّ ، ولم أرني تزوَّجتُ جبَّاراً عنيداً ، فلمّا كان الليل نام ليختبرها ، فقامت ربع الليل ، ثمَّ نادته : قُمْ يا رباح .

فقال : أقوم .

فقامت الرُّبع الآخر ، ثم نادته فقالت : قُمْ يا رباح .

فقال : أقوم ، فلم يقم ، فقامت الرُّبع الآخر ثم نادته ، فقالت : قُمْ يا رباح ، فقال : أقوم .

فقالت : مضى اللّيلُ ، وعسكر المحسنون ، وأنت نائم ، ليت شعري من غرَّني بك يا رباح ؟

قال : وقامت الرُّبع الباقي » .

٣٢١ـ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (٢/ ٢٦٦) ما نصه :

« أرجف الناس بموت الحجاج ، فخطب فقال :

إنّ طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نزغ الشيطان بينهم ، فقالوا :

مات الحجاج ، ومات الحجاج! فمه!

وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت! والله ما يسرُّني ألا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رضيَ بالتخليد إلاّ لأهون خلقه عليه ـ إبليس ـ ولقد دعا العبد الصالح فقال :

﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [صٓ : ٣٥] فأعطاه ذلك إلاّ البقاء ، فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل .

كأنّي والله بكل حيٍّ منكم ميتاً ، وبكلِّ رطبٍ يابساً ، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، وأكلتِ الأرض لحمه ، ومصّت صديده ، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول .

ثم نزل » .

٣٢٢ـ همذان منها رجل مظلوم في حبسك :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي رحمه الله (٢/ ٢٣٢) وكتاب « قصص العرب » (٣/ ٩٦) ما نصه :

« بينما كان المنصور جالساً في مجلسه المبني على أعالي باب خراسان ، من مدينته التي بناها وأضافها إلى اسمه ، وكان مشرفاً على دجلة ، جاءه سهم عاثر سقط بين يديه فذعر منه ، ثم أخذه وجعل يقلبه فإذا مكتوب عليه بين الريشتين :

أتطمعُ في الحياة إلى التنادي وتحسبُ أن مالك من نفادِ
ستُسألُ عن ذنوبكَ والخطايا وتُسألُ بعد ذاكَ عن العبادِ

ثم قرأ عند الريشة الأولى :

أحسنت ظنَّكَ بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الأخرى :

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوماً تريك خسيس القوم ترفعه إلى السماء ويوماً تخفض العالي

وإذا على جانب السهم مكتوب : « همذان منها رجل مظلوم في حبسك » .

فبعث من فوره برجل من خاصّته ففتَّشوا الحبوس ، فوجدوا شيخاً في بنية من الحبس ، موثَّقاً بالحديد ، متوجِّهاً نحو القبلة ، يُردِّدُ قوله تعالى :

﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] فسألوه عن بلده فقال : همذان .

حُمل الرجل ووُضعَ بين يدي المنصور فسأله عن حاله ، فأخبره أنه رجل من أبناء مدينة همذان ، ومن أرباب نعمها ، ثم قال له :

إن واليكَ علينا دخل بلدنا ، ولي ضيعة تساوي ألف ألف درهم ، فأراد

أخذها مني ، فامتنعت ، فكبَّلني بالحديد ، وحملني وكتبَ إليك : إنّي عاصٍ ، فطُرحتُ في هذا المكان .

فقال المنصور : منذ كم ؟ قال : منذ أربعة أعوام .

فأمر بفكِّ الحديد عنه ، والإحسان إليه ، وأنزله أحسن منزل .

ثم رُدَّ إليه بعد ذلك فقال له : يا شيخ ، قد رددنا عليك ضيعتكَ بخراجها ما عشت وعشنا ، وأما مدينتك همذان فقد ولَّيناكَ عليها ، وأمّا الوالي فقد حكَّمناكَ فيه وجعلنا أمره إليك .

فجزاه خيراً ، ودعا له بالبقاء وقال :

يا أمير المؤمنين ، أما الضيعة فقد قبلتها ، وأما الولاية فلا أصلحُ لها ، وأما واليكَ فقد عفوتُ عنه .

فأمر له المنصور بمالٍ جزيل ، وبِرّ واسع ، وحمله إلى بلده مكرماً ، بعد أن صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل والحق ، وسأل الشيخ مكاتبته في أخبار بلده ، وإعلامه بما يكون من ولاتها » .

٣٢٣ـ لا يا رب ولو قرضت بالمقاريض :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٤١٨) في ترجمة القاضي لهيعة بن عيسى الحضرمي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن أبي يحيى الوقار قال :

لمّا طُلبَ ابنُ وهَب للقضاء تغيَّب فسُمع وهو يقول :

يا ربِ يقدم عليك إخواني غداً عُلماءَ حُكماءَ فُقهاء ، وأقدمُ عليكَ قاضياً ، لا ياربِّ ولو قُرضتُ بالمقاريض » .

٣٢٤ـ إيحاشكَ فقد ، وإيناسكَ وعد :

جاء في كتاب « معجم الأدباء » (٦/ ١٣٧) ما نصه :

« أن صديقاً لأبي خليفة القاضي ، اجتاز عليه راكباً ، وهو في مسجده ، فسأله أن ينزل عنده ليحادثه .

فقال : أمضي وأعود .

فقال له أبو خليفة : **إيحاشُكَ فقد ، وإيناسُكَ وعد** » .

٣٢٥ـ والله لا تخفى عليه خافية :

جاء في كتاب « نفح الطيب » للمقري التلمساني رحمه الله تعالى (٤/ ٢٩٤) في ترجمة امرأة من أهل الأندلس يقال لها الشلبية ولم يعرف لها اسم ، ما نصه :

« أنها كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلَّم من وُلاةِ بلدها وصاحب خراجه :

قد آنَ أن تبكي العُيونُ الآبيهْ	ولقد أرى أنَّ الحجارةَ باكيَهْ
يا قاصدَ المصر الذي يُرْجى به	إن قدَّرَ الرحمنُ رَفْعَ كراهيهْ
ناد الأمير إذا وقفتَ ببابِهِ	يا داعياً إنَّ الرعيَّةَ فانيهْ
أرسلتَها هَملاً ولا مَرْعىً لها	وتركتَها نهبَ السِّباعِ العاديهْ
شِلْبٌ كلا شِلْبٍ ، وكانت جنَّة	فأعادها الطاغون ناراً حاميهْ
حافوا وما خافوا عقوبةَ ربِّهم	**واللهُ لا تخفى عليه خافيهْ**

فيقال : أنها أُلقيت يوم الجمعة على مصلَّى المنصور ، فلمّا قضى الصلاة وتصفَّحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها ، وأمر للمرأة بصلةٍ » .

٣٢٦ـ اليوم المضمار وغداً السباق :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للإمام الحافظ المزي رحمه الله تعالى (٤٥٩/٢٢) في ترجمة الإمام الرباني عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن ابن عَجْلان ، عن عون بن عبد الله أنه كان يقول :

اليومَ المِضمارُ ، وغداً السِّباقُ ، والسُّبْقَةُ الجنَّة ، والغايةُ النار ، فبالعفو تَنجون ، وبالرَّحمةِ تَدْخلونَ الجنَّةَ ، وبالأعمالِ تقتسِمونَ المنازِلَ » .

٣٢٧ـ الأدب سند الفقراء ، وزين الأغنياء :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٢٣١) ما نصه :

« عن أبي نصر الطُّوسي السَّرَّاج رحمه الله تعالى قال :

الأدبُ سندُ الفقراء ، وزينٌ للأغنياء ، والناس في الأدب متفاوتون ، وهم على ثلاث طبقات :

أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين .

فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأسمارِ الملوك ، وأشعارِ العرب ، ومعرفة الصنائع .

وأما أهل الدين فإنَّ أكثر آدابهم في رياضة النُّفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظِ الحدود ، وترك الشهوات ، واجتناب الشُّبهات ، وتجريد الطاعات والمسارعة إلى الخيرات .

وأما أهل الخصوصية فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعقود بعد العهود ، وحفظِ الوقت ، وقلَّةِ الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والطوارق ، واستواء السرِّ مع الإعلان ، وحُسن الأدب في مواقف الطلب ، وأوقات الحضور والقُربةِ والدُّنوِّ والوصلة ، ومقامات القرب » .

٣٢٨ـ أريدوا ما أراد الله عزَّ وجلَّ :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (ص ٢٤٥ـ٢٤٦) ما نصه :

« عن القاسم قال : قال الحسن - يعني البصري - رحمه الله :

لو لم يكن لنا ذنوب نخاف على أنفسنا منها إلاَّ حبنا للدنيا ، لخشينا على أنفسنا منها ، إن الله عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [الأنفال: ٦٧] أريدوا ما أراد الله عزَّ وجلَّ » .

٣٢٩ـ الثِّقة بالله عزَّ وجلَّ :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ٢٣٠) ما نصه :

« تنامى إلى سمع الحجاج أن رفقة ماتت من العطش بالشجى ـ مكان معروف على ثلاث مراحل من البصرة في طريق مكة ـ .

فقال الحجاج : إنِّي أظنُّهم قد دعوا الله حين بلغهم الجهد ، فاحفروا مكانهم الذي ماتوا فيه ، لعل الله يسقي الناس .

وأمر الحجاج عبيدة السلمي أن يحفر بالشجى بئراً فحفر فأنبط ـ أي خرج منه الماء ـ » .

٣٣٠ـ زكاة الحديث :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ١٤٣ـ١٤٤) برقم : (١٨٠) ما نصه :

« عن قاسم بن إسماعيل بن علي ، قال :

كنّا بباب بِشر بن الحارث ؛ فخرج إلينا ، فقلنا :

يا أبا نصر حدِّثنا .

فقال : أتؤدُّونَ زكاة الحديث ؟

قال : قلت له : يا أبا نصر ، وللحديث زكاة ؟

قال : نعم ، إذا سمعتم الحديث ، فما كان في ذلك من عمل أو صلاة أو تسبيح استعملتموه » .

٣٣١ـ كانوا يدعون بالقوَّامين :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٣٩١) ما نصه :

« قال عامر بن أسلم الباهلي عن أبيه :

كانت لنا جارية في الحيِّ يقال لها « هُنَيْدَة » فكانت تقوم إذا مضى من اللَّيل ثُلثه أو نصفه ، فتُوقظُ ولدها وزوجها وخدَمها ، فتقول لهم : قوموا فتوضَّؤوا ، وصلُّوا ، فستغتبطون بكلامي هذا .

فكان هذا دأبَها معهم حتى ماتت ، فرأى زوجها في منامه :

إن كنتَ تحبُّ أن تزوَّجها هناك ، فاخلُفْها في أهلها بمثلِ فعلها .

فلم يزل دأب الشيخ حتى مات ، فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له :

إن كنتَ تحبُّ أن تجاوِرَ أبويكَ في درجتهما من الجنَّة فاخلفهُما في أهلهما بمثل عملهما .

قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات .

فكانوا يُدْعَونَ : القوَّامين » .

٣٣٢ـ لا يُفلح قاضٍ لا يُقيم الحقَّ على القويِّ والضعيف :

جاء في كتاب « العقد الفريد » للملك السعيد (ص ١٧٤) ، وكتاب « قصص العرب » (٣/ ٧٨) ما نصه :

« كان عُبيد بن ظبيان قاضي الرقَّة في زمن الرشيد ، وكان الرشيد بها إذ

ذاك ، فجاء رجل إلى القاضي ، فاستعداه على عيسى بن جعفر ، فكتب إليه القاضي ابن ظبيان :

« أما بعد ، أبقى الله الأمير وحفظه وأتمَّ نعمته ، فقد أتاني رجل فذكر أنه فلان بن فلان ، وأن له على الأمير ـ أبقاه الله ـ خمسمئة ألف درهم ، فإن رأى الأمير أن يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلاً يناظر خصمه ، أو يرضيه فعل » .

ودفع الكتاب إلى رجل فأتى باب ابن جعفر ودفع الكتاب إلى خادمه فأوصله إليه ، فقال له : قل له : كُلْ هذا الكتاب .

فرجع الرجل إلى القاضي فأخبره ، فكتب إليه ثانية : أبقاك الله ، وأمتع بك ، حضر رجل يقال له فلان بن فلان ، وذكر أن له عليك حقًّا ، فسر معه إلى مجلس الحكم ، أو وكيلك ، إن شاء الله تعالى .

ووجَّه الكتاب مع عونين من أعوانه ، فحضرا باب ابن جعفر ، ودفعا الكتاب إليه ، فغضب ورمى به ، فانطلقا وأخبرا القاضي ، فكتب إليه :

حفظك الله وأمتع بك ، لابدَّ أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم ، فإن أبيتَ أنهيتُ أمركَ إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

ووجَّه الكتاب مع رجلين من أصحابه ، فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما إليه ، ودفعا إليه كتاب القاضي ، فلم يقرأه ورمى به ، فعادا فأبلغاه ذلك ، فختم قمطره ، وأغلق بابه وقعد في بيته .

بلغ الخبر أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فدعا ابن ظبيان وسأله عن إغلاق بابه فأكد الخبر ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، أعفني من هذه الولاية ، فوالله لا يُفلحُ قاضٍ لا يُقيم الحقَّ على القويِّ والضعيف .

فقال له الرشيد : مَنْ يمنعكَ من إقامة الحق ؟

قال : عيسى بن جعفر ، وأخبره الخبر .

فقال الرشيد لإبراهيم بن عثمان : سر إلى دار عيسى بن جعفر ، واختم

أبوابه كلها ، لا يخرج منها أحد ولا يدخل إليها أحد ، حتى يخرج إلى الرجل حقَّه ، أو يسير معه إلى مجلس الحكم .

فأرسل إبراهيم إلى دار ابن جعفر بخمسمائة فارس ، وأغلق الأبواب كلها ، فتوهَّم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأي فيه ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلِّم الأعوان من خلف الباب ، وارتفع الصراخ في منزله وضجَّ النساء .

ثم قال ابن جعفر لبعض الأعوان من غلمان إبراهيم : ادع لي أبا إسحاق لأُكلِّمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقف على الباب .

فقال له عيسى : ويحك! ما حالنا ؟

فأخبره خبر القاضي ابن ظبيان ، فأمر بإحضار خمسمئة ألف درهم من ساعته فأُحضرت ، وأمر أن تُدفع إلى الرجل ، فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره ، فقال :

إذا قبض الرجل ماله ، فافتح أبوابه ، وعرِّفه : إن ما رأيته من سيرتك مع القاضي فإياك ومعارضته » .

٣٣٣ـ ليس في الحكم شفاعة :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٤٢٧) في ترجمة القاضي إبراهيم بن إسحاق القاري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« حدَّثنا يحيى بن عثمان قال :

كان السعريُّ بن الحكم قد ولَّى إبراهيم بن إسحاق القاريّ حليفَ بني زُهرة القضاء بعد لَهيعة ، فأقام ستّة أشهر ، ثم اختصم إليه رجلان في شيء ، فأمر بالكتاب على أحد الرَّجُلين بإنفاذ الحكم .

فشفع الرجلُ بابن أبي عون إلى السَريِّ ، فأمره السريُّ أن يتوقف عن

الحكم ، فإن اصطلحا وإلاَّ حكم بينهما ، فجلس إبراهيم في منزله ، فركب إليه السريُّ وسأله الرجوع فقال :

لا أعود إلى ذلك المجلس أبداً ، **ليس في الحكم شفاعة** » .

٣٣٤ـ قم يا كلب لقمة بلقمة :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٧٠) ما نصه :

« حدَّثني أبو بكر البسطامي ، غلام ابن دريد ، قال :

كان لامرأة ، ابن ، غاب عنها غيبة منقطعة .

فجلست تأكل يوماً ، فحين قطعت لقمة ، وأهوت بها إلى فيها ، تصدق منها سائل وقف بالباب ، فامتنعت من أكل اللقمة ، وحملتها مع تمام الرغيف فتصدَّقت بها ، وبقيت جائعة .

وكانت شديدة الحذر على ابنها ، والدُّعاء بردِّه ، فما مضت إلاَّ ليالٍ يسيرة على هذا الحديث ، حتى قدمَ ابنها ، فأخبر بشدائد مرَّت به عظيمة .

وقال : أعظم شيء مرَّ على رأسي ، أنِّي كنتُ في وقت كذا ، أسلكُ أجمةً في البلد الفلاني ، إذ خرج أسد ، فقبض عليَّ من حمار كنت فوقه ، فغار الحمار [1]، فتشبكت مخالب السبع ، في مرقعة كانت عليَّ ، فما وصلت إليَّ ، وذهب عقلي ، وجرَّني فأدخلني الأجمة .

فما هو إلاَّ أن بركَ عليَّ ليفترسني ، حتى رأيتُ رجلاً عظيم الخلق ، أبيض الوجه والثياب ، وقد جاء حتى قبض على قفا الأسد ، وشاله [2] حتى خبط به الأرض ، وقال :

قم يا كلب ، لقمة بلقمة .

فقام السبع مهرولاً ، وثاب إليَّ عقلي ، وطلبت الرجل فلم أجده .

---

(١) غار الحمار: أسرع في عدوه .

(٢) شاله: رفعه .

وجلست ساعات ، إلى أن عادت إليَّ قوَّتي ، ثم نظرت إلى نفسي ، فلم أجد بها بأساً ، فمشيتُ ، فلحقتُ بالقافلة ، وأخبرتهم فعجبوا من خلاصي ، ولم أدرِ ما معنى لقمة بلقمة .

فنظرت المرأة إلى الوقت ، فإذا هو الوقت الذي أخرجت اللقمة من فيها ، فتصدَّقت بها ، فأخبرته الخبر » .

٣٣٥ـ يبكي حتى تبلَّ لحيته الدموع :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٤٥٨/٢٢) في ترجمة الإمام الرباني الورع عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن مَسْلَمة بن جعفر ، قال عون بن عبد الله :

وَيْحي كيف أغْفَلُ عن نفسي ومَلَكُ الموتِ ليس يَغفَلُ عنِّي ؟! وَيْحي كيف أزعُمُ أنَّ معي عَقْلي وأنا مُضَيِّعٌ من الآخرة حظِّي ، وَيْحي وَيْحي! بل وَيْلي وَيْلي! والويل حَلَّ بي إن متُّ مقيماً على مَعْصيةِ ربِّي .

قال : ثم يبكي حتى تُبلَّ لحيته بالدموع » .

٣٣٦ـ ما الذي قصَّر بنا وأسرع به ؟ :

جاء في كتاب « الرقّة والبكاء » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١٩١ـ١٩٢) برقم : (٢٦٨) ما نصه :

« عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال :

كنّا ذات يوم عند ابن ذر وهو يتكلّم ، فذكر رواجف القيامة وزلازلها وأهوالها ، وشدّة الأمر يومئذ هناك .

قال : واستبكى ابنُ ذر ، وبكى الناسُ يومئذٍ بكاءً شديداً .

قال : فوثبَ رجل من بني عجل يقال له « وراد » فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب ، حتى هدأ .

قال : ثم حُمل من بين القوم صريعاً .

قال : فجعل ابن ذر يومئذ يبكي ويقول :

ليس كلّنا قد أتاه الأمان من الله يا وراد غيرك! ليس كلُّنا قد أيقنَ بالنّجاة من النار غيرك .

وتالله أيها الناس ما أخو بني عجل بأولى بالخوف من الله منّا ومنكم ، وما منّا أحدٌ إلاَّ على مثل حاله بين خوف ورجاء ، وإنّا فيما نَدَبَنا الله إليه من طاعته لمشتركون جميعاً ، فما الذي قصَّر بنا وأسرع به ؟ وكَلَمَ قلبَهُ حتى أبكاه فأخرجه إلى ما رأيتم من مخافة الله ، وكلُّنا قد سمعَ الموعظة وفهم التذكرة ، فلم يكن من أحدٍ منّا سواه لذلك حرَّكه ، ولم تنبض من أحد منّا في ذلك خارجة .

والله إن هذا يا أخا بني عجل إلاَّ من صفاء قلبك ، وتراكم الذُّنوب على قلوبنا ، وما أرانا نؤتى إلاَّ من أنفسنا .

قال : ثم بكى ابن ذر ، وقرأ هذه الآية :

﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم : ١١] .

٣٣٧ـ القلوب أوعية السرائر :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٢٤٠) ما نصه :

« قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ :

القلوبُ أوعيةُ السَّرائرِ ، والشِّفاهُ أقفالُها ، والألسنُ مفاتيحها ، فليحفَظْ كلُّ امرىءٍ مفتاح سِرِّه » .

٣٣٨ـ لم تدع خشية الله مكاناً لخشية سواه :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ٢٣٠) ما نصه :

« قال الحجاج ليحيى بن يعمر : ما تقول في مدينة واسط ؟

فقال له : ما أقول فيها وقد بنيتها من غير مالك ، وسيسكنها غير أهلك .

فقال الحجاج : ما حملكَ على ما قلت ؟

قال : ما أخذ الله تعالى على العلماء من العهد ألاَّ يكتموا الناس حديثاً .

فقال له : ألم تخشى سيف الحجاج ؟

فقال : لقد ملأتني خشية الله جلَّ وعَلا ، فلم تدع مكاناً لخشية سواه .

فسكتَ الحجاج ، ولم يُجب » .

٣٣٩ـ إن يوم القيامة ذو حسرات :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٤ـ١٤٥) ما نصه :

« ثنا الهيثم بن عدي قال : ثنا أبو بكر الهذلي قال :

كنّا نجلس عند الحسن فأتاه آتٍ فقال :

يا أبا سعيد ، دخلنا آنفاً على عبد الله الأهتم فإذا هو يجود بنفسه فقلنا : يا أبا معمر ، كيف تجدك ؟

قال : أجدني والله وجعاً ، ولا أظنني إلاَّ لما ألمَّ بي ، ولكن ما تقولون في مئة ألف في هذا الصندوق لم تؤدّ منها زكاة ، ولم يوصل منها رحم ؟

فقلنا : يا أبا معمر ، فلم كنتَ تجمعُها ؟

قال : كنتُ والله أجمعُها لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة .

فقال الحسن : انظروا هذا البائس أنّى أتاه الشيطان ، فحذَّره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه عمّا استودعه الله إيّاه وعمره فيه ، خرج والله منه كئيباً حزيناً ذميماً مليماً ، إيهاً عنك أيها الوارث لا تخدع كما خُدع صويحبك أمامك ، أتاك هذا المال حلالاً ، فإيّاكَ وإيّاكَ أن يكون وبالاً عليك ، وإيّاكَ

والله ممّن كان له جموعاً منوعاً يدأب فيه الليل والنهار يقطع فيه المفاوز والقفار ، من باطل جمعه ، ومن حقٍّ منعه ، وجمعه فأوعاه ، وشدَّه فأوكاه ، لم يؤدِّ منه زكاة ، ولم يصل منه رحماً ، **إن يوم القيامة ذو** حسرات ، وإن أعظم الحسرات غداً أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره ، أتدرون كيف ذاكم ؟ رجل آتاه الله مالاً ، وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به ، فورثه هذا الوارث فهو يراه في ميزان غيره ، فيالها عثرة لا تقال ، وتوبة لا تنال » .

٣٤٠ـ كيف بكِ لو سألكِ منكر ونكير :

جاء في كتاب « التوابين » لابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى (ص ٢٦٣) ما نصه :

« قال أبو القاسم محرز الجلاب : حدَّثني سعدان ، قال :

أمر قوم امرأةً ذات جمالٍ بارع أن تتعرَّض للرَّبيع بن خيثم لعلَّها تفتنه ، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم ، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثمَّ تعرَّضت له حين خرج من مسجده ، فنظرَ إليها ، فراعه أمرُها ، فأقبلت عليه وهي ساخرة ، فقال لها الربيع :

كيف بكِ لو قد نزلت الحُمَّى بجسمكِ ، فغيَّرت ما أرى من لونكِ وبهجتكِ ؟

أم كيف بكِ لو نزلَ بكِ مَلَكُ الموتِ فقطعَ منكِ حبل الوَتين ؟

أم كيف بكِ لو سألكِ مُنكر ونكير ؟

فصرخت صرخةً ، فسقطت مغشيًّا عليها ، فوالله لقد أفاقت ، وبلغت من عبادة ربِّها ما أنَّها كانت يوم ماتت كأنَّها جذعٌ محترق » .

٣٤١ـ لا أجعلك في حلٍّ من حرام تطعمنيه :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٢٨٥) ما نصه :

« قالت رابعة العدويّة لأبيها :

يا أبَة ، **لستُ أجعلكَ في حِلٍّ من حرامٍ تُطعمنيه** .

فقال لها : أرأيتِ إن لم أجد إلاَّ حراماً ؟

قالت : نصبرُ في الدنيا على الجوع خيرٌ من أن نصبرَ في الآخرة على النار » .

٣٤٢ـ أنت خير من نزل به المؤملون :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٣/ ٢٤٢) ما نصه :

« وقفت أعرابيَّة على قبر أبيها فقالت :

يا أبتِ ، إنَّ في الله تبارك وتعالى من فقدكَ عِوَضاً ، وفي رسول الله ﷺ من مصيبتكَ أُسوةً .

ثم قالت :

اللَّهمَّ ، نزلَ بكَ عبدُكَ مُقفراً من الزَّاد ، مُخْشَوشِنَ المهاد ، غنيًّا عمَّا في أيدي العباد ، فقيراً إلى ما في يديكَ يا جوَّاد ، **وأنت ، أي ربِّ خيرُ من نزلَ به المؤمِّلون** ، واستغنى بفضله المُقِلُّون ، وولَجَ في سعةِ رحمته المُذنبون ، اللَّهمَّ فليَكُنْ قِرى عبدكَ منكَ رحمتكَ ، ومهادُهُ جنَّتكَ .

ثم انصرفت » .

٣٤٣ـ هذه اجتماعة لله لا أُكدِّرها بشيء من الدنيا :

جاء في كتاب « العز بن عبد السلام » للأستاذ رضوان الندوي (الموقف : ٣٢) ما نصه :

« كان الملك الأشرف الأيوبي يلي دمشق ، وأخوه الملك الكامل يلي مصر ، وقامت فتنة بدمشق على مسائل كلامية انتصر فيها العز بن عبد السلام للشريعة الغرّاء نصراً أغضب الملك الأشرف ، إذ كان ميله للطرف الآخر ، فلمّا مرض الأشرف أرسل للشيخ يتحلَّل منه ويعتذر إليه ، ويسأله أن يعوده ويوصيه بما ينفعه ، فقبل الشيخ واتَّجه لزيارته ، وكانت قد وقعت بين الأشرف وأخيه الكامل وحشة ، فأمر وهو في مرضه أن ينصب دهليزه صوب مصر ، فلما رأى الشيخ الدهليز على هذه الحال ، قال للملك الأشرف :

إنَّ الملك الكامل أخوكَ الكبير ، ورحمك ، وأنت مشهور بالفتوحات ، والتتار قد خاضوا بلاد المسلمين ، أفتتركُ ضرب دهليزك إلى أعداء الله وأعداء الإسلام ، وتضربه صوب أخيك ؟ غيِّر الحال ولا تقطع رحمك ، وانوِ مع الله نصر دينه وإعزاز كلمته ، فإن منَّ الله بالعافية عليك رجونا منه تعالى إدالتك على الكفار ، وكانت هذه الحسنة العظيمة في ميزانك ، وإن قضى الله بانتقالك إليه كان السلطان في خفارة نيتك .

فقال الأشرف : جزاك الله خيراً عن إرشادك ونصيحتك ، وأمر والشيخ حاضر بنقل دهليزه صوب التتار .

ثم قال للشيخ : زدني من نصيحتك ووصاياك .

فزاده الشيخ حتى أمر بإبطال المكس والإقلاع عن المحرَّمات والمظالم ، وأطلق له ألف دينار مصرية فردَّها عليه وقال :

هذه اجتماعة لله لا أُكدِّرها بشيء من الدنيا » .

٣٤٤ـ الملتقى قريب والله القاضي :

جاء في كتاب « تاريخ الإسلام » للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى نسخة ليدن نمرة (٨٦٣) (ص ٨٩) ما نصه :

« قال الحسن بن ذولاق في ترجمة بكّار :

لمَّا اعتلَّ ابن طولون راسل بكّاراً وقال :

أنا أردك إلى منزلك فأجبني .

فقال للرسول : شيخٌ فانٍ وعليلٌ مُدنِف ، والمُلتقى قريب والحاكم الله تعالى .

فأبلغ الرسول ذاك لابن طولون ، فأطرق ثم أقبل يقول :

شيخٌ فانٍ وعليلٌ مُدنِف والملتقى قريب والله القاضي .

وأمر بنقله من السجن إلى دار اكتُريت له كان فيها يحدِّث .

قال الطحاوي : أقام بها بعد ابن طولون أربعين يوماً ومات » .

٣٤٥ـ الأعمال تفنى ، والصيانة تبقى :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٢٤٨) ما نصه :

« وحدثني ـ يعني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بكر بن داسة البصري ـ قال :

حدثني أبو الحسين ، قال :

لمّا نشأت ، كتب أبو خازم القاضي إلى أبي يقول :

إنه قد بلغني أنه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ، ومن حاله وصفته ـ قال : وقرَّظني ـ فأنفِذْهُ إليَّ لأُقلِّده القضاء .

قال : فقال لي أبي : ما تقول ؟

فقلت : أنفذني ، فإنَّك هو ذا ترى ما نحن فيه من الإضاقة ، فلعلِّي أتَّسعُ بالأرزاق .

فقال أبي : لا تفعل ، فإنَّ الأعمالَ تفنى ، والصيانة تبقى » .

٣٤٦ـ هم الرجل على قدر انتشار ضيعته :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٢/١٨٨ـ١٨٩) في ترجمة الإمام الفقيه المحدِّث عمرو بن ميمون بن مِهْران الجَزَري أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن الرقّي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال أبو الحسين الميموني : حدَّثت أبا عبد الله بن حنبل ، قلت : حدَّثني أبي قال :

لمّا رأيتُ قدر عَمّي عند أبي جعفر ، قلت : يا عم ، لو سألت أمير المؤمنين أبا جعفر أن يُقطعكَ قطعةً ، قال : فسكت عنِّي ، فلمّا ألححتُ عليه قال : يا بُنيِّ إنكَ تسألني أن أسأله شيئاً قد ابتدأني هو به غير مرّة ، ولقد قال لي يوماً : يا أبا عبد الله إني أُريد أن أُقطعكَ قطيعة وأجعلها لك طيِّبة ، وأن أحبابي من أهلي وولدي يسألوني ذلك فأبى عليهم ، فما يمنعكَ أن تقبلها ؟

قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، إنِّي رأيتُ هَمَّ الرَّجُلِ على قدرِ انتشارِ ضيعته ، وأنه يكفيني همِّي ما أحاطت به داري ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني فعل .

قال : قد فعلت .

فقال لي ابن حنبل : أعده عليَّ ، فأعدتُه عليه حتى حفظه » .

٣٤٧ـ زيادٌ لا يُرَوِّعُ جارَهُ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٢٦٤ـ٢٦٥) ما نصه :

« عن الوليد بن هشام قال : وَفَدَ زيادُ الأعْجَمُ على حبيب بن المهلّب

وهو بخراسان ، فبينا هو وحبيبٌ ذاتَ عشيَّةٍ يشربان ، إذ سمع زيادٌ حمامةً تُغنِّي على شجرةٍ كانت في دار حبيب بن المهلّب ، فقال :

تغنِّـي أنـتِ فـي ذِمَمـي وجـاري ... بـأن لا يـذعـروكِ ولـن تُضـاري
إذا غَنَّيْتِنِـي وطَـرِبْـتُ يـومـاً ... ذَكَـرْتُ أحِبَّتـي وذَكَـرْتُ داري
فـإمَّـا يَقْتُلُـوكِ طَلَبْـتُ ثـأراً ... بقَتْلِهِـم لأنَّـكِ فـي جِـوارِي

فأخذَ حبيبٌ سهماً فرماها فأنفَذَها ، فقال زياد : يا حبيب ، قتَلْتَ جاري ، بيني وبينَكَ المُهَلَّبُ .

فاختصما إلى المُهلَّب ، فقال المُهلَّب : زيادٌ لا يُرَوَّعُ جارُهُ ، وقد لَزِمَتْكَ الدِّيَةُ ألفُ دينار!

فقال حبيبٌ : إنَّما كنتُ ألعبُ . فقال المُهلَّب :

أبو أُمامةَ لا يُرَوَّعُ جارُهُ ، ادفعها إليه!! فدفعَ ألفَ دينار فقال زيادٌ :

فللَّـهِ عَينـاً مَـنْ رأى كقضيَّـةٍ ... قَضى لي بها شَيخُ العِراقِ المُهَلَّبُ
قَضـى ألـفَ دينـارٍ لجارٍ أجَرْتُـهُ ... من الطَّيرِ حَضَّانٍ على البَيضَ يَنْعَبُ
رَمـاهُ حبيـبُ بـنُ المُهلَّـبِ رَمْيَـةً ... فأنفَذَهُ بالسَّهْمِ والشَّمسُ تَغرُبُ
فـألـزمَـهُ عَقـلَ القتيـلِ ابـنُ حُـرَّةٍ ... فقـال حبيـبٌ : إنَّمـا كنـتُ ألعـبُ
فقـال : زيـادٌ لا يُـرَوَّعُ جـارُهُ ... بَلَى! جارُهُ جاري وَمِلْ جارِ أقرَبُ

٣٤٨ـ ما رأيتُ صاحب شرطة مثله :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (١/ ٦٩٧) ما نصه :

« قال الحجاج : دُلُوني على رجلٍ أُوَلِّيه الشرطة .

فقيل له : أيُّ الرِّجالِ تُريد ؟

قال : أُريدُهُ دائمَ العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجفَ الخيانة ، لا يحنقُ في الحقِّ على حُرٍّ أو حُرَّةٍ ، يهونُ عليه سؤالُ الأشراف في الشَّفاعة .

فقيل له : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي ، فأرسلَ إليه .

فقال : لا أقبلُها إلاَّ أن تكفيني عُمَّالكَ وولدَكَ وحاشيتَكَ .

فقال الحجاج : يا غلام نادِ ، مَنْ طلبَ إليه منهم حاجةً فقد برأتْ الذِّمَّةُ منه .

قال الشعبي : فوالله ما رأيتُ قطُّ صاحب شرطةٍ مثله ، كان لا يحبسُ إلاَّ في دين .

وكان إذا أُتِيَ برجلٍ نَقَبَ على قومٍ ، وضعَ منقبه (أي الآلة التي نقب بها) في بطنه حتى تخرج من ظهره ، وكان إذا أُتِيَ برجلٍ نَبَّاشٍ حفر له قبراً فدفنه فيه حيًا ، وإذا أُتِيَ برجلٍ قاتل بحديدة أو شَهَرَ سلاحاً قطع يده ، فربَّما أقامَ أربعينَ يوماً لا يُؤتى إليه بأحد ، فضمَّ إليه الحجاج شرطة البصرة مع شرطة الكوفة » .

٣٤٩ـ أربعُ خِلالٍ تحرمُ على النار :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٤) ما نصه :

« عن العوام بن حوشب قال : سمعتُ الحسن يقول :

من كانت له أربعُ خِلالٍ حَرَّمه الله على النار وأعاذَهُ من الشيطان : من يملكُ نفسه عند الرَّغبة والرَّهبة وعند الشَّهوة وعند الغضب » .

٣٥٠ـ الله وليُّ عذري بفضله :

جاء في كتاب « الأذكياء » لابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٢٥٣ـ٢٥٤) ما نصه :

« قال الأصمعيُّ :

ماتَ ابنٌ لأعرابيَّةٍ ، فمازالت تبكي حتى خدَّدَ الدمعُ خَدَّها ، ثمَّ استرجعت فقالت :

اللَّهمَّ ، إنَّكَ قد علمتَ فرطَ حُبِّ الوالدين لولدهما ، فلذلك لم تأمرهما ببرِّه ، وعرفتَ قدرَ عقوقِ الولد لوالديه ، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما .

اللَّهمَّ ، إنَّ ولدي كان من البارِّ بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما ، فاجزِهِ منِّي بذلك صلاةً ورحمةً ولَقِّهِ سُروراً ونَضْرَةً .

فقال لها أعرابيٌّ : نِعْمَ ما دعوتِ له لولا أنَّكِ شبته من الجزع بما لا يُجدي .

فقالت : إذا وقعت الضرورات لم يجرِ عليها حكم المكتسبات ، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفُه ولا في القدرةِ منعُه ، واللهُ وليُّ عُذري بفضله ، فقد قال عزَّ وجلَّ :

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

٣٥١ـ حلاوة الثواب أزالت مرارة الوجع :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ١٩١) ما نصه :

« قال أبو عبد الله الحُصريُّ : سمعتُ فتحاً الموصليَّ يقول :

مرَّت بي امرأةٌ مُتعبِّدةٌ يُقال لها : « موافقة » فعثرَتْ ، فسقطَ ظُفْرُ إبهامها ، فضحكت ، فقيل لها :

يا موافقة ، يسقطُ ظُفْرُ إبهامِكِ وتضحكين ؟

فقالت : إن حلاوةَ ثوابه أزالت عن قلبي مرارةَ وَجَعه » .

٣٥٢ـ كفى بالمرءِ جهلاً أن يُعجبَ بعلمه :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٤٥ـ٤٦) ما نصه :

« قال سفيان الثوري : دخلتُ على بنت أُمِّ حسَّان الأسديَّة ، فإذا الجوع قد أثَّرَ في وجهها ، فقلتُ لها :

يا بنتَ أمِّ حسَّان ، إنَّكِ لن تُؤتي أكثر ممّا أُوتي موسى والخَضِر عليهما السلام ، إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها .

فقالت : يا سفيان ، قل الحمد لله ..

فقلتُ : الحمد لله .

فقالت : اعترفتَ له بالشُّكر .

قلتُ : نعم .

قال : وجبَ عليكَ من معرفة الشُّكر شُكرٌ ، وبمعرفةِ الشُّكرَين شُكرٌ لا ينقضي أبداً .

قال سفيان : فقَصُرَ والله عِلمي ، وفَهَّ لساني ، فولَّيْتُ أُريدُ الخروجَ فقالت :

يا سفيان ، كفى بالمرءِ جَهْلاً أن يُعجبَ بعلمه ، وكفى بالمرءِ عِلماً أن يخشى الله ، اعلم أنَّه لن تُنقَّى القلوب من الرَّدى حتى تكونَ الهمومُ كلُّها في اللهِ هَمًّا واحداً .

قال سفيان : فقَصُرَتْ إليَّ واللهِ نفسي » .

٣٥٣ـ قتلت سبعةً من الرُّوم واستشهدت :

جاء في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في ترجمة أُم حكيم بنت الحارث زوج عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنها وعن زوجها (٤/ ٤٤٣ـ٤٤٤) ما نصه :

« أنَّها خرجت مع زوجها إلى غزو الروم ، فاستشهد ، فتزوَّجها خالد بن سعيد بن العاص .

فلمّا كانت وقعة مرج الصُّفَّر أراد خالد أن يدخل بها ، فقالت : لو تأخَّرتَ حتى يهزِمَ اللهُ هذه الجموع .

فقال : إنَّ نفسي تُحدِّثني أنِّي أُقتَل .

قالت : فدوتُكَ .

فأعرسَ بها عند القنطرة ، فعُرفت بها بعد ذلك ، فقيل لها : قنطرةُ أُمِّ حكيم .

ثم أصبح فأولمَ عليها ، فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الرُّوم ، ووقعَ القتال ، فاستُشهِدَ خالد ، وشدَّت أمُّ حكيم عليها ثيابَها وتبدَّتْ ، وإنَّ عليها أثرَ الخَلوق ، فاقتتلوا على النَّهر ، فقُتِلَتْ أُمُّ حكيم يومئذٍ ، فقتلت بعمود الفُسطاط الذي أعرس بها خالد فيه سبعةً من الرُّوم » .

٣٥٤ـ نبني كما كانت أوائلنا تبني :

جاء في كتاب « قصص العرب » (٣/ ٦٧) ما نصه :

« كان المنصور مُعجباً بمُحادثة محمد بن جعفر ، ولعظم قدره عنده يفزع الناس إليه في الشَّفاعات ، فثَقُلَ ذلك على المنصور ، فحجبه مدَّةً ، ثم لم يصبر عنه ، فأمر الرَّبيع حاجبه أن يُكلِّمه في ذلك ، فكلَّمَه ، وقال :

أعفِ أمير المؤمنين ، ولا تُثقل عليه في الشَّفاعات ، فقبِلَ ذلك منه .

فلمّا توجَّه إليه اعترضه قوم من قريش معهم رقاع ، فسألوه إيصالها إلى المنصور ، فقصَّ عليهم القصة ، فأبوا إلاَّ يأخذها فقال :

اقذفوها في كُمِّي ، ثم دخل عليه وهو مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين ، فقال له :

أما ترى إلى حُسنها يا أبا عبد الله ؟

فقال له : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فيما آتاك ، وهنَّأكَ بإتمام نعمه عليك فيما أعطاك ، فما ثبت العرب في دولة الإسلام ، ولا العجمُ في سالف الأيام أحصن ولا أحسن من مدينتك ، ولكن كرَّهَتْها في عيني خصلة .

قال : وما هي ؟ قال : ليس لي ضيعة فيها .

فتبسَّم وقال : قد حسَّنتُها في عينك بثلاثِ ضياعٍ قد اقطعتكها .

فقال : لله درُّكَ يا أمير المؤمنين ، إنَّك شريف الموارد ، كريم المصادر ، جعل الله تعالى باقي عمركَ أكثرَ من ماضيه .

ثم أقام معه يومه ذلك .

فلمّا نهضَ ليقوم بدت الرِّقاع في كُمِّه ، فجعل يردُّها ويقول :

ارجعن خائباتٍ خاسرات ، فضحك المنصور وقال : بحقِّي عليك إلاَّ أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرِّقاع ، فأعلمه ، فقال :

ما أتيتُ يا ابن معلِّم الخير إلاَّ كريماً ، وتمثَّل بقول عبد الله بن معاوية :

لسنـا وإن أحسـابنـا كـرمـت ... يـومـاً علـى الأحسـاب نتَّكـلُ

نبنـي كمـا كـانـت أوائلنـا تبنـي ... ونفعـل مثـل مـا فعلـوا

ثم تصفَّح الرِّقاع ، وقضى حوائج أصحابها » .

٣٥٥ـ لأقتُلنَّكَ قتلةً يتحدَّثُ الناس بها :

جاء في كتاب « أخبار القضاة » (ص ٥٩ـ٦٠) ما نصه :

« عن الأصمعي عن أبيه :

أن عقبة بن مسلم الهنائي عامل أبي جعفر على معونة البصرة بلغ من عُتوِّه واجترائه على الله ، وإقدامه على دماء المسلمين وأموالهم أمراً منكراً .

أخذ مرة رجلاً قدم بجوهرة ، فاعتدى عليه وأخذ منه الجوهرة ، وحبسه في السجن .

فجاءت زوجة الرجل إلى سوار بن عبد الله وهو قاضي أهل البصرة فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي ، إن الأمير عقبة بن مسلم أخذ زوجي ، قدم بجوهرة فاغتصبه إياها ، وحبسه في السجن .

فبعث إليه سوار يخبره بما رفعت المرأة عليه عنده ويقول له : فإن كان حقًّا فأطلق الرجل ورُدَّ جوهرته .

فلما أخبر الرسول عقبة برسالة سوار زجره ، وشتمه ، وشتم سواراً ،

فجاء الرسول إلى سوار فأخبره بذلك ، فوجَّه إليه سوار بأمنائه ليسمعوا منه قوله ، وما يردُّ به من جوابٍ ، فأتوه فردَّ عليهم بشتم قبيح فعادوا إلى سوار فأخبروه .

فأرسل إليه سوار : والله لئن لم تطلق الرجل وتردَّ عليه جوهرته ، لآتينَّكَ في ثياب بيض ماشياً ، ولأدمِّرنَّ عليك بغير سلاح ، ولأقتُلَنَّكَ قتلةً يتحدَّث الناس بها .

فلمّا سمعَ مَنْ بحضرته رسالة سوار قالوا له : أيُها الأمير إنَّه يفعل بكَ ما أرسل إليك ، وهو سوار قاضي أمير المؤمنين ، فافعل ما أمركَ به ، فوجَّه إليه بالرَّجل وبالجوهرة ، ووجَّه إليه رجالاً يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة ، فصاح بهم سوار : تشهدون على ماذا ؟ يُطلق الرجل وتُردُّ عليه جوهرته ، ففعلوا » .

٣٥٦ـ لولا الوعيد أمام العقوبة ما أدَّبتُه إلاَّ بالسيف :

جاء في « أخبار القضاة » (ص ٦٩) ما نصه :

« كان محمد بن سليمان أميراً للمهدي على البصرة ، وكان حماد بن موسى الغالبُ عليه لموضعه منه ، فحبس سوار القاضي رجلاً من أتباع حمّاد في قضيته فأخرج حمّاد الرجل من الحبس .

ركب سوار حتى دخل على الأمير محمد بن سليمان ، وهو قاعد للناس والناس على مراتبهم فجلس حيث يراه محمد ، ثم دعا بقائد من قواد الأمير وقال له : أسامع أنت مطيع ؟ قال : نعم . قال : اجلس ههنا وأقعده عن يمينه ، ثم دعا آخر وفعل ذلك بجماعة من القواد ، ثم قال : انطلقوا إلى حمّاد بن موسى فضعوه في الحبس ، فنظروا إلى محمد فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم ، فانطلقوا فوضعوا حماد بن موسى في الحبس فانصرف سوار .

فلما كان العشيُّ قال له الأمير : يا أبا عبد الله قد بلغني ما صنع هذا الجاهل وأُحبُّ أن تهب لي ذنبه .

قال : قد فعلتُ إن ردَّ الرجل إلى الحبس ، قال : يردُّه بالصاد والقماء ، ووجَّه إلى الرجل فحبسه ، وأخرج حماداً وكتب بذلك إلى المهدي .

فكتب المهدي إلى سوار يحمده على ما صنع ، وكتب إلى محمد بن سليمان بكلام غليظ يقول فيه :

والله لولا أن الوعيد إمام العقوبة ، ما أدَّبته إلاَّ بالسيف ليكون عظةً لغيره ونكالاً ، يفتات على قاضي المسلمين في رأيه ، ويركب هواه لموضعه منك! ويعرض بالأحكام استهانة بأمر الله وإقداماً على أمير المؤمنين ، وبالله لئن عاد إلى مثلها ليجدني أغضب لدين الله ، وأنتقم لأولياء الله من أعدائه والسلام » .

٣٥٧ـ وددتُ أن مكان كل شعرة فيه قاض على بلد من البلدان :

جاء في كتاب « أخبار القضاة » (ص ١٧٤) ما نصه :

« لمّا أصبح الحسن بن عبيد الله العنبري قاضياً على البصرة أراد أحمد بن أبي دؤاد ـ قاضي القضاة ـ أن يختبره ، فكتب إليه :

إن عندك صكوكاً في ديوانكَ هي لقوم من أهل بغداد ، فاحملها مع نفر من قبلكَ لتُسلِّمها إلى قاضي بغداد ليكون أهون على أهلها في التثبُّت .

فكتب الحسن العنبري له : إنَّ هذه الصُّكوك لقوم ادَّعوها قبلي ، وقد شرعوا فيها ، وأقاموا البيِّنة عندي ، ولم أكن لأُخرجها عن يدي فيبطلَ حقٌّ من حقوقهم ، فإن شئت أن تبعثَ أنتَ إلى الديوان فتأخذها كان ذلك إليك أمّا أنا فلن أتقلَّد ذاك أبداً .

دخل ابن أبي دؤاد على المعتصم ، وأخذ منه كتاباً حازماً يأمرُ الحسن بحملِ الصُّكوك إلى قاضي بغداد ، فجمع الحسن فقهاء البصرة وفيهم هلال الرأي فشاورهم فقال له هلال : كأنَّهم عزلوكَ عن هذه الصُّكوك نفسها ، فوجِّهها إليهم .

قال محمد بن عمر : فلمّا خرج الفقهاء قال لي : ما تقول ؟ فقلتُ :

عوَّذكَ الله وأهلكَ من ردِّ كتب الخلفاء بما لا يستقيم خيراً .

قال : فنادى غُلامه ، وقال له : اكتب يا غلام ، ورَدَ عليَّ كتاب أمير المؤمنين حزماً ، ولم يكن القضاة يُكتبُ إليهم حزماً ، وهذه الكتب كنت أوطن أمير المؤمنين فيها العثرة ، وهي لقوم قبلي ، ولم أكن لأتقلّد إثم إبطال حقوقهم ، والديوان ديوان أمير المؤمنين ، فإن أحبَّ أن يُرسل فيأخذها فذلك إليه .

فلمّا ورَدَ الكتابُ على أحمد بن أبي دؤاد قال للمعتصم :

كيف رأيت فراستي فيه ؟ والله لوددتُ أن مكان كل شعرة فيه قاضٍ على بلد من البلدان » .

٣٥٨ـ خدعك إنّه لا يقبلُ شهادتك :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٩٠) طبعة لجنة التأليف ، ما نصه :

« احتال قوم على وكيع بن أبي سود صاحب خراسان ليشهد لهم ، وهو رجل أحمق شرير ، وكان إياس لا يقبل شهادته .

فلما أقبلَ وكيع على إياس احتفى به ، وقال له : مرحباً وأهلاً بأبي مطرف ، وأجلسه معه ، ثم قال له :

ما جاءَ بك ؟ قال : لأشهد لفلان .

فقال له إياس : ما لك وللشهادة ؟ إنّما يشهدُ الموالي والتجّار والسوقة .

قال : صدقت ، وانصرف من عنده ، فقيل له : خدعكَ إنّه لا يقبل شهادتك .

قال : لو علمتُ ذلك لصلوته بالقضيب » .

٣٥٩ـ قد وهبتها لله عزَّ وجلَّ :

جاء في كتاب « الأغاني » طبعة بولاق ، لأبي الفرج الأصبهاني (١٣/ ٧٦) ما نصه :

« لطَمَ عبد الرحمن بن الحكم (أخو مروان بن الحكم) مولى لأهل المدينة حناطاً ، وكان مروان بن الحكم يومئذ والياً على المدينة وله فيها الأمر والنهي ، فشكا الحنّاط عبد الرحمن بن الحكم إلى أخيه مروان .

فما كان من الأمير إلا أن أجلس أخاه ـ وهو النبيل الشاعر الوجيه ـ بين يديه جانب العبد الحنّاط ، وقال للحنّاط :

الطمه كما لطمك .

فقال الحنّاط : والله ما أردتُ هذا ، وإنّما أردتُ أن أُعلمَه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه ، وقد وهبتها لك .

قال مروان : لستُ أقبلها منك ، فخذ بحقِّك .

قال الحنّاط : والله لا ألطمُه ولكنني أهبها لك .

قال مروان : إن كنت ترى ذلك يسخطني عليه فوالله لا أسخط ، فخذ بحقِّكَ .

قال الحنّاط : قد وهبتها لك ، ولستُ والله ألطمه .

فقال مروان : لستُ والله قابلها ، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك ، أو لله عزَّ وجلَّ .

فقال : وهبتُها لله عزَّ وجلَّ » .

٣٦٠ـ علمت إذ أجلستني هذا المجلس أنك ستحكم عليَّ :

جاء في كتاب « أخبار قضاة مصر » لمحمد بن يوسف الكندي رحمه الله تعالى (ص ٣٧٥ـ٣٧٦) في ترجمة غوث بن سليمان القاضي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن ياسين بن عبد الأحد قال : سمعتُ أبي يقول :

سمعتُ غوث بن سليمان يقول : بعث إليَّ أمير المؤمنين أبو جعفر فحملت إليه ، فقال لي :

يا غوث ، إن صاحبتكم الحِمْيَرِيَّة خاصمتني إليك في شروطها .

قلت : أيرضى أمير المؤمنين أن يحكّمني عليه .

قال : نعم .

فقلت : إن الأحكام لها شروط أفيحتملها أمير المؤمنين ؟ قال : نعم .

قال : يأمرها أمير المؤمنين أن تُوكِّلَ وكيلاً وتُشهِدَ على وكالته خادمين حُرَّين يعدلهما أمير المؤمنين على نفسه ، ففعل ، فوكَّلت خادماً وبعثت معه كتاب صداقها ، وشهد الخادمان على وكالتهما .

فقلت : قد تمَّت الوكالة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُساوي الخصم في مجلسه .

قال : فانحطَّ عن فَرشه وجلس مع الخصم ، ودفع إليَّ الوكيل كتاب الصداق فقرأته عليه فقلت : يُقرُّ أمير المؤمنين بما فيه ؟

قال : نعم . قلت : أرى في الكتاب شروطاً مؤكَّدة بها تمَّ النكاح بينكما ، أرأيتَ يا أمير المؤمنين لو خطبت إليهم ولم تشترط لهم هذا الشرط أكانوا يُزوِّجونكَ ؟ قال : لا .

قلت : فبهذا الشَّرطِ تمَّ النِّكاح ، وأنتَ أحقُّ مَنْ وفى لها بشرطها .

قال : علمتُ إذ أجلستني هذا المجلس أنكَ ستحكمُ عليَّ .

قال : قلت له : أعظم جائزتي وأطلق سبيلي . قال : بل جائزتُكَ على من قضيتَ له . ثم أمر له بخلعة وجائزة .

ثم أمر أبو جعفر باحتباس غوث ليحكم بين أهل الكوفة فقال له غوث :

يا أمير المؤمنين ليس البلد بلدي ، ولا معرفة لي بأهلها ، فإذا أناناديتُ من له حاجة بخصومة فلم يأت أحد ، إيذن لي يا أمير المؤمنين في الرُّجوعِ

إلى بلدي . قال : نعم ، فجلس غوث يحكم ثم نادى بعد ذلك فانقطعت عنه الخصوم ، وسار إلى مصر » .

٣٦١ـ موت العالم ثلمة في الإسلام :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ١٩٩) برقم : (٣٤٧) ما نصه :

« عن محمد بن سلام الجمحي قال :

قال علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ :

من حقِّ العالم عليك أن تُسلِّم على القوم عامَّة ، وتخصُّه دونَهم بالتحيَّة وأن تجلسَ أمامه ، ولا تُشيرنَّ عنده بيدك ، ولا تغمِزَنَّ بعينيك ، ولا تقولنَّ : قال فلان ـ خلافاً لقوله ـ ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تسأل في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تُلحَّ عليه إذا كسل ، ولا تُعرِض من طول صحبته ، فإنَّما هو بمنزلة النَّخلة تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ منها شيء ، وإنَّ المؤمن العالم لأعظمُ أجراً من الصَّائم القائم الغازي في سبيل الله ، وإذا ماتَ العالمُ انْثَلَمَتْ في الإسلام ثُلمَةٌ لا يسدُّها شيءٌ إلى يوم القيامة » .

٣٦٢ـ صار الآن مالك مثل مالها :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٢٥) ما نصه :

« عن أبي العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجّم ، قال : حدَّثني جدِّي قال :

وقفت امرأةٌ لحامد بن العباس على الطريق ، فشكت إليه الفقر ، وطلبت منه البرَّ ، ورفعت إليه قصّةً كانت معها ، فلمّا جلس ، وقع لها بمئتي دينار .

فأنكر الجهبذُ دفع هذا القدر إلى مثلها ، فراجعه ، فقال حامد :

والله ما كان في نفسي أن أهبَ لها إلاَّ مائتي درهم ، ولكن الله أجرى لها على يدي مائتي دينار ، فلا أرجعُ في ذلك ، أعطها ، فدفع إليها .

فلمّا كان بعد أيام رفع إليه رجلٌ قصَّةً يذكر فيها : إن امرأتي وإيَّاي كنّا فقيرين ، فرفعت امرأتي قصَّةً إلى الوزير ، فوهب لها مائتي دينار ، فاستطالت بها عليَّ ، وتريد الآن إعناتي لأُطلِّقها ، فإن رأى الوزير أن يوقع لي إلى مَنْ يكفُّها عنِّي ، فعل .

قال : فضحك حامد ، ووقَّع له بمائتي دينار ، وقال :

أعطوه إيَّاها ، وقولوا له : قد صار الآن مالك مثل مالها ، فهي لا تُطالبك بالطلاق .

فقبضها الرجل وانصرف غنيًّا » .

٣٦٣ـ لم يخرج لأصحاب السلطان ورفض المنصب :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (١٠/ ٨١) وكتاب « المنتظم » لابن الجوزي رحمهما الله تعالى (٥/ ٥٣) في ترجمة عبد الله بن أيوب المخرمي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندي رحمه الله تعالى قال :

كنتُ بسرّ من رأى ، وكان عبد الله بن أيوب المخرمي يقرب إليَّ ، فخرج توقيع الخليفة بتقليده القضاء ، فانحدرتُ في الحال من سرّ من رأى إلى بغداد ، حتى دققتُ على عبد الله بن أيوب بابه ، فخرج إليَّ .

فقلت : لك البُشرى .

فقال : بشَّركَ الله بخير ، ما هي ؟

قال : قلت : خرج توقيع السلطان بتقليدك القضاء لأحد البلدين ، إمّا سرُّ من رأى ، أو بغداد .

قال : فأطبقَ الباب ، وقال : بشَّركَ الله بالنار .

وجاء أصحاب السلطان إليه ، فلم يظهر لهم ، فانصرفوا » .

٣٦٤ـ خذ أول ملاّح ينحدر الساعة فاقبض عليه :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٥/ ١٣٧) ما نصه :

« عن أبي محمد الحسن بن الصلحي ، قال : حدَّث أحد خدم المعتضد المختصين بخدمته ، قال :

كنّا حول سرير المعتضد ذات يوم نصف نهار ، وقد نام بعد أن أكل ، وكان رسمنا أن نكون عند سريره أوقات منامه من ليل أو نهار ، فانتبه منزعجاً ، وقال : يا خدم ، يا خدم .

فأسرعنا الجواب .

فقال : ويلكم ، أعينوني ، والحقوا الشَّطَّ ، فأوَّل مَنْ ترونه منحدراً في سفينة فارغة ، فاقبضوا عليه ، وجيئوني به ، ووكِّلوا بسفينته .

فأسرعنا ، فوجدنا ملاّحاً في سميرية ، فأصعدناه ، فحين رآه الملاّح ، كاد يتلف .

فصاح عليه صيحة واحدة عظيمة ، كادت روحه تخرج معها ، قال : أصدقني يا ملعون ، عن قصتك مع المرأة التي قتلتها وسلبتها اليوم ، وإلاّ ضربتُ عُنقكَ .

قال : فتلعثم ، وقال : نعم ، كنتُ اليوم سحراً في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها ، عليها ثياب فاخرة ، وحليٌّ كثيرة ، فطمعتُ فيها ، واحتلتُ عليها ، حتى سددتُ فاها ، وغرقتها ، وأخذتُ جميع ما كان عليها ، ولم أجترىء على حمل سلبها إلى بيتي ، لئلا يفشو الخبر ، فعملتُ على الهرب ، وانحدرتُ الساعة لأمضي إلى واسط ، فعوَّقني هؤلاء الخدم ، وحملوني .

فقال : وأين الحليُّ والسَّلب ؟

فقال : في صدر السفينة تحت البواري .

فقال المعتضد للخدم : جيئوني به . فمضوا ، وأحضروه .

وقال : خذوا الملاّح فغرّقوه ، ففعلوا .

ثم أمر أن يُنادى في بغداد كلِّها ، على امرأة خرجت إلى المشرعة الفلانية سحراً ، وعليها ثياب وحليّ ، يحضرُ مَنْ يعرفها ، ويُعطي صفة ما كان عليها ، ويأخذه فقد تلفت المرأة .

فحضر في اليوم الثاني ، أو الثالث أهل المرأة ، فأعطوه صفة ما كان عليها ، فسلَّمه إليهم .

فقلنا : يا مولانا ، أوحي إليك ؟

فقال : رأيتُ في منامي كأن شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب ، وهو ينادي : يا أحمد خذ أول ملاّح ينحدر الساعة ، فاقبض عليه ، وقرّره خبر المرأة التي قتلها اليوم ، وسلبَها ، وأقم عليه الحد . فكان ما شهدتم » .

٣٦٥ـ استحسنوا جوابه وعلموا مكانته من العلم :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٥/ ٣٦٥) و « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٦/ ٩٤) في ترجمة الإمام الفقيه الأديب المناظر الشاعر أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري أحد أذكياء العالم رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن أبي الحسن الداودي قال :

لمّا جلس محمد بن داود بن علي الأصبهاني في حلقة أبيه بعد وفاته يُفتي ، استصغروه عن ذلك ، فدسُّوا إليه رجلاً ، وقالوا :

سله عن حدِّ السُّكْرِ ما هو ؟

فأتاه الرجل ، فسأله عن حدِّ السُّكْرِ ما هو ؟ ومتى يكون الإنسان سكراناً ؟

فقال محمد : إذا عزبت عن الهموم ، وباح بسرِّه المكتوم .

فاستحسن ذلك منه ، وعلم موضعه من العلم » .

٣٦٦ـ قاضٍ في سنِّ العشرين :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٦/ ١٦٧) ما نصه :

« عن طلحة بن محمد بن جعفر قال :

استقضى المقتدر بالله ، في يوم النِّصف من رمضان سنة عشر وثلاثمائة أبا الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وكان قبل هذا يخلف أباه في القضاء بالجانب الشرقي ، والشرقية ، وسائر ما كان إلى قاضي القضاة أبي عمر ، وذلك أنه استخلف وله عشرون سنة .

ثم استُقضي بعد استخلاف أبيه له ، على أعمال كثيرة .

ثم قُلِّد مدينة السلام في حياة أبيه » .

٣٦٧ـ أراد قتل الضيف ، فقتل ابنه :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله (١/ ٤١٢) ما نصه :

« عن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي مناولة ، قال : أخبرني أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق ، مناولة من كتابه كتاب « مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم » وفيه ذكر كثير من الحوادث ، فقال فيه :

وفي رجب سنة خمس عشرة وثلاثمئة ، أن رجلاً أمسى في بعض محال الجانب الغربي من مدينة السلام ، ومعه دراهم لها قدر ، فخاف على نفسه من الطائف ، ومن بلية تقع عليه ، فصار إلى رجل من أهل الموضع ، أراد أن يبيت عنده ، فأدخله .

فلمّا تيقّن أن معه مالاً ، حدَّثته نفسه بقتله وأخذ ماله .

وكان له ابن شاب ، فنوَّمه مع الرجل في بيت واحد ، ولم يُعلم أحداً بما

في نفسه ، وخرج ، وقد عرف مكانهما ، وطفَّى المصباح .

فقدر الأمر ، أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع آخر ، وانتقل الضيف إلى موضع الابن ، وجاء أبوه ، ليطلب الضيف ، فصادف ابنه ، وهو لا يشك أنه الضيف فخنقه .

وانتبه الضيف باضطرابه ، وعرف ما أُريد به ، فخرج هارباً من الدار ، وصاح في الطريق .

ووقف الجيران على خبره ، فأغاثوه ، وأخذوا الرجل ، فقُرِّر فأقرَّ بقتل ابنه ، فحُبِسَ ، وأُخذ المال من داره ، فرُدَّ على الضيف ، وسلم » .

٣٦٨ـ إن الملال من سيء الأخلاق :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٢/ ٨١) ما نصه :

« عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه ؛ سمعت عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول :

لا أمَلُّ ثَوْبي ما وسعَني ، ولا أمَلُّ زوجتي ما أحسنت عشرتي ، ولا أمَلُّ دابَّتي ما حملتني ، إن المَلال من سيء الأخلاق » .

٣٦٩ـ هكذا والله يكون الخير :

جاء في كتاب « الرِّقّة والبكاء » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ٧٠ـ٧١) برقم : (٦٣) وكتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٥ـ١٤٦) ما نصه :

« . . . حدَّثنا عبد الرحمن بن حفص القرشي قال :

بعث بعض الأمراء إلى عمر بن المنكدر بمالٍ ، فجاء به الرسول ، فوضعه بين يديه ، فجعل عمر بنظر إليه ويبكي .

ثم جاء أبو بكر ، فلما رأى عمر يبكي ، جلس يبكي لبكائه .

ثم جاء محمد ، فجلس يبكي لبكائهما ، فاشتدَّ بكاؤهم جميعاً .

فبكى الرسول أيضاً لبكائهم ، ثم أرسل إلى صاحبه ، فأخبره بذلك .

فأرسل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يستعلم علم ذلك البكاء ، فجاء ربيعة ، فذكر ذلك لمحمد ، فقال محمد : سله ، فهو أعلم ببكائه مني .

فاستأذن عليه ربيعة فقال : يا أخي! ما الذي أبكاكَ من صلة الأمير لك ؟

قال : إنِّي والله خشيتُ أن تغلبَ الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب ، فذاك الذي أبكاني .

قال : فأمر بالمال ، فتُصدِّقَ به على فقراء أهل المدينة .

فجاء ربيعة ، فأخبر الأمير بذلك ، فبكى وقال :

هكذا والله يكون الخير » .

٣٧٠ـ إنِّي رجل عربي ، ولست أستمري الزيت :

جاء في كتاب « الورع » للإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١١٤) برقم : (١٩٠) بإسناد صحيح ، ما نصه :

« عن عاصم بن عمر عن عمر قال :

إنَّه لا أجده يحلُّ لي ، أن آكل من مالكم هذا ، إلاَّ ما كنت آكلُ من صُلب مالي الخبز والزيت ، والخبز والسمن .

قال : فكان يُؤتى بالجفنة قد صنعت بالزَّيت ، وممّا يليه منها سمن ، فيعتذر إلى القوم ويقول :

إنِّي رجل عربي ، ولست أستمري الزَّيت » .

٣٧١ـ ما أدري أيُّكما أكرم :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٩٠ـ٩١) ما نصه :

« قال أبو الحسن المدائني :

لَقِيَ ابنُ أبي بَكرةَ سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم ـ وقد ولاّه معاوية خراسان ، وابن أبي بَكرةَ يريد المدينة ـ فرأى خباءً مضروباً رثًا ، فقال : لمن هذا ؟ قالوا : لسعيد بن عثمان بن عفان ، يريد خراسان .

فمشى إليه ، وقال : أنت ابن أمير المؤمنين عثمان والي خراسان في هذه الهيئة ؟! اجعل طريقك بالبصرة ، وأكتُبُ إلى وكيلي يُجهِّزكَ ، فكتَبَ إلى وكيله سُليم الناصح : أن أعطِهِ عشرين ألفاً ، وعشرين عبداً ، وعشرين برذوناً ، وعشرين بعيراً ، وعشرين طيلساناً .

فظنَّ سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله أنه يهزأ به ، فدخل البصرة ، فنزَلَ على مولى لعثمان بن عفان رحمه الله ، وقال :

إن ابن أبي بَكرةَ قد كتبَ إلى وكيله بشيء ، أفتراهُ يُنفِّذُ ما كتبَ به ؟

فأرسل إلى وكيله ، فأعطاه الكتاب ، فقال : أجِّلْني جُمعةً ، فأجَّلَهُ ، فأتاه بما في الكتاب .

ثم قال له سُليم : ألَكَ حاجةٌ ؟ فقال سعيد : ولو كانت لي حاجةٌ كنتَ تقضيها ؟

قال : أمَّا في مِثلِ ما أعطاكَ مولاي ما كنتُ لأفعلَ .

فقال سعيد : ما أدري أيُّكما أكرَمُ ؟! » .

٣٧٢ـ ألقاهُ بعملي ، وتلقاه بدمي :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى (٢/ ١٨٢) ما نصه :

« عندما كان الحجاج يستعرض جنده ، سمع غلاماً يقرأ :

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء : ١٢٩ـ١٣١] .

فنظرَ إليه ، وقال : أرى لساناً فصيحاً ، تقدَّم يا غُلام .

فتقدَّمَ ، فسأله الحجاج : أتحفظُ القرآن يا غلام ؟

قال : ما خِفتُ ضياعه حتى أحفظه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

قال الحجاج : أجمعتَ القرآن ؟

قال : ما كان مُفرَّقاً حتى أجمعه ، فقد جمعه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

قال الحجاج : ويحك! ماذا أقول ؟

قال : قل هل معك من القرآن شيء ، فبهذا جاء الحديث .

فقال الحجاج : أتلُ شيئاً من القرآن .

فقرأ الغلام : إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجاً .

قال الحجاج : ويحك يا غلام ، يدخلون في دين الله أفواجاً .

قال الغلام : هذا في عهد رسول الله ﷺ ، أما في إمارة الحجاج يخرجون من دين الله أفواجاً .

قال : يا غلام ، أنت مقتول ، فبماذا تلقى الله ؟

قال الغلام : ألقاه بعملي ، وتلقاه بدمي .

فعفا عنه » .

٣٧٣ـ بيت الوحدة وبيت الغربة :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٢٣) ما نصه :

« خطب الحجاج يوماً فذكر القبر ، فمازال يقول :

إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى ، وأبكى من حوله » .

٣٧٤ـ دينُكَ دينُكَ فإنَّه هو لحمُكَ ودَمُكَ :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٥ـ١٤٦) في ترجمة الإمام الربَّاني الزاهد سيد التابعين الحسن البصري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . ثنا يزيد بن هارون قال : قال أبو عبيدة : قال الحسن :

رحم الله امرءاً عرف ثم صبر ، ثم أبصر فبصر ، فإن أقواماً عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم ، فلا هُم أدركوا ما طلبوا ، ولا هُم رجعوا إلى ما تركوا ، اتَّقوا هذه الأهواء المُضلَّة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة وميعادها النار لهم محنة ، من أصابها أضلَّته ، ومن أصابته قتلته .

يا ابن آدم : دينُكَ دينُكَ فإنَّه هو لحمُكَ ودمُكَ ، إن يسلم لك دينكَ يسلم لك لحمكَ ودمكَ ، وإن تكن الأُخرى فنعوذ بالله ، فإنها نار لا تُطفأ ، وجرحٌ لا يبرأ ، وعذابٌ لا ينفذُ أبداً ، ونفسٌ لا تموت .

يا ابن آدم : إنَّك موقوفٌ بين يدي ربِّكَ ، ومُرتهنٌ بعملك ، فخُذْ ممّا في يديكَ لما بين يديك ، عند الموت يأتيك الخبر ، إنَّكَ مسؤولٌ ولا تجدُ جواباً ، إنَّ العبدَ لايزالُ بخير ما كان له واعظٌ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همِّه » .

٣٧٥ـ نحن وجيراننا في الفقر سواء :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢/ ٢٠٦) ما نصه :

« عن عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال :

أردتُ الحجَّ ، فدفع إليَّ خالي مسلم عشرة آلاف درهم ، وقال لي : إذا قدمتَ المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة ، فأعطهم إياها ، فلمَّا دخلتُ سألتُ عن أفقر أهل بيت بالمدينة ، فدُلِلْتُ على أهل بيتٍ ، فطرقتُ الباب ، فأجابتني امرأةٌ : من أنت ؟

فقلتُ : أنا رجلٌ من أهل بغداد ، أُودعتُ عشرة آلاف ، وأُمِرتُ أن أُسلِّمها إلى أفقر أهل بيتٍ بالمدينة ، وقد وُصفتُم لي فخذوها .

فقالت : يا عبد الله ، إن صاحبكَ اشترطَ أفقر أهل بيتٍ ، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منّا .

فتركتُهم وأتيتُ أولئك ، فطرقتُ الباب ، فأجابتني امرأة ، فقلتُ لها مثل الذي قلتُ لتلك المرأة .

فقالت : يا عبد الله ، نحن وجيراننا في الفقر سواء ، فاقسمها بيننا وبينهم » .

٣٧٦ـ كان لها قبول زائد ووقع في النفوس :

جاء في كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي رحمه الله تعالى (٦/ ٣٤) ما نصه :

« أمُّ زينب فاطمة بنتُ عبّاس البغدادية الشيخة العالمة الفقيهة الزَّاهدة القانتة سيدة نساء زمانها الواعظة .

انتفعَ بها خلق من النساء ، وتابوا ، وكانت وافرة العقل والعلم قانعة باليسير ، حريصة على النفع والتذكير ، ذاتُ إخلاص وخشية وأمرٍ بالمعروف ، انصلح بها نساء دمشق ثُمَّ نساء مصر ، وكان لها قبول زائد ووقعٌ في النُّفوس » .

٣٧٧ـ لعن الله شرَّ الثلاثة :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٣٢) ما نصه :

« اطَّلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة ، فأنكر منها شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك! إنِّي لأظنُّكَ تخونني ؟

قال : أفتظنُّ ذلك ولا تستيقنه ؟

قال : وتفعله ؟

قال : نعم ، والله إنّي لأخونك ، وإنَّكَ لتخونُ أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخونُ الله ، فلعنَ الله شرَّ الثلاثة » .

٣٧٨ـ الفقيه الحقيقي :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي رحمه الله : (ص/ ١٨٦) ما نصه :

قال الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ : الفقيه كلُّ الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله ؛ ولم يرخص لهم في معاصي الله ؛ ولم يؤمنهم من عذاب الله ؛ ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ؛ لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم معه ؛ ولا قراءة لا تدبُّر فيها » .

٣٧٩ـ اطلبوا إماماً غيري :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٢/ ٢٣٤) ما نصه :

« قال الحسن : حدَّثني أبي قال :

أمَرَ الحجاج أن لا يؤمَّ بالكوفة إلاَّ عربي ، وكان يحيى بن وثاب يؤمُّ قومه بني أسد ، وهو مولى لهم ، فقالوا : اعتزل .

فقال : ليس عن مثلي نهى ، أنا لاحقٌ بالعرب ، فأبوا .

فأتى الحجاج فقرأ ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : يحيى بن وثاب .

قال : ما له ؟ قالوا : أمرتَ أن لا يؤمَّ إلاَّ عربي فنحَّاه قومُه .

فقال : ليس عن مثل هذا نهيت ، يصلي بهم .

قال : فصلَّى بهم الفجر ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، ثم قال :

اطلبوا إماماً غيري ، إنّما أردتُ ألاّ تستذلُّوني ، فأما إذا صار الأمر إليَّ ، فأنا أؤمُّكم ؟ لا ولا كرامة » .

٣٨٠ـ لا تسخر بي وأنا عجوزٌ كبيرة :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٣/ ٢٦) في ترجمة إمام الأئمة الفقهاء الإمام الربَّاني أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« جاءت امرأةٌ إلى أبي حنيفة تطلبُ منه ثوبَ خَزٍّ ، فأخرجه لها ، فقالت : إنِّي امرأة ضعيفة ، وإنها أمانة ، فبعني هذا الثوب بما يُقوَّمُ عليك .

فقال : خُذيه بأربعة دراهم .

فقالت : لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة .

فقال : إنِّي اشتريتُ ثوبين ، فبعتُ أحدهما برأس المال إلاّ أربعة دراهم ، فبقي هذا الثوب عليَّ بأربعة دراهم » .

٣٨١ـ ما كذبتُ مذ شددتُ عليَّ إزاري :

جاء في كتاب « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن عبد الحكم رحمهم الله جميعاً (ص ٢٣) ما نصه :

« خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان ـ يعني ابن عبد الملك ـ يريد الصائفة ، فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء ، فاقتتلوا ، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان ، فشكوا ذلك إلى سليمان ، فأرسل إلى عمر ، فقال له :

ضرب غلمانك غلماني . قال : ما علمتُ ، فقال له سليمان : كذبت!

فقال : ما كذبتُ مذ شددتُ عليَّ إزاري ، وعلمتُ أن الكذب يضرُّ أهله ، وأن في الأرض عن مجلسك سعة .

فتجهَّز يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان ، فشقَّ عليه ، فدخلت بينهما عمَّةٌ لهما ، فقال لها سليمان : قولي له يدخل عليَّ ولا يعاتبني .

فدخل عليه عمر ، فاعتذر إليه سليمان وقال له :

يا أبا حفص ، ما اغتممتُ بأمرٍ ، ولا أكربني همٌّ إلاَّ خطرت على بالي فيه ، فأقام » .

٣٨٢ـ خمسة يجب على الناس مداراتهم :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٢٢٢) برقم : (٤٢١) ما نصه :

« عن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ قال : سمعتُ أبا يوسف القاضي رحمه الله تعالى يقول :

خمسة يجب على الناس مُداراتهم :

الملكُ المُتسلِّط ، والقاضي المُتأوِّل ، والمريض ، والمرأة ، والعالِمُ ليُقتَبَسَ من علمه .

فاستحسنتُ ذلك منه » .

٣٨٣ـ ما يضعه أن الزمان عضّه :

جاء في كتاب « معجم الأدباء » (٥/ ٣٣٨) وكتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » لأبي علي المحسن بن علي التنوخي (١٥٦/١) ما نصه :

« عن أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله قال :

جرى في مجلس أبي رضي الله عنه بحضرته يوماً ذكر رجلٍ كان صغيراً فارتفع .

فقال بعض الحاضرين : مَنْ ذاك الوضيع ؟ أمس كنّا نراه بمرقعة يشحذ .

فقال أبي : وما يضعه أن الزمان عضَّه ثم ساعده ، كل كبيرٍ إنّما كان صغيراً أوّلاً ، والفقرُ ليس بعارٍ ، إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه ، وأهل العلم خاصَّةً لا يعيبهم ذلك .

وأنا أعتقدُ أن من كان صغيراً فارتفع ، أو فقيراً فاستغنى ، أفضل ممَّ ولد في الغنى ، أو في الجلالة ، لأن مَنْ ولدَ في ذلك ، إنّما من عمل غيره ، وصل إلى ذلك ، فهو أفضل من أن يصل إليه ميراثاً ، أو بجدِّ غيره ، وكدِّ سِواه » .

٣٨٤ـ انظر لنفسك أيها الأمير :

جاء في كتاب « الذهب المسبوك » لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي رحمه الله : (ص ٢٠٨) ما نصه :

« ذكر بعض الهاشميين قال :

كنت جالساً عند المنصور بأرمينيا في مجلس المظالم ، وهو أميرها لأخيه أبي العباس ، فدخل عليه رجل فقال : إن لي مظلمة وأنا أسألك أن تسمع مني مثلاً أضربه قبل أن أذكر مظلمتي .

قال : قل لي ، قال : إني وجدت الله تبارك وتعالى خلق الخلق على طبقات ، فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أُمه ولا يطلب غيرها ، فإن فزع من شيء لجأ إليها ، ثم يرتفع من ذلك فيعلم أن أباه أعز من أمه فإن أفزعه شيء لجأ إليه ، ثم يبلغ وستحكم فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه ، فإن ظلمه ظالم انتصر به ، فإذا ظلمه السلطان التجأ إلى ربه واستنصره ، وإني كنت في هذه الطبقات ، وقد ظلمني ابن نُهيك في ضيعة لي في ولايته

فإن نصرتني عليه وأخذت لي مظلمتي ، وإلا استنصرت الله ، فانظر لنفسك أيها الأمير .

فتضاءل أبو جعفر فقال :

أعد علي الكلام ، فأعاده .

فقال : أما أول شيء فقد عزلت ابن نهيك عن عمله ، وأمر برد ضيعته » .

٣٨٥ـ أثر المال الحلال :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ١١٧) برقم : (١٩٨) بإسناد حسن ، ما نصه :

« . . . حدَّثني عبد الله بن سلم الباهلي قال : سمعتُ يونس بن عبيد يقول :

لو أعلم موضع درهم من حلال من تجارة لاشتريت به دقيقاً ، ثم عجنته ، ثم خبزته ، ثم جفَّفتُه ، ثم دققتُه أداوي به المرضى » .

٣٨٦ـ وهل ترك القرآن لأحد فصاحة ؟ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٢٩) ما نصه :

« روي عن الأصمعي ـ رضي الله عنه ـ قال :

اجتزتُ ببعض أحياء العرب ، فرأيت صبيَّةً معها قربة فيها ماء ، وقد انحلَّ وكاءُ فمها .

فقالت : يا عمِّ ، أدرك فاها ، غلبَني فُوها ، لا طاقة لي بفيها .

فأعنتُها ، وقلت : يا جاريةُ ، ما أفصَحَكِ!

فقالت : يا عمّ ، وهل تركَ القرآن لأحدٍ فصاحةً ؟ وفيه آيةٌ فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان .

قلت : وما هي ؟

قالت : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] .

قال : فرجعتُ بفائدة ، وكأنَّ تلك الآية ما مرَّتْ بمسامعي » .

٣٨٧ـ والله إن نجا لينجونَّ بها :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٤٤) ما نصه :

« كان الحجاج يدعو حين حضرته الوفاة فيقول :

اللهمَّ اغفر لي فإنَّ الناس يزعمون أنَّكَ لن تفعل ، وأنشأ يقول :

يا ربُّ قد حلَفَ الأعداءُ واجتهدوا ... بأنَّني رجلٌ من ساكني النارِ

أيحلِفونَ على عمياءَ وَيحَهُم ... ما علمُهم بعظيمِ العفو غفَّارِ

إن الموالي إذا شابت عبيدُهم ... في رقِّهم أعتقوهم عتقَ أبرارِ

وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً ... قد شبتُ في الرِّقِّ فأعتقني من النارِ

قال الحسن البصري : **والله إن نجا لينجونَّ بها** » .

٣٨٨ـ لو أن بالقلوب حياة :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٣ـ١٤٤) ما نصه :

« . . . ثنا مالك بن مغول ، عن حميد قال :

بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد ، وهو يمصُّ ماءً ويمجُّه ، تنفَّس تنفُّساً شديداً ، ثم بكى حتى ارتعدت منكباه ثم قال :

لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحاً ، لأبكيتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ، إن ليلة تمخَّض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه من عورة بادية ، ولا عين باكية من يوم القيامة » .

٣٨٩ـ جعلتُ نهمتي في البذلِ والإعطاء :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٢٩٨) ما نصه :

« عن علي بن أبي جُملة قال :

سمعتُ أمَّ البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول :

أفٌّ للبُخل ، لو كان قميصاً ما لبستُه ، ولو كان طريقاً ما سلكتُه .

وقال سعيد بن مسلمة بن هشام الأمويُّ :

كانت أمُّ البنين ابنةُ عبد العزيز بن مروان تبعثُ إلى نسائها ، فيجتمعن ، ويتحدَّثن عندها ، وهي قائمة تُصلِّي ، ثم تنصرفُ إليهنَّ فتقول :

أُحبُّ حديثكُنَّ ، فإذا قمتُ في صلاتي لهوتُ عنكُنَّ ونسيتُكُنَّ .

قال : وكانت تكسوهنَّ الثياب الحسنة ، وتُعطيهنَّ الدنانير وتقول :

الكسوةُ لكُنَّ ، والدنانير اقسمنها بين فقرائكُنَّ .

وكانت تقول :

جُعل لكلِّ قومٍ نهمةٌ في شيءٍ وجعلتُ نهمتي في البذلِ والإعطاءِ

والله للصلةُ والمواساة أحبُّ إليَّ من الطعام الطيِّب على الجوع ، ومن الشراب البارد على الظمأ .

وقالت : وهل يُنالُ الخيرُ إلاَّ باصطناعه ؟

وقالت : ما حسدتُ أحداً قطُّ على شيءٍ إلاَّ أن يكون ذا معروفٍ ، فإنِّي كنتُ أُحبُّ أن أُشركه في ذلك » .

٣٩٠ـ اللهمَّ لا يدركني عطاءُ عمر بعد عامي هذا :

جاء في كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى (٤/ ٢٥٤) في ترجمة أمِّ المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ، ما نصه :

« قالت بُرَّة بنت رافع :

لمّا خرج العطاء ، أرسل عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فلمَّا أُدخِلَ عليها قالت :

غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا منِّي .

قالوا : هذا كلُّه لكِ .

قالت : سبحان الله !

واستترت منه بثوبٍ ، وقالت : ضعوه ، واطرحوا عليه ثوباً .

ثم قالت لي : أدخلي يدكِ فاقبضي منه قبضةً ، فاذهبي بها إلى بني فلان ، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ، حتى بقيت منه بقيَّة تحت الثَّوب .

فقالت لها برَّة :

غفرَ الله لك يا أُمَّ المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حقٌّ .

قالت : فلكم ما تحت الثَّوب .

قالت : فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهماً ، ثمَّ رفعت يدها إلى السماء فقالت :

اللَّهمَّ ، لا يُدركني عطاءُ عمر بعد عامي هذا ، فماتت » .

٣٩١ـ يا ليتني كنتُ ورقةً من ورق هذه الشجرة :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام أحمد (ص ١٦٤) بإسناد صحيح ، ما نصه :

« قالت عائشة رضي الله عنها :

وددتُ أنِّي كنتُ نسياً منسيًا .

وقالت : وددتُ أنِّي شجرة أُعضد ، ووددتُ أنِّي لم أُخلق .

وقالت عندما مرَّت بشجرة :

يا ليتني كنتُ ورقةً من ورق هذه الشجرة » .

٣٩٢ـ وددتُ أنِّي كنتُ نسياً منسيًا :

جاء في « صحيح البخاري » في تفسير سورة النور ، باب ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ (٨/ ٤٨٣) وابن سعد في « الطبقات » (٧/ ٧٤ـ٧٥) ، وأحمد في « المسند » (١/ ٧٦ ، ٣٤٩) ما نصه :

« عن ابن أبي مُليكة قال :

استأذن ابن عباس قُبيل موتها على عائشة رضي الله عنها ، وهي مغلوبة ، قالت : أخشى أن يُثني عليَّ .

فقيل : ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين .

قالت : ائذنوا له . فقال : كيف تجدينكِ ؟

قالت : بخير إن اتقيت .

قال : فأنتِ بخير إن شاء الله تعالى ، زوجة رسول الله ﷺ ، ولم ينكح بكراً غيركِ ، ونزل عُذركِ من السماء .

ودخل ابن الزبير فقالت : دخل ابن عباس فأثنى عليَّ ، وددتُ أنِّي كنتُ نسياً منسيًا » .

٣٩٣ـ يفعل ذلك ليله أجمع :

جاء في كتاب « تذكرة الحفّاظ » للإمام الذهبي رحمه الله تعالى (١/ ١٢٠) و « مناقب عمر بن عبد العزيز » للإمام ابن الجوزي رحمه الله (ص ٢٢٢) ما نصه :

« عن جرير بن حازم ، عن مغيرة بن حكيم قال :

قالت لي فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز :

يا مغيرة ، إنَّه يكون في الناس مَنْ هو أكثر صلاة وصياماً من عمر بن عبد العزيز ، وما رأيتُ أشدَّ فَرَقاً من ربِّه منه ، كان إذا صلَّى العشاء قعد في مسجده ، ثم يرفعُ يديه ، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه فلا يزال يدعو رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عينه ، **يفعلُ ذلك ليله أجمع** » .

٣٩٤ـ اكتم ما رأيت :

جاء في كتاب « مناقب أبي حنيفة » للموفق المكي (١/ ٢٣٨) ما نصه :

« عن ضرار بن صرد قال : سمعتُ يزيد بن الكميت وكان من خيار الناس يقول :

كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة من العشاء الآخرة : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة : ١] وأبو حنيفة خلفه ، فلمّا قضينا الصلاة وخرج الناس ، نظرتُ إلى أبي حنيفة وهو جالس يفكّر ويتنفس ، فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه .

فلمّا خرجتُ تركتُ القنديل لم يكن فيه إلاَّ زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائمٌ قد أخذ بلحية نفسه ويقول :

يا من يجزي بمثقال ذرَّةٍ خيراً بخير ، ويا من يجزي بمثقال ذرَّةٍ شرًّا بشرّ ، أجِزْ النعمان عبدك من النار ، وما يُقرِّبُ منها من سوء ، وأدخله في سعة رحمتك .

قال : فإذا القنديل يُزهر وهو قائم ، فلمّا دخلتُ قال لي : أتريدُ أن تأخذ القنديل ؟

قال : قلت : أذنت لصلاة الغداة .

قال : اكتم ما رأيت ، وركع ركعتي الفجر ، وجلس حتى أقمت الصلاة ، وصلّى معنا الغداة على وضوء أول الليل » .

٣٩٥ـ إنَّ أُمّي تستفتيك في كذا :

جاء في كتاب « الخيرات الحسان » للموفق المكي رحمه الله تعالى (ص ٥٩) ما نصه :

« كانت والدة أبي حنيفة لا تقبل له فتوى ، وإذا أرادت أن تستفتي عن أمر طلبت منه أن يذهب إلى مجلس عمر بن ذر ويستفتيه ويعود لها بالجواب .

ويقول أبو حنيفة : ربما ذهبتُ بها إلى مجلسه ، وربما أمرتني أن أذهب إليه ، وأسأله عن مسألة فآتيه وأذكرها له ، وأقول له :

إن أمي أمرتني أن أسألك عنها ، فيقول : وأنت تسألني عن هذا ؟

فأقول : هي أمرتني . فيقول : قل لي كيف هو حتى أخبرك ، فأخبره بالجواب ، ثم يخبرني به ، فآتيها وأخبرها عنه بما قال .

واستفتت مرة عن شيء فأفتاها أبو حنيفة فلم تقبله ، وقالت :

لا أقبل إلاَّ قول زرعة القاص ـ أي الواعظ ـ فحملتها إليه ، وقلت له :

إن أمي تستفتيك في كذا ، فقال : أنت أعلم وأفقه فافتها .

قال : أفتيتها بكذا ، فقال زرعة : القول ما قال أبو حنيفة . فرضيت وانصرفت » .

٣٩٦ـ احذر سخط الله في ثلاث :

جاء في « سير أعلام النبلاء » للإمام الذهبي رحمه الله تعالى (٧/ ٢٤٤) في ترجمة الإمام الزاهد الفقيه الرباني أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« روى الخريبي عن سفيان قال :

احذر سخط الله في ثلاث ، احذر أن تُقصِّر فيما أمَرَكَ ، واحذر أن يراكَ وأنتَ لا ترضى بما قَسَمَ لك ، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخطَ على ربِّكَ » .

٣٩٧ـ وهل الخير إلاَّ في الشباب ؟

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٣١٠) برقم : (٦٧٢) ما نصه :

« عن عطاء بن السائب ، عن رجل قال :

كنّا جلوساً مع حذيفة ، قال : فمرَّ رجل ، فقال له حذيفة : يا فلان ما يمنعكَ أن تُجالسنا ؟

قال : والله ما يمنعني من ذاك إلاَّ هؤلاء الشباب الذين هم حولك .

قال : فغضب حذيفة وقال :

أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٠] ، و ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الكهف : ١٣] **وهل الخير إلاَّ في الشباب** » .

٣٩٨ـ لن تلقى مثل عمر :

جاء في كتاب « الورع » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص١٢٦ـ١٢٧) برقم : (٢٣٠) ما نصه :

« عن محمد بن سيرين قال :

كتب عمر إلى أبي موسى : إذا جاءكَ كتابي هذا ، فأعطِ الناس أعطياتهم واحمل إليَّ ما بقي مع زياد ، ففعل .

فلمّا كان عثمان ، كتب إلى أبي موسى بمثل ذلك ، ففعل ، فجاء زياد بما معه فوضعه بين يدي عثمان ، فجاء ابن لعثمان فأخذ شيئاً ، فمضى بها ، فبكى زياد ، فقال له عثمان : ما يُبكيك ؟ قال : أتيتُ أمير المؤمنين عمراً بمثل ما أتيتك به ، فجاء ابن له فأخذ درهماً ، فأمر به فانتُزِعَ منه حتى بكى الغلام ، وإن ابنك جاء فأخذ هذه ، فلم أر أحداً قال له شيئاً .

قال عثمان : إن عمراً كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله ، وإني أعطي أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله ، ولن تلقى مثل عمر ، ولن تلقى مثل عمر ، ولن تلقى مثل عمر » .

٣٩٩ـ حسن الأدب بين يدي الله :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمهما الله تعالى (١/ ٢٨٥) ما نصه :

« . . . . سمعت الجُنَيد يقول : سمعت سريًّا السقطي يقول :

الناس في الأعمال يتقاربون ، وإنّما قارب من قارب ، **بحسن الأدب بين يدي الله تعالى** » .

٤٠٠ـ نِعْمَ الرُّوحُ روحٌ تَضَمَّنَهُ بَدَنُكَ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٣٦ـ٣٣٧) و « جمهرة خطب العرب » (٢/ ٢٥ـ٢٦) ما نصه :

« وقفَ محمد بن الحَنَفيَّة رضي الله عنه على قبر أخيه الحسن بن علي رضوان الله عليهما حين دُفِنَ ، فاغْرَوْرَقَتْ عيناهُ ، وقال :

رحِمَكَ الله أبا محمد ، فلَئِنْ عزَّتْ حياتُكَ لقد هَدَّتْ وفاتُكَ ، **ولَنِعْمَ الرُّوحُ روحٌ تَضَمَّنَهُ بَدَنُكَ** ، ولَنِعْمَ البدنُ بدنٌ تضمَّنه كفنُكَ ، وكيف لا يكون

هذا وأنتَ سليل الهدى ، وحليفُ أهل التَّقوى ، وخامسُ أصحاب الكساء ، غَذَّتكَ أكُفُّ الحقِّ ، ورُبِّيتَ في حِجْر الإسلام ، ورضعتَ ثَديَ الإيمان ، فطِبْتَ حيًّا وميتاً ، وإن كانت أنفُسنا غيرَ طَيِّبَةٍ بفراقِكَ ، ولا شاكَّةٍ في الخيرِ لكِ » .

٤٠١ ـ إن العروق الطيِّبة تُنبِتُ الثمار الحلوة :

جاء في كتاب « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » لابن حبان البستي رحمه الله تعالى (٢٠٢ـ٢٠٣) ما نصه :

« جاء في وصية الخطاب بن المعلّى المخزومي لابنه :

يا بُنيَّ ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيشَ له مع خلافها ، فإذا هممتَ بنكاح امرأة فسَلْ عن أهلها ، فإنَّ العروقَ الطيِّبَةَ تُنبِتُ الثِّمارَ الحُلوة .

واعلم أن النساء أشدُّ اختلافاً من أصابع الكَفِّ ، فتوَقَّ منهنَّ كلَّ ذاتٍ بذا مجبولةٍ على الأذى .

فمنهنَّ المُعجبةُ بنفسها ، المزريةُ[١] ببعلها ، إن أكرمَها رأتهُ لفضلها عليه ، لا تشكرُ على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها سيف صقيل ، قد كشفت القِحَةُ[٢] سترَ الحياء عن وجهها ، فلا تستحي من إعوارها ، ولا تستحي من جارها ، كلبةٌ هَرَّارة[٣] ، مُهارشةٌ[٤] عقَّارة[٥] ، فوجه زوجها مَكلوم[٦] ، وعِرضُه مشتوم ، ولا ترعى عليه الدين ولا الدنيا ، ولا تحفظُهُ لصُحبةٍ ولا لكثرةِ بنين ، حجابُهُ مَهتوك[٧] ، وسِترُهُ منشور ، وخيرُه

---

(١) المزرية : المصيبة .

(٢) القحة : الوقاحة وقلة الحياء .

(٣) الهرارة : المُكشِّرة المصوِّتة .

(٤) المهارشة : المخاصمة ، المقاتلة .

(٥) عقارة : كثيرة الصراخ ورفع الصوت .

(٦) المكلوم : المجروح .

(٧) المهتوك : المفضوح ، الممزّق الستر .

مدفون ، يُصبحُ كئيباً ، ويُمسي عاتباً ، شرابُهُ مُرٌّ ، وطعامُهُ غيظ ، وولدُه ضياع ، وبيتُه مُستهلَك ، وثوبُهُ وَسخ ، ورأسُه شَعثٌ[1] ، إن ضحكَ فواهِن[2] ، وإن تكلَّمَ فمُتكاره ، نهارُه ليل ، وليلُه ويل ، تلدغُهُ مثل الحيَّةِ العقَّارة ، وتلسعُه مثلَ العقربِ الجرَّارة .

ومنهنَّ شفشليق[3] ، شعشع[4] ، سلفع[5] ، ذات سُمٍّ منقع[6] ، وإبراق واختلاف ، تهبُّ مع الرياح ، وتطيرُ مع كلِّ ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا .

مُولِّدةٌ لمخازيه ، مُحتقرةٌ لما في يديه ، تضربُ له الأمثال ، وتقصرُ به دون الرجال ، وتنقلُه من حال إلى حال ، حتى قلا[7] بيتَه ، ومَلَّ ولدَه ، وغث عيشه ، وهانت عليه نفسُه ، وحتى أنكرَهُ إخوانُهُ ، ورحمه جيرانُه .

ومنهنَّ الوَدهاء[8] الحمقاء ، ذات الدلِّ في غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحُبِّه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ، ولمَّا يُسمَع لها صوتٌ ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤها وَضِر[9] ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب[10] .

ومنهنَّ العطوف الودود ، المُباركة الولود ، المأمونة على غيبها ،

---

(١) الشعث : المتفرّق من الأمور ، والمتلبد من الشعر .
(٢) الواهن : الضعيف .
(٣) الشفشليق : العجوز المسترخية .
(٤) الشعشع : الطويل .
(٥) السلفع : الصخّابة البذيئة السيئة الخلق .
(٦) السم المنقع : شديد القتل .
(٧) قلا : بغض وكره غاية الكره .
(٨) الودهاء : الحمقاء .
(٩) الوَضِر : الوسخ .
(١٠) المحروب : المسلوب .

المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرّها وإعلانها ، الكريمة التبعُّل[1] ، الكثيرة التفضُّل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمَّن ، وابنها مُزيَّن ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومومقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة » .

٤٠٢ـ النفس مَلِكٌ إن أتبعتها :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » (٣٧/٤) لابن الجوزي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال شيبة بن الأرقم : سمعتُ عاصماً الجحدري يقول :

كانت أمُّ طَلْقٍ تقول :

ما ملَّكْتُ نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً .

وكانت تقول : النَّفسُ مَلِكٌ إن اتَّبَعْتَها ، ومملوكٌ إن أتعبتها » .

٤٠٣ـ هل لك بمحاربة الله من طاقة ؟ :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٣٤) في ترجمة سيد التابعين الحسن البصري رحمه الله ، ما نصه :

« عن علقمة بن مرثد قال :

انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ، فمنهم الحسن بن أبي الحسن ، فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه ، ما كنا نراه إلاَّ أنه حديث عهد بمصيبة ، ثم قال :

نضحك ولا ندري لعل الله قد اطَّلعَ على بعض أعمالنا فقال : لا أقبلُ منكم شيئاً ، ويحكَ يا بن آدم! هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ إنه من عصى الله فقد حاربه ، والله لقد أدركتُ سبعين بدريًا ، أكثر لباسهم الصوف ، ولو

---

(١) التبعل : أداء حقوق الزوج .

رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيتُ أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيتُ أقواماً يُمسي أحدهم وما يجد عنده إلاَّ قوتُ يومه فيقول : لا أجعل هذا كله في بطني ، لأجعلنَّ بعضه لله عزَّ وجلَّ فيتصدَّقُ ببعضه ، وإن كان هو أحوج ممَّن يتصدَّق به عليه » .

٤٠٤ـ لعلَّه الزائد :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٣٨٧) في ترجمة الإمام الزاهد الربّاني سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« جاء سفيان الثوري إلى صيرفيٍّ بمكّة يشتري منه دراهم بدينار ، فأعطاه الدينار ، وكان معه آخر فسقط من سفيان فطلبه ، فإذا إلى جانبه دينار آخر .

فقال له الصيرفي : خُذ دينارك .

قال : ما أعرفه .

قال : خذ الناقص .

قال : لعله الزائد ، وتركه ومضى » .

٤٠٥ـ ما أحدث شيئاً :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٣٣٦) برقم : (٧٦٣) ما نصه :

« عن عبد الله بن كامل ، عن مالك أو غيره قال :

لمّا دخل ربيعة على الوليد بن يزيد ـ وهو خليفة ـ قال : يا ربيعة ، حدِّثنا .

قال : ما أحدث شيئاً .

قال : فلمّا خرج من عنده ، قال :

ألا تعجبون من هذا الذي يقترحُ عليَّ كما يقترحُ على المُغنيَّة : حدِّثنا يا ربيعة » .

٤٠٦ـ إنّه حفظها لما أنشدتنا إيّاها :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي (١/ ١٦٢) ما نصه :

« حدَّثني أبي رضي الله عنه قال : حدَّثني أبو عبد الله المفجع[1] ، قال :

أنشدتُ أبا محمد القاسم بن محمد الكرخي قصيدة طويلة مدحتُه فيها ، فلمّا استتممتُها ، خرج ابنه أبو عبد الله جعفر بن القاسم من خيشٍ كان في صدر المجلس الذي كنّا فيه ، فقال :

يا شيخ ، ألا تستحي ، تمدحُنا بقصيدة ليست لك ، تدَّعيها ؟

قال : ولم أكن أعرف خبره في سرعة الحفظ ، فقلت :

أُعيذُكَ بالله يا سيِّدي ، والله ما قالها غيري .

فقال : سبحان الله ، هذه علَّمنيها المعلِّم في المكتب من كذا وكذا سنة ، وابتدأ يُنشدُها حتى مضى في جميعها ، ما أخلَّ ببيتٍ واحد ، وكانت فوق الخمسين بيتاً .

فأسقط في يدي ، فخجلتُ ، واندفعتُ أحلفُ بالطلاق والعتاق أنها لي ، وأنا لا أدري من أين أُتيت .

فلمّا رحمني القاسم قال : يا هذا لا تقلق ، فأنا أعلمُ أنكَ صادق ،

---

(١) المفجع : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب الشاعر ، صاحب ثعلب من أهل البصرة ، كان شاعراً مكثراً عالماً أديباً . (معجم الأدباء ٦/ ٣١٤) .

ولكن أبا عبد الله لا يسمعُ شيئاً يُنشَدُ ، طويلاً أو غيره ، إلاّ حفظَهُ في دفعةٍ واحدة حين يسمعه ، وأنّه حفظها لمّا أنشدتنا إيّاها .

وأجازني ، وانصرفت » .

٤٠٧ـ لا أعلمُه إلاّ من نقاء القلب :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢١/ ٩٩) في ترجمة الإمام الزاهد الربّاني علي بن الفضيل بن عياض التميمي اليربوعي رحمهما الله تعالى ، ما نصه :

« . . . حدَّثنا محمد بن ناجية ، قال :

صلّيتُ خلف الفضيلِ بن عياض فقرأ « الحاقّة » في صلاة الغداة ، فلمّا بلغ إلى قوله : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠ـ٣٢] غلبهُ البُكاء ، وكان ابنُه عليّ في الصفِّ معنا فسقطَ مغشيًّا عليه ، وركع فضيل ثم قام فقرأ بقيّة السورة في الركعة الثانية ، ثم حملنا عليًّا وأدخلناه منزله فلم يزل مغمى عليه إلى بعد العصر ، فقيل للفضيل : هذا الذي يصيبُ عليًّا من أيِّ شيء يكون يا أبا علي ؟

قال : لا أعلمُه إلاّ من نقاءِ القلب » .

٤٠٨ـ يا أبَتِ نغتنم خَلْوَةَ الجَوْر :

جاء في « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٨/ ٢٩٩) ما نصه :

« . . . حدَّثنا أحمد بن سعيد الأشيب ، قال : حدَّثني أبي قال :

سمعتُ الفضيل بن عياض يقولُ لابنه :

أمير المؤمنين قد أُخليَ له الطواف ، قم حتّى نغتنمَ الطَّواف .

فقال :

يا أبَتِ نغتنمُ خَلْوَةَ الجَوْر » .

٤٠٩ـ أولويات العلماء :

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالى (١/ ٣٩) ما نصه :

« يقول الغزالي رحمه الله ـ موجهاً النصح للمتعلمين ـ :

فكن أحد رجلين :

إمّا مشغولاً بنفسك ، وإمّا مُتفرِّغاً لغيرك بعد الفراغ لنفسك .

وإيَّاكَ أن تشتغلَ بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك .

فإن كنت المشغول بنفسكَ فلا تشتغل إلاَّ بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك .

ولا تشتغل بفروض الكفاية ، لاسيَّما وفي زمرة الخلق من قد قام بها ، فإن مُهلك نفسه ـ فيما به صلاح غيره ـ سفيه ، فما أشدَّ حماقة من دخلت الأفاعي تحت ثيابه ، وهمَّت بقتله ، وهو يطلبُ مذبَّةً يدفعُ بها الذباب عن غيره .

وإن تفرَّغت من نفسك وتطهيرها ، فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها » .

٤١٠ـ الأولويات الصحيحة للدعوة :

جاء في كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالى (٢/ ٣٤٢) وهو يحدّد مراحل الدعوة إلى الله حيث تبدأ متدرجة من النفس حتى تصل إلى الناس جميعاً ، ما نصه :

« فحقٌّ على كلِّ مسلم أن يبدأ بنفسه فيُصلحها ، بالمواظبة على الفرائض وترك المحرَّمات ، ثم يعلِّم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدّى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلَّته ، ثم إلى أهل بلده. . . وهكذا إلى أقصى العالم .

فإن قام به الأدنى ، سقط عن الأبعد ، وإلاَّ حرج به على كلّ قادر عليه ، قريباً كان أو بعيداً ، ولا يسقطُ الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه ، وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلِّمه فرضه .

وهذا شغل شاغل ، لمن يهمه أمر دينه ، ويشغله عن تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة ، والتعمُّق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ، ولا يتقدَّم على هذا ـ أي أمر الدعوة ـ إلاَّ فرض عين ، أو فرض كفاية هو أهم منه » .

٤١١ـ آلى الله على نفسه ألاَّ يقبل إلاَّ عمل المُتَّقين :

جاء في « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالى (٣/ ٤٠٩) أنَّ كثيراً من الناس الأغنياء يتركون ما هو أولى بهم حيث يقول ما نصه :

« فريق منهم يحرصون على إنفاق المال في الحج ، فيحجّون مرَّة بعد أخرى ، وربَّما تركوا جيرانهم جياعاً .

قال أبو نصر التمّار : أن رجلاً جاء يودِّع بشر بن الحارث ، وقال : قد عزمتُ على الحجِّ فتأمرني بشيء ؟ فقال له : كم أعددتَ للنَّفقة ؟

فقال : ألفي درهم .

فقال بشر : فأيُّ شيء تبتغي بحجِّكَ : تزهُّداً ، أو اشتياقاً إلى البيت ، أو ابتغاء مرضاة الله ؟

قال : ابتغاء مرضاة الله .

قال : فإن أصبتَ مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك ، وتنفقُ ألفي درهم ، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى ، أتفعلُ ذلك ؟

قال : نعم .

قال : إذهب فأعطها عشرة أنفس : مديونٌ يقضي دينه ، وفقيرٌ يرمُّ

شعثه ، ومعيلٌ يُغني عياله ، ومُربّي يتيم يُفرحه ، وإن قويَ قلبكَ أن تعطيها واحداً فافعل ، فإنَّ إدخالكَ السُّرورَ على قلب المسلم ، وإغاثة اللَّهفان ، وكشف الضُّر ، وإعانة الضعيف ، أفضلُ من مائة حجَّةٍ بعد حجَّة الإسلام ، قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلاَّ فقل لنا ما في قلبك ؟

فقال : يا أبا نصر ، سفري أقوى في قلبي .

فتبسَّم بشر رحمه الله وقال :

المالُ إذا جُمع من وسخ التجارات والشُّبهات ، اقتضت النَّفسُ أن تقضي به وطراً ، فأظهرت الأعمال الصالحات ، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبلَ إلاَّ عمل المُتَّقين .

وبعضهم يُمسكون الأموال بحكم البخل ، ثم يشتغلون بالعبادات البدنيَّة ، كصيام النهار ، وقيام الليل ، وختم القرآن . . . وهم مغرورون .

وقد قيل لبشر : إنَّ فلاناً الغني ، كثير الصوم والصلاة .

فقال : المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره ، وإنَّما حال هذا إطعامُ الطعام للجياع ، والإنفاق على المساكين ، فهذا أفضلُ له من تجويعه لنفسه ، ومن صلاته » .

٤١٢ـ لا نستضيء بنارهم :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٧/ ٤٠) في ترجمة الإمام الرباني سفيان الثوري رحمه الله ، ما نصه :

« قال أبو شهاب :

كنت ليلة مع سفيان فرأى ناراً من بعيد .

فقال : ما هذا ؟

فقلت : نار صاحب الشرطة .

فقال : اذهب بنا في طريق آخر ، لا نستضيء بنارهم ، أو قال : بنورهم » .

٤١٣ـ اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها :

جاء في « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٨٧) ما نصه :

« عن عبد الرحمن البصري قال :

قال رجل لسفيان : أوصني .

فقال : **اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها** ، واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها ، والسلام » .

٤١٤ـ لا أُحدِّث قوماً أنت فيهم :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله (١/ ٣٣٧) برقم : (٧٦٤) ما نصه :

« . . . نا شريك قال :

كان أبو جعفر المنصور قد استخفى عند رجل فأكرمه ، فلمّا أفضت الخلافة إليه ، قدم عليه ذلك الرجل يُهنِّئه ، فأكرمه وقال له :

سل حاجتكَ ، فقال له : أنت تعلم أنِّي من الله في نعمة ، ما لي حاجة ، إلاَّ أنِّي أشتهي أن يُحدِّثني الأعمش ، فاكتب إليه كتاباً ليُحدِّثني .

فكتب له أبو جعفر كتاباً بخطِّه إلى الأعمش يُعرِّفه فيه وجوب حقِّه عليه ، ويأمره بأن يُحدِّثه .

فلمّا مضى الرجل بالكتاب وافى باب الأعمش ، فدقَّه ، وكان الأعمش يكره أن يُدَقَّ عليه بابُهُ ، فقال : من ذا ؟ ادخل .

فدخل ـ والأعمش يلخف كسباً[1] للشاة ـ فقال له : ما لَكَ ؟

فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليك .

---

(١) يلخف كسبا : أي يعجنه ، ويضرب بعضه ببعض ليتماسك ، ثم يطعمه للشاة .

فقال : هاتِه ، فأخذه ، ثم قال : يا بُسْرَةَ - يعني أن اسم الشاة بُسْرَة - فرفعت رأسها ، فجعل يُضَفِّرها الكتاب حتى أكلته .

ثم قال : إيش فيه ؟ قال : فيه أن تُحدِّثني .

فقال : ما أُحدِّثُكَ بحرف .

فقال : سبحان الله يا أبا محمد! يكتبُ إليك أمير المؤمنين في شيء فلا تفعله ؟

فقال : والله ما أُحدِّثُكَ ، ولا أُحدِّثُ قوماً أنت فيهم » .

٤١٥ـ إن كان ما تقوله حقًّا عزلناه :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٣٧) ما نصه :

« دخل أعرابيٌّ على هشام بن عبد الملك يشكو عاملاً لهم ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إنه والله ما أدركنا أحداً قعَدَ مَقْعَدَكَ أعدلَ منكَ ، وإنَّ أهل الشكر لعدلك ، هم عُيونُكَ على مكارمكَ ، يجب عليهم أن يرفعوا إليك كلَّ مكرمةٍ غِبتَ عنها ، حفظاً لغيبك ، وتأديةً لحقِّك وحقِّ إمامتك ، وفلان بن فلان رفعتَ خسيسَتَهُ ، وأثبتَّ رُكنَهُ ، وأعليتَ ذِكرَهُ ، وأمرتَهُ بنشر محاسنكَ فطواها ، وإظهار مكارمكَ فأخفاها ، وقد أخرَبَ البلادَ ، وأظهرَ الفسادَ ، وأجاعَ الأكبادَ ، وأخرج الناس من سَعَةِ العدلِ إلى ضيقِ الجوْرِ ، حتى باعوا الطارِفَ والتالِدَ .

قال : يا أعرابي ، إن كان ما تقوله حقًّا عزلناه وجعلناه نكالاً لمن سار بسَيْرِهِ » .

٤١٦ـ الرسول أفصح العرب قولاً ، وأبينهم كلاماً ، وأعلاهم بلاغة :

جاء في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ وهو يصف كلام النَّبي ﷺ (٢/ ١٤ـ١٥) ما نصه :

« هو الكلام الذي قَلَّ عدد حروفه ، وكَثُرَ عددُ معانيه ، وجَلَّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلُّف ، استعمل المبسوطَ في موضع البسط ، والمقصورَ في موضع القَصْر ، وهجرَ الغريب الوحشيَّ ، ورغبَ عن الهجين السُّوقي ، فلم ينطق إلاَّ عن ميراث حكمة ، ولم يتكلَّم إلاَّ بكلام قد حُفَّ بالعصمة ، وشُدَّ بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق ، وهذا الكلامُ الذي ألقى اللهُ المحبَّة عليه ، وغَشَّاهُ بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلَّة عدد الكلام ، وهو مع استغنائه عن إعادته ، وقلَّة الحاجة إلى معاودته ، لم تَسْقُط له كلمة ، ولا زلَّت له قدم ، ولا بارت له حجَّة ، ولم يَقُمْ له خصم ولا أفحمه خطيب ، بل يَبُذُّ الخطب الطِّوال بالكلام القصير ، ولا يلتمسُ إسكاتَ الخصم إلاَّ بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلاَّ بالصدق ، ولا يطلبُ الفَلَجَ إلاَّ بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يَهْمِزُ ولا يَلْمِزُ ، ولا يُبطِّىءُ ولا يَعْجَلُ ، ولا يُسْهِبُ ولا يَحْصَرُ ، ثم لم يسمع الناس بكلام قطُّ أعَمَّ نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرمَ مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه ، من كلامه ﷺ » .

٤١٧ـ بئس الرجل رأيتك :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٧/ ٤٢) ما نصه :

« قال عبد الرزاق : أخذ أبو جعفر بتلباب الثوري ، وحوَّل وجهه إلى الكعبة فقال :

بربِّ هذه البنية أيَّ رجل رأيتني ؟

قال : بربِّ هذه البنية ، **بئس الرجل رأيتك** .

وأطلق يده » .

٤١٨ـ أكره أن أذلّ :

جاء في « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي رحمه الله تعالى (١/ ١٤٤) ما نصه :

« عن سفيان بن عيينة أن محمد بن إبراهيم الهاشمي ، وكان والياً على مكة ، بعث إلى سفيان الثوري بمئتي دينار ، فأبى أن يقبلها .

قلت : يا أبا عبد الله ، كأنكَ لا تراها حلالاً ؟

قال : بلى ، ولكن أكره أن أذلّ » .

٤١٩ـ تخالهم من الخشية مرضى وما بهم من مرض :

جاء في كتاب « الحسن البصري » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٩٤ـ٩٥) ما نصه :

« قال الحسن رحمه الله تعالى :

أيها الناس ، إن لله عباداً هم كمن رأى أهل الجنة في الجنة مُنعَّمين ، وأهل النار في النار مُعذَّبين ، فهم يعملون لما رأوا من النعيم ، وينتهون عمّا خافوا من العذاب الأليم .

أيها الناس ، إن لله عباداً قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا الأيام القلائل لما رجوه في الدهور الأطاول ، أما الليل فقائمون على أقدامهم ، يتضرَّعون إلى ربِّهم ويسعون في فكاك رقابهم ، تجري من الخشية دموعهم ، وتخفق من الخوف قلوبهم .

وأما النهار فحلماء علماء أتقياء أخفياء ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفُّف ، تخالُهم من الخشية مرضى وما بهم من مرض ، ولكنهم خصّصوا بذكر النار وأهوالها لهم ، والله كانوا فيما أُحلَّ لهم أزهد منكم فيما حُرِّم عليكم ، وكانوا أبصر بقلوبهم لدينهم منكم لدنياكم بأبصاركم ، ولهم كانوا لحسناتهم أن تُردَّ عليهم أخوف منكم أن تُعذَّبوا على سيئاتكم ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة : ٢٢] » .

٤٢٠ـ عاد إلى خطبته كأنه يقرؤها من قرطاس :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٢٦٤) في ترجمة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن الأصمعي وغيره :

أن المنصور صعد المنبر فقال :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكَّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، اذكر من أنت في ذكره .

فقال : مرحباً مرحباً ، لقد ذكرت جليلاً ، وخوفت عظيماً ، وأعوذ بالله أن أكون ممّن إذا قيل له اتّق الله أخذته العزَّة بالإثم ، والموعظة منّا بدأت ، ومن عندنا خرجت ، وأنت قائلها ، فأحلفُ بالله ما الله أردتَ بها ، وإنما أردتَ أن يُقال : قام : فقال ، فعوقب فصبر ، فأهون بها من قائلها ، واهتبلها من الله ، ويلك إني قد غفرتها ، وإياكم معشر الناس وأمثالها . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فعاد إلى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس » .

٤٢١ـ لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنُحسِّن أخلاق خدمنا :

جاء في كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للشيخ عبد الله علوان رحمه الله تعالى (ص ٢٨٥) ما نصه :

« عن عبد الله بن طاهر قال :

كنتُ عند المأمون يوماً ، فنادى بالخادم : يا غلام!

فلم يُجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام!

فدخل غلام تركي وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلَّما

خرجنا من عندكَ تصيحُ يا غلام! يا غلام! إلى كم يا غلام ؟

فنكس المأمون رأسه طويلاً ، فما شككتُ في أن يأمرني بضرب عنقه ، ثم نظر إليَّ فقال :

يا عبد الله! إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإنَّا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنُحسِّنَ أخلاق خدمنا » .

٤٢٢ـ لا تعودنَّ لشيء من هذا :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله (١/ ٣٧٠) برقم : (٨٥٠) ما نصه :

« . . . سمعتُ مُسَدَّداً ـ يعني ابن قَطَن ـ يقول : سمعتُ أبي يقول :

كنتُ عند سليمان بن حرب إذ أقبل طاهر بن عبد الله بن طاهر ـ والمطرقة بين يديه ـ فلمّا جلس أقبل عليه سليمان فقبض على لحيته ، فقال :

سبحان الله يُسْتَخَفُّ بشيخٍ مثلي ؟!

قال : ما ذاك يا أبا أيوب ؟

قال : بعثتَ إليَّ أن تعال فحدِّثني ، العالم يأتي ، أو يؤتى ؟

قال : لا أعود يا أبا أيوب . قال : لا تعودنَّ لشيء من هذا ، إن أردتَ الحديث فهذا مجلسي » .

٤٢٣ـ ما شئت فأقم ، ومتى شئت فارحل :

جاء في كتاب « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى (٧/ ٢٥٨) في ترجمة الإمام الربَّاني الفقيه أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري رحمه الله ، ما نصه :

« قال أبو أحمد الزبيري رحمه الله تعالى :

كنتُ في مسجد الخَيْف مع سفيان ، والمنادي ينادي : من جاء بسفيان فله عشرة آلاف .

وقيل : إنه لأجل الطلب هربَ إلى اليمن ، فسُرق شيء فاتَّهموا سفيان ، قال : فأتوا بي معن بن زائدة ، وكان قد كتب إليه في طلبي .

فقيل : هذا قد سرق متاعنا . فقال : لم سرقتَ متاعهم ؟

قلت : ما سرقتُ شيئاً .

فقال : تنحُّوا أُسائله ، ثم أقبل عليَّ فقال : ما اسمك ؟

قلت : عبد الله بن عبد الرحمن .

فقال : نشدتكَ الله لما انتسبت . قلت : أنا سفيان بن سعيد بن مسروق .

قال : الثوري ؟ قلت : الثوري .

قال : أنت بغية أمير المؤمنين ؟ قلت : أجل .

فأطرق ساعة ثم قال :

ما شئت فأقم ، ومتى شئت فارْحَل ، والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها » .

٤٢٤ـ منك يتعلم العقل :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٢٧١) ما نصه :

« عن منصور بن القاسم يثني على القاضي أبي عمر منصور بن القاسم القنائي الكاتب ، قال :

دخل أبو عمر القاضي على أبي علي بن مقلة ، وهو وزير ، وعلي بن عيسى عنده جالس ، فرفع أبا عمر عليه ، فامتنع ، فرفعه ثانية ، فامتنع ، وجلس دون أبي الحسن .

فانصرف ، فراسله إلي طيَّاره ، واستدعى ابنه أبا الحسين ، فجاء إليه ، فقال : تقول لأبي عمر ، إنِّي رفعتكَ على عليّ بن عيسى ، لتخالف أمري ،

وتمتنع من ذلك ، وتجلس دونه .

فعاد إليه أبو الحسين ، فقال له ما جرى .

فقال له : ارجع إليه ، وقل له : هذا رجل رأس عليّ ، ثم أدال الزمان منه ، فكرهت أن أرتفع عليه ، فيتصورني الوزير ، بصورة من يرتفع على رؤسائه ، وما فعلت ذلك إلاّ لك ، وإعظاماً للرياسات .

فعاد أبو الحسين إلى ابن مقلة ، وأعاد عليه ذلك .

فقال : قل له : أحسن الله جزاءك ، فمنك يتعلّم العقل » .

٤٢٥ـ إنه الله تبارك وتعالى :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٥/ ٩) ما نصه :

« عن أبي القاسم عبيد الله بن سليمان قال :

كنتُ أكتبُ لموسى بن بغا ، وكنّا بالرّي ، وكان قاضيها إذْ ذاكَ أحمد بن بديل الكوفي ، فاحتاج موسى أن يجمع ضيعة كانت هناك ، كانت له فيها سهام ، وأن يعمّرها ، وكان فيها سهم ليتيم .

فصرت إلى أحمد بن بديل ، أو قال : استحضرت أحمد بن بديل ، وخاطبته في أن يبيع علينا حصة اليتيم ، ويأخذ الثمن .

فامتنع وقال : ما باليتيم حاجة للبيع ، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مستغن عنه ، فيحدث على المال حادثة ، فأكون قد ضيّعته عليه .

فقلت : أنا أعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها .

فقال : ما هذا لي بعذر في البيع ، والصورة في المال إذا كثر ، مثلها إذا قلّ .

فأدرتُه بكلّ لون وهو يمتنع ، فأضجرني ، فقلت له :

أيها القاضي ، إلاّ تفعل ، فإنه موسى بن بغا .

فقال لي : أعزَّك الله ، إنه الله تبارك وتعالى .

قال : فاستحييتُ من الله أن أعاوده بعد ذلك ، وفارقته .

ودخلت على موسى ، فقال : ما عملت في أمر الضيعة ؟

فقصصتُ عليه الحديث ، فلمّا سمع « إنه الله » بكى ، ومازال يكرِّرها .

ثم قال : لا تعرض لهذه الضيعة ، وانظر في أمر هذا الشيخ الصالح ، فإن كانت له حاجة فاقضها .

قال : فأحضرته ، وقلت له : إن الأمير قد أعفاك من أمر الضيعة ، وذلك أنِّي شرحتُ له ما جرى بيننا ، وهو يعرض عليك قضاء حوائجك .

قال : فدعا له ، وقال : هذا الفعل أحفظ لنعمته ، وما لي حاجة إلا إدرار رزقي ، فقد تأخَّر منذ شهور ، وقد أضرَّ بي .

فأطلقت له جاريه » .

٤٢٦ـ ما أصنع بقيام الليل :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٨/ ١٨٨) في ترجمة القاضي الفقيه حفص بن غياث بن طلق ، أبي عمر النخعي الكوفي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن إبراهيم بن محمد بن رزق قال :

لمّا ولي حفص بن غياث القضاء بالكوفة ، قال لهم أبو يوسف :

اكسروا دفتراً لتكتبوا فيه نوادر قضاياه .

فمرت قضاياه وأحكامه كالقدح .

فقالوا لأبي يوسف : أما ترى ؟

قال : ما أصنع بقيام الليل .

يريد أن الله وفَّقه ـ بصلاة الليل ـ في الحكم » .

٤٢٧ـ دستور الولاية :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢١/ ٤٤٢) في ترجمة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن سلام بن سليم ، قال :

لمّا ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ، فكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلاَّ فلا يقربنا :

يرفعُ إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها .

ويعيننا على الخير بجهدِه .

ويدلُّنا من الخير على ما لا نهتدي إليه .

ولا يغتابنَّ عندنا الرَّعيّة .

ولا يعترض فيما لا يعنيه .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبتَ الفقهاء والزُّهَّاد وقالوا :

ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعلُه قولَهُ » .

٤٢٨ـ عمله أفضل ممّا نحن فيه :

جاء في « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالى (٢/ ٧٥) ما نصه :

« كان ابن المبارك ـ رحمه الله ـ مع أصحابه في الغزو ، فقال لهم :

تعلمون عملاً أفضل ممّا نحن فيه ؟

قالوا : لا .

قال : رجلٌ مُتعفِّفٌ ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً مُتكشِّفين فستَرهم وغطَّاهم بثوبه ، فعملُه أفضلُ ممّا نحن فيه » .

٤٢٩ـ والله ، ولا وبرة ، لأنها من مال المسلمين :

جاء في كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندي (١/ ٢٥٩) و « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمهما الله تعالى (٢/ ١١٣) ما نصه :

« أخبرنا سهل التميمي قال :

حجَّ معاوية بن أبي سفيان ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت مُقيمة بأرض الحجاز يقال لها « دارمية الحجونية » فأخبروه بسلامتها وأنها موجودة ، فأمر بإحضارها ، وكانت سوداء ، فلمّا حضرت قال :

كيف أنتِ يا ابنة حام ؟

قالت : لستُ بابنة حام ، إنّما أنا امرأة من كنانة .

قال : أتدرين لم أرسلتُ إليك ، وفيم استدعيتُكِ ؟

قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلاَّ الله تعالى .

قال : أردتُ أن أسألكِ ، لم أحببتِ عليًا وأبغضتني ، وواليتِه وعاديتني ؟!

قالت : أوتعفيني من ذلك ؟

قال : لابدَّ أن تقولي لي .

قالت : أحببتُ عليًا لعدله في الرعيَّة ، وقسمه بالسويَّة ، وأبغضكَ على قتالك لمن هو أولى بالخلافة منك ، وطلبكَ ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليًا على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاية ، وحبّه للمساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وأُعاديكَ على سفك الدماء ، وجوركَ في القضاء ، وحكمكَ بالهوى .

قال لها معاوية : هل رأيتِ عليًا ؟

قالت : نعم .

قال : كيف رأيته ؟

قالت : رأيتُه ما فتنهُ المُلكُ الذي فتنكَ ، ولا شغلته النِّعمة التي شغلتكَ .

قال : فهل سمعتِ شيئاً من كلامه ؟

قالت : نعم ، كان كلامُه يجلي القلوب من العمى كما يجلي الزيت الصدأ .

قال : فهل لكِ في حاجة ؟

قالت : نعم ، أعطني مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاتها .

قال : فما تصنعين بها ؟

قالت : أغذو بلبنها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسبُ بها المكارم ، وأُصلح بين العشائر .

قال : فإذا دفعتُها لكِ أأكون عندكِ بمنزلة عليٍّ ؟

قالت : لا والله ! !

فقال معاوية متمثِّلاً :

إذا لم أجُدْ بالحلم منِّي عليكُمُ فمَنْ ذا الذي بعدي يؤمَّل للحلمِ
خُذيها هنيئاً واذكري فعل ماجدٍ جزاكِ على حربِ العداوة بالسِّلمِ

ثم قال لها : والله لو كان عليٌّ حيًا ما أعطاكِ منها ناقة .

فقالت : والله ولا وبرة ، لأنها من مال المسلمين .

فقال لها : خُذيها وانصرفي » .

٤٣٠ـ الحمد لله الذي أمن منِّي غلامي :

جاء في كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للشيخ عبد الله علوان رحمه الله تعالى (٢/ ٣٥٢) ما نصه :

« وممّا يُروى أن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما استدعى غلاماً له ، وناداه مرَّتين فلم يُجبه .

فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائي ؟

فقال : بلى سمعته .

قال : فما حملكَ على ترك إجابتي ؟

قال : أمنتُ منك ، وعرفتُ طهارة أخلاقك فتكاسلتُ .

فقال : الحمد لله الذي أمنَ منِّي غُلامي » .

٤٣١ـ صدقتُ ، فأنكحك الصدق :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله : (٤/ ٧٣) ما نصه :

« خطب بلال على أخيه امرأة من بني حِسْلٍ من قريش ، فقال :

نحن من قد عرفتم ، كُنّا عبدين فاعتقنا الله ، وكنّا ضالين فهدانا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة ، فإن تَنكحوه فالحمد لله ، وإن تردوه ، فالله أكبر .

فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا :

هو بلال ، وليس مثله يُدفَع ، فزوجوا أخاه .

فلما انصرفا ؛ قال خالد لبلال :

يغفر الله لك ، ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مه رسول الله ﷺ!

قال بلال :

مَه! صَدقْتُ فأنكحك الصدق » .

٤٣٢ـ إن عاش هذا الغلام ليكوننَّ له شأنٌ عظيم :

جاء في مقدمة كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحرّاني رحمه الله تعالى بتحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه « العقود الدرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » :

انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوَّة حافظته ، وسرعة إدراكه ، واتَّفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال :

سمعتُ في البلد بصبيٍّ يقال له : أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصداً لعلِّي أراه .

فقال له خياط : هذه طريق كُتَّابه ، وهو إلى الآن ما جاءنا ، فاقعد عندنا الساعة يجيء يَعْبر علينا ذاهباً إلى الكُتَّاب .

فجلس الشيخ الحلبي قليلاً فمرَّ صبيان ، فقال الخياط :

هاذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية .

فناداه الشيخ : فتناول الشيخ اللوح منه فنظر فيه ، ثم قال له :

امسح يا ولدي هذا حتى أُملي عليك شيئاً تكتبه ، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً .

وقال : اقرأ عليَّ هذا ، فلم يزد على أن تأمَّله مرَّةً بعد كتابته إيَّاه ، ثم دفعه إليه وقال :

أسمعه عليَّ ، فقرأ عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع .

فقال له : يا ولدي ، امسح هذا ، ففعل ، فأملى عليه عدَّة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا .

فنظر فيه كما فعل أول مرَّة ، ثم أسمعه إيَّاه كالأوَّل ، فقام الشيخ وهو يقول :

إن عاش هذا الصبيُّ ليكوننَّ له شأن عظيم ، فإنَّ هذا لم يُرَ مثلُه » .

٤٣٣ـ صِف لي العدل :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي رحمه الله (ص ٢٤٣) في ترجمة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن محمد بن كعب القرطي قال :

دعاني عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ فقال : صف لي العدل .

فقلت : بخٍ! سألت عن أمرٍ جسيم ، كن لصغير الناس أباً ، وكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، وعلى قدر أجسادهم ، ولا تضربنَّ لغضبك سوطاً واحداً ، فتُعَدَّ من العادين » .

٤٣٤ـ هذا والله الكلام الخالص ، لا الكلام المصنوع :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٣٨ـ٣٣٩) ما نصه :

« لمّا هزَمَ المُهلَّبُ بن أبي صُفرة عبدَ ربِّه الحَرُوريّ قال :

هل من رجلٍ حازمٍ أبعثُ به إلى الحجَّاج مع رؤوس هؤلاء القوم ؟

فدُلَّ على بشير بن مالك الخَرَشي ، فوجَّهَهُ إلى الحجَّاج ، فلمّا دخَلَ عليه قال له الحجّاج : ما اسمكَ ؟ قال : بشير بن مالك .

فقال الحجَّاج : بِشارةٌ ومُلكٌ ، كيف تركتَ المُهلَّب ؟

قال : تركتُه ـ أصلح الله الأمير ـ قد أدركَ ما طلَبَ ، وأمِنَ ما خاف .

قال : الحمدُ لله على ذلك ، فكيف تركتَ العدوَّ ؟

قال : كانت له الدَّولةُ ولنا العاقبةُ .

فقال الحجَّاج : العاقبةُ للمُتَّقين ، فكيف تركتَ الجُنْدَ ؟

قال : أرضاهم الحقُّ ، وأغناهم النَّفلُ ، وإنه مع ذلك ليَسُوسُهم سياسةَ الملوكِ ، ويُقاتلُ عنهم قتالَ الصُّعلوك .

قال : فكيف أبناء المُهلَّب ؟

قال : أعباءُ البياتِ حتى يأمنوه ، وأصحابُ السَّرْجِ حتى يُرَوِّحوه .

قال : فأيُّهم أفضل ؟

قال : ذاكَ إلى أبيهم .

قال : وأنتَ فقُلْ ، فإنِّي أراكَ عاقلاً .

قال : هُمْ كالحلقَةِ المُفْرَغَةِ ، لا يُدرى أينَ طَرَفُها .

فقال الحجَّاج : أكُنتَ أعددتَ ما سمعت ؟

فقال : لا يعلمُ الغيبَ إلاَّ الله .

فالتفتَ الحجَّاجُ إلى جلسائه فقال : هذا واللهِ الكلامُ الخالصُ ، لا الكلامُ المصنوعُ » .

٤٣٥ـ لا تدعا الكتاب إليَّ فإنه لا غنى عنكما :

جاء في كتاب « المصنف » لابن أبي شيبة رحمه الله تعالى (٢٦٦/١٣) وكتاب « حلية الأولياء » (١/ ٢٣٧ـ٢٣٨) وكتاب « الزهد » لهناد بن السري رحمه الله تعالى (١/ ٣٠٢ـ٣٠٣) برقم : (٥٣٣) ما نصه :

« . . . عن محمد بن سوقة ، قال : أتيتُ نعيم بن أبي هند ، فأخرجَ إليَّ صحيفة ، فإذا فيها :

من أبي عُبيدة بن الجرَّاح ومعاذ بن جبل ، إلى عمر بن الخطاب ، سلامٌ عليكَ ، أما بعد :

فإنَّا عهدناكَ ، وشأن نفسكَ لك مهمّ ، فأصبحتَ وقد وليتَ أمر هذه

الأُمَّة أحمرها وأسودها ، يجلسُ بين يديكَ الشَّريفُ والوضيع ، والصديق والعدو ، ولكلٍّ حصَّةٌ في العدل ، فانظر كيف أنتَ عند ذلك يا عمر! إنَّا نُحذِّرُكَ يوماً تعنو فيه الوجوه ، وتجفُّ فيه القلوب ، وتنقطعُ فيه الحجج بحجَّة ملك ، قهرهم بجبروته ، والخلقُ داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه ، وإنَّا نُحذِّرُكَ ما حُذِّرت به الأمم قبلنا ، وإنَّا كنَّا نحدّث أن أمر هذه الأمَّة سيرجعُ في آخر زمانها ، أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ، وإنَّا نعوذُ بالله أن ينزلَ كتابنا منكَ سوى المنزلَ الذي نزلَ من قلوبنا ، وإنَّا كتبنا به نصيحةً لكَ ، والسَّلامُ عليك .

فكتب إليهما :

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجرَّاح ، ومعاذ بن جبل ، سلامٌ عليكما أما بعد : فإنَّكما كتبتُما إليَّ تُذكِّران أنَّكما عهدتماني وأمر نفسي إليَّ مهم ، وإنِّي أصبحتُ قد وليتُ أمرَ هذه الأُمَّة أحمرها وأسودها ، يجلسُ بين يديَّ الشَّريفُ والوضيع ، والعدوُّ والصَّديق ، ولكلٍّ حصَّةٌ من العدل ، كتبتما : فانظر كيف أنتَ عند ذلك يا عمر! وإنَّه لا حول ولا قوَّة عند ذلك لعمر إلاَّ بالله .

كتبتُما تُحذِّراني ما حُذِّرت منه الأُمم قبلنا ، وقديماً كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقرِّبان كلَّ بعيد ، ويُبليان كلَّ جديد ، ويأتيان بكلِّ موعود ، حتى يصيرَ الناسُ إلى منازلهم من الجنَّة والنَّار .

كتبتُما تُذكِّراني أنَّكما كُنتما تُحدِّثاني أن أمر هذه الأُمَّة سيرجعُ في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانيَّة أعداءَ السَّريرة ، ولستُم بأولئك ، وليس هذا بزمان ذلك ، وإنَّما ذلك زمان يظهرُ فيه الرَّغبة والرَّهبة ، تكونُ رغبة بعض الناس إلى بعض لصلاح دنياهم ، ورهبة بعض الناس من بعض لصلاح دنياهم .

كتبتُما : تعوذان بالله أن أُنزل كتابكُما سوى المنزل الذي نزلَ من قلوبكما ، فإنَّكما كتبتُما به نصيحةً لي وقد صدقتُما ، فلا تدعا الكتاب إليَّ فإنَّه لا غنى عنكما ، والسَّلام عليكُما » .

٤٣٦ـ اللهمَّ! وعمر فاجزه خيراً :

جاء في « الزهد » لهناد بن السري رحمه الله تعالى (١/ ٣١٤) برقم : (٥٦٠) وإسناده صحيح ورجاله ثقات ، ما نصه :

« عن أنس رضي الله عنه قال :

جاء رجل إلى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين! احملني ، فإنِّي أُريدُ الجهاد .

فقال عمر لرجل : خُذْ بيده ، فأدخله بيت المال يأخذُ ما شاء ، فدخلَ فإذا هو بيضاء ، وصفراء .

فقال : ما هذا ؟ ما لي في هذا حاجة ، إنَّما أردتُ زاداً وراحلة .

فردُّوه إلى عمر فأخبروه بما قال ، فأمر له بزادٍ وراحلةٍ ، وجعل عمر يرحلُ له بيده ، فلمّا ركبَ ، رفع يده ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه ، قال : وعمر يمشي خلفَه ، يتمنَّى أن يدعو له ، فلمّا فرغَ قال :

اللَّهم! وعمر فاجزه خيراً ، وأومأ بيده إلى رحله » .

٤٣٧ـ منّا من أينعت له ثمرتُه فهو يَهدبُها :

جاء في « صحيح البخاري » كتاب الجنائز ، باب إذا لم يجد كفناً إلاَّ ما يواري رأسه أو قدميه (٣/ ١٤٢) ، ومسلم في الجنائز ، باب في الكفن (٢/ ٦٤٩) ، وأبو داود في الوصايا ، باب ما جاء في الدليل على أن الكفن من جميع المال (٣/ ٢٩٦) ، والترمذي في المناقب ، باب مناقب مصعب بن عمير (٥/ ٦٩٢) ، والنسائي في الجنائز ، باب القميص في الكفن (١/ ٢١٨ برقم : ١٩٠٤) ، ما نصه :

« عن خباب بن الأرت قال :

هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله عزَّ وجلَّ ، فوجب أجرنا على الله ، فمنّا من مضى ، لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن

عمير ، قُتل يوم أُحد ، فلم يوجد له شيء يُكفَّن فيه ، إلا نمرةً ، فكنّا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه .

فقال لنا رسول الله ﷺ : ضعوها مما يلي رأسه ، وضعوا على رجليه الإذخر ، قال :

ومنّا من أينعت له ثمرتُه ، فهو يَهْدِبُها[1] » .

٤٣٨ـ إنَّ الله سيُنجيك بشفقتك على المسلمين :

جاء في كتاب « الحلية » لأبي نعيم الأصبهاني (٤/ ٢٤٤) و « التوكل » لابن أبي الدنيا برقم : (١٦) ، و « الزهد » لهناد (٢/ ٤٠٤) برقم : (٧٨٤) ما نصه :

« عن عون بن عبد الله بن عتبة ، قال :

بينا رجل في بستان بمصر ، في فتنة آل الزبير جالس ، كئيب حزين ، ينكتُ في الأرض بشيء معه ، إذ رفع رأسه ، فإذا صاحب مسحاة قد مثّل له ، فقال له : ما لي أراكَ مهموماً حزيناً ؟ فكأنَّه ازدراه .

فقال : لا شيء .

فقال : أبالدنيا ؟ فإنَّ الدنيا عرض حاضر ، يأكلُ منها البرُّ والفاجر ، وإنَّ الآخرة أجَلٌ صادق يحكم فيها ملكٌ قادر ، يفصلُ بين الحقِّ والباطل ، حتى ذكر أن لها مفاصل كمفاصل اللحم ، من أخطأ منها شيئاً أخطأ الحق .

فعجب بذلك من قوله ، فقال : اهتمامي بما فيه المسلمون .

قال : فإنَّ الله تعالى سيُنجيكَ بشفقتكَ على المسلمين ، وسَلْ من ذا الذي سأل الله ، فلم يُعطه ، أو دعا الله ، فلم يُجبه ، أو توكَّلَ على الله ، فلم يَكفه ، أو وثقَ بالله ، فلم يُنجه .

---

(١) يهدبها : يجتنيها .

قال : فعلقت الدعاء فقلت : اللهمَّ سلِّمني ، وسلِّم منّي .

قال : فتجلَّت الفتنة ، ولم يصب منها شيئاً » .

٤٣٩ـ لا نلتمس العزَّة بغير الإسلام :

جاء في كتاب « المصنف » لابن أبي شيبة رحمه الله تعالى (١٣/ ٤١ ، ٢٦٣) و « الزهد » لابن المبارك رحمه الله (٢٠٧) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٦٢) (٣/ ٩٢) و « الحلية » لأبي نعيم رحمه الله (١/ ٤٧) ما نصه :

« عن طارق بن شهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

لمّا قَدِمَ عمر الشام ، تلقته الجنود ، وعليه إزار ، وخفّان ، وعمامة ، وهو آخذ برأس راحلته ، يخوض الماء .

فقالوا : يا أمير المؤمنين! تلقاكَ الجنود ، والبطارقة ، وأنت على حالكَ هذا ؟!

فقال عمر : إنّا قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام ، فلن نلتمسَ العزَّة بغيره » .

٤٤٠ـ كراهة فضول الكلام :

جاء في كتاب « المصنف » لابن أبي شيبة رحمه الله تعالى (١٣/ ٥٧٢) و « الحلية » لأبي نعيم الأصبهاني (٣/ ٥) ، و « الزهد » لهناد رحمه الله تعالى (٢/ ٥٣٦) برقم : (١١٠٧) ما نصه :

« حدَّثنا يعلى ، قال :

دخلنا على محمد بن سوقة فقال : ألا أحدِّثكم بحديثٍ لعلَّه ينفعكُم ، فإنه قد نفعني ، قال لنا عطاء بن أبي رباح :

يا ابن أخي! إن من كان قبلكم يكره فضول الكلام ، وكانوا يعدُّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تبارك وتعالى أن تقرأه ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابدَّ لك منها .

أتنكرون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار : ١٠ـ١١] ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : ١٧ـ١٨] . .

أما يستحيي أحدُكم أن لو نُشرت عليه صحيفتُه التي أملاها صدر نهاره ، أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دُنياه ؟! » .

٤٤١ـ عليك منه بما ينفعُك :

جاء في كتاب « العلم » لأبي خيثمة رحمه الله برقم : (٥٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣/ ٣٣٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٨٨) ، و « الزهد » لهناد رحمه الله برقم : (٧٤٠) بإسناد صحيح ، ما نصه :

« عن أبي البختري ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

صَحِبَ سلمان رجلاً من بني عبس ليتعلَّم منه ، فخرجَ معه ، فجعل لا يستطيعُ أن يفضله في عمل ، إن عجن ، جاء سلمان فخبز ، وإن هيَّأ الرجل علف الدوابّ ، ذهب سلمان فسقاها ، حتى انتهوا إلى شطِّ دجلة ، وهي تطفحُ ، فقال سلمان للعبسي : انزل فاشرب ، فقال له سلمان : ازدد ، فازداد ، فقال له سلمان : كم تراك نقصت منها ؟

فقال العبسي : وما عسى أن أُنقص منها ؟

فقال سلمان : كذلك العلم ، تأخذ منه ولا تُنقِصُه ، **فعليك منه بما ينفعك** .

قال : ثم عبرنا إلى نهر دنّ ، فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير .

فقال سلمان : يا أخا بني عبس! أما ترى إلى فتح خزائن هذه علينا ، كأن نراها ومحمد حيّ .

قال : قلت : بلى .

قال : فوالذي لا إله إلاَّ هو ، لقد كانوا يُمسون ويُصبحون ، وما فيهم قفيز من قمح .

قال : ثم سرنا حتى انتهينا إلى جلولاء ، قال : فذكر ما فتح الله عليهم بها ، وما أصابوا فيها من الذَّهب والفضَّة .

فقال : يا أخا بني عبس! أما ترى الذي فتح خزائن هذه لهذه علينا ، كأن نراها ومحمد حيّ .

قال : قلت : بلى .

قال : فوالذي لا إله غيره ، لقد كانوا يمسون ويصبحون ، وما فيهم دينار ولا درهم » .

٤٤٢ـ أشبع المسلمين ممّا تشبعُ منه في رحلك :

جاء في كتاب « الزهد » لهناد بن السري رحمه الله برقم : (٦٩٧) و « مناقب عمر » لابن الجوزي رحمه الله كما في مختصره (بتعليق الرفاعي ١٦٩) بإسناد صحيح رجاله ثقات ، ما نصه :

« . . . عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، قال :

لمّا قدِمَ عتبة بن فرقد أذربيجان ، أُتي بخبيص ، فلمّا أكله ، وجد شيئاً حلواً طيّباً ، فقال :

والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا ، فأمر ، فجعل في سفطين عظيمين ، ثم حملهما على بعير مع رجلين ، فسرح بهما إلى عمر ، فلمّا قدما عليه ، فتحهما فقال : أيُّ شيء هذا ؟ قالوا : خبيص .

فذاقَهُ ، فإذا هو شيء حلو ، فقال للرسول : أكل المسلمين شبعَ من هذا في رحله ؟!

قال : لا ، قال : أما لا ، فارددهما ، ثم كتب إليه :

أمّا بعد ، فإنه ليس من كدِّ أبيكَ ، ولا من كدِّ أُمِّك ، أشبعِ المسلمين مّا تشبعُ منه في رحلك » .

٤٤٣ـ ما عرفتم فتمسَّكوا به :

جاء في كتاب « الحلية » لأبي نعيم (٥/ ٩٧) و « جامع بيان العلم » لابن عبد البر (٢/ ١٣٦) بإسناد حسن ، ما نصه :

« عن عبد الله بن سلمة ، عن معاذ قال :

كيف أنتم عند ثلاث : دنيا تقطعُ رقابكم ، وزلّة عالم ، وجدالُ منافق بالقرآن ؟ فسكتوا .

فقال معاذ بن جبل : أمّا دنيا تقطعُ رقابكم فمن جعل الله غناه في قلبه ، فقد هدي ، ومن لا ، فليس بنافعته دُنياه .

وأمّا زلّة عالم ، فإن اهتدى فلا تُقلّدوه دينكم ، وإن فتن فلا تقطعوا منه آناتكم ، فإن المؤمن يفتن ثم يفتن ، ثم يتوب .

وأمّا جدالُ منافق بالقرآن ، فإن للقرآن مناراً كمنار الطريق لا يكاد يخفى على أحد ، فما عرفتم فتمسَّكوا به ، وما أشكلَ عليكم فكِلوه إلى عالمه » .

٤٤٤ـ إنّما الدنيا لأربعة :

أخرج ابن ماجة في الزهد ، باب النية (٢/ ١٤١٣ـ١٤١٤) ، والترمذي في الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا أربعة نفر (٤/ ٥٦٢) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٣١) بإسناد صحيح ، ما نصه :

« عن أبي كبشة الأنماري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

ثلاثةٌ أقسم عليهن ، وأُحدِّثكم حديثاً فاحفظوه ، قال :

ما نقصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مَظلمَةً فصبرَ عليها إلاّ زاده الله عِزًّا ، ولا فتَحَ عبدٌ باب مسألةٍ ، إلاّ فتَحَ الله عليه باب فقرٍ .

وأُحدِّثكم حديثاً فاحفظوه :

إنّما الدنيا لأربعةِ نفر :

عبدٍ رزقه الله مالاً وعلماً ، يتَّقي فيه ربَّه ، ويصلُ فيه رَحِمَه ، ويعملُ لله فيه حقًّا ، فهذا أفضلُ المنازل .

وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ، ولم يرزقه مالاً ، فهو صادقُ النيَّةِ يقول : لو أنَّ لي مالاً ، لعملتُ بعمل فلان ، فهو بنيَّته ، فأجرهما سواء .

وعبدٍ رزقه الله مالاً ، ولم يرزقه علماً ، يخبطُ في ماله بغير علم ، ولا يتَّقي فيه ربَّه ، ولا يصلُ فيه رَحِمَه ، ولا يعملُ لله فيه حقًّا ، فهذا بأخبث المنازل .

وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان ، فهو بنيَّته ، فوزرهما سواء » .

٤٤٥ـ قُلْ خيراً تغنم ، واسكت تسلم :

جاء في كتاب « الحلية » لأبي نعيم رحمه الله تعالى (١/ ٣٢٨) وابن المبارك في كتاب « الزهد » (١٢٥ـ١٢٦) بإسناد حسن ، ما نصه :

« عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

رأيتُ ابن عباس آخذاً بثمرة لسانه ، وهو يقول :

ويحك ! **قُلْ خيراً تغنم ، واسكت عن شرٍّ تسلم** .

قال : فقال له رجل : يا ابن عباس ، ما لي أراكَ آخذاً بثمرة لسانك تقول : كذا وكذا ؟

قال : بلغَني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء ، أحنق منه على لسانه » .

٤٤٦ـ كانت كفنه يوم مات :

جاء في كتاب « المسند » لأبي داود الطيالسي رحمه الله ، كما في « منحة المعبود » (٢/ ١٢١ـ١٢٢) ، وأحمد في « المسند » (٥/ ٣٣٣ـ٣٣٤) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٣٨) ما نصه :

« عن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال :

أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ببُردةٍ منسوجة فيها حاشيتاها .

قال سهل : وهل تدرون ما البردة ؟ قالوا : نعم هي الشملة .

قال : نعم! فقالت :

يا رسول الله ! نسجتُ هذه بيدي فجئتُ بها لأكسوكها ، فأخذها النَّبي ﷺ محتاجاً إليها ، فخرج علينا ، وإنَّها لإزاره ، فجسها فلان بن فلان رجل سمَّاه ، فقال :

ما أحسن هذه البردة ، أكسنيها يا رسول الله ؟ قال : نعم! .

فلمّا دخل طواها وأرسل بها إليه .

فقال له القوم : والله ما أحسنت ، كسيها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها ، ثم سألته إيَّاها وقد علمتَ أنّه لا يردُّ سائلاً .

فقال : والله! إنِّي ما سألتُه لألبسها ، ولكنِّي سألتُه إيَّاها لتكون كفني يوم أموت .

قال سهل : فكانت كفنهُ يوم مات » .

٤٤٧ـ النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير :

جاء في كتاب « مختصر مناقب عمر » لابن الجوزي (تعليق الرفاعي ص ١١٧) ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن سابط قال :

بلغ عمر رضوان الله عليه أنَّ عمّالاً من عمَّاله اشتكوا ، فأمرهم أن يوافوه ، فلمّا أتوه قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيَّتها الرَّعيَّة! إنَّ لنا عليكم حقًّا ، النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير .

أيُّها الرُّعاة! إن للرَّعيَّة عليكم حقًّا ، اعلموا أنَّه لا حلم إلى الله أحب ولا

أعلم نفعاً من حلم إمام ورفقه ، وأنه ليس جهل أبغض إلى الله ، ولا أعم من جهل إمام وخرقه ، اعلموا أنه من يأخذ بالعافية ممّن بين ظهرانيه ، يُرزق العافية ممّن هو دونه » .

٤٤٨ـ إن المؤمنين شهود الله في الأرض :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٥٧ـ١٥٨) ما نصه :

« عن أبي عبيدة الناجي ، عن الحسن البصري رحمه الله قال :

يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم ، قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم ، فذلُّوا وهلكوا وافتُضحوا .

يا ابن آدم ، إنّما الحكم حكمان ، فمن حكم بحكم الله فإمام عادل ، ومن حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية .

إنّما الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق ، فأمّا المؤمن فعامل الله بطاعته ، وأمّا الكافر فقد أذلّه الله كما رأيتم ، وأمّا المنافق فهاهنا معنا في الحجر والطرق والأسواق نعوذ بالله ، والله ما عرفوا ربّهم ، اعتبروا إنكارهم ربَّهم بأعمالهم الخبيثة ، وإن المؤمن لا يصبح إلاّ خائفاً ، وإن كان محسناً ، لا يصلحه إلاّ ذلك ، ولا يُمسي إلاّ خائفاً ، وإن كان مُحسناً لأنّه بين مخافتين : بين ذنب قد مضى لا يدري ماذا يصنع الله تعالى فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من الهالكات .

إن المؤمنين شهود الله في الأرض ، يعرضون أعمال بني آدم على كتاب الله ، فمن وافق كتاب الله حمد الله عليه ، وما خالف كتاب الله عرفوا أنّه مخالفٌ لكتاب الله ، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضلَّ من الخلق » .

٤٤٩ـ سمعتُ لما قال وأطعتُ :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٢٧٧) في ترجمة الخليفة العباسي المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور رحمهم الله تعالى ، ما نصه :

« عن إبراهيم بن نافع ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

أن قوماً من أهل البصرة تنازعوا إليه في نهر من أنهار البصرة ، فقال :

إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين ، فما لم يقع له ابتياع منها يعود ثمنه على كافَّتهم وفي مصلحتهم ، فلا سبيل لأحد عليه .

فقال القوم : هذا النهر لنا بحكم رسول الله ﷺ ؛ لأنَّه قال : « مَنْ أحيا أرضاً ميتة فهي له » وهذه مَوات .

فوثب المهدي عند ذكر رسول الله ﷺ حتى ألصق خدَّه بالتراب وقال : سمعتُ لما قال وأطعتُ .

ثم عاد ، وقال : بقي أن تكون هذه الأرض مَواتاً حتى لا أعرض فيها ، وكيف تكون مواتاً والماء محيط بها من جوانبها ؟ فإن أقاموا البيِّنة على هذا سلمت » .

٤٥٠ـ شغلت اليوم قلبي :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٤١٢) برقم : (٩٨٤) ما نصه :

« . . . نا أحمد بن محمد بن الفضل أبو العباس المؤذِّن جارنا قال :

سمعتُ هارون بن عبد الله الحمَّال يقول :

جاءني أحمد بن حنبل بالليل ، فدقَّ عليَّ البابَ ، فقلت : من هذا ؟

فقال : أنا أحمد ، فبادرتُ أن خرجتُ إليه ، فمسَّاني ومسَّيته .

قلتُ : حاجة يا أبا عبد الله ؟

قال : نعم ، شغلتَ اليوم قلبي .

قلت : بماذا يا أبا عبد الله ؟

قال : جزتُ عليكَ اليوم وأنتَ قاعد تحدِّث الناس في الفيء ، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر ، لا تفعل مرة أخرى ، إذا قعدت فاقعد مع الناس » .

٤٥١ـ الله بيني وبينك :

جاء في كتاب « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي رحمه الله (٧/ ٢٦٤) في ترجمة الإمام الفقيه الربَّاني أمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن إبراهيم الفرَّاء ، قال :

كتب سفيان إلى المهدي مع عصام جبر :

طرَدْتَني ، وشرَّدْتَني ، وخَوَّفْتَني ، واللهُ بيني وبينكَ ، وأرجو أن يخير الله لي قبل مرجوع الكتاب . فرجعَ الكتابُ وقد مات » .

٤٥٢ـ لم يدفع إلى المعتضد شيئاً :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٦/ ٥٣) ما نصه :

« عن أبي الحسين عبد الواحد بن محمد الخصيبي ، قال : قال لي ابن حبيب الذرَّاع :

كنَّا ونحن أحداث مع أبي حازم ، وكنَّا نقعده قاضياً ، ونتقدَّم إليه في الخصومات .

قال : فما مضت الأيام والليالي ، حتى صار قاضياً .

قال أبو الحسين : وبلغ من شدَّته في الحكم ، أن المعتضد وجَّه إليه بطريف المخلدي ، فقال له : إنَّ لي على الضبعي ـ بيع كان للمعتضد

ولغيره ـ مالاً ، وقد بلغني أن غرماءَهُ أثبتوا عندك ، وقد قسّطتَ لهم في ماله ، فاجعلنا كأحدهم .

فقال له أبو حازم : قل له : أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ ذاكر لما قال لي وقت ما قلّدني ، أنه قد أخرج الأمر من عُنقه ، وجعله في عُنقي ، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمُدَّعٍ إلاَّ ببيِّنة .

فرجع إليه طريف ، فأخبره .

فقال : قل له فلان وفلان يشهدان ، يعني رجلين جليلين كانا في ذلك .

فقال : يشهدان عندي ، وأسأل عنهما ، فإن زُكِّيا قبلتُ شهادتهما ، وإلاَّ أمضيتُ ما ثبتَ عندي .

فامتنع أولئكَ من الشهادة فزعاً ، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً » .

٤٥٣ـ حفظ القرآن في ستة أشهر :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ١٦٨) ما نصه :

« حدَّثني أبو عبد الله بن هارون التستري المقرىء رحمه الله ، وكان أقام بمسجدنا بالبصرة ، قال :

اقمتُ أحفظُ القرآن سنين كثيرة ، كلَّما بلغتُ إلى موضع ، أُنسيتُ الذي قبله ، حتى كأنِّي ما سمعتُه قطُّ ، فشقَّ ذلك عليَّ .

فحججتُ ، وتعلَّقتُ بأستار الكعبة ، ودعوتُ الله تعالى ، وسألتُه أن يُعينَني على حفظه .

ورجعتُ إلى البصرة ، فلزمتُ التَّلقين ، فحفظتُ القرآن في ستة أشهر على حرف أبي عمرو ، ثم تعاطيت السبعة .

فما حال الحولُ عليَّ ، إلاَّ وقد أحكمتُ أكثرها » .

٤٥٤ـ أخلاق الرجال العظماء :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٤/٣٨) و « تاريخ دمشق » لأبي زرعة الدمشقي رحمه الله تعالى (ص ١٩٣) ما نصه :

« عن أبي وهب محمد بن مزاحم قال :

جاء رجل إلى الشعبيِّ ، فشتمه في ملأٍ من الناس ، فقال الشعبيُّ :

إن كنتَ كاذباً فغفرَ الله لك ، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي » .

٤٥٥ـ من السَّيِّدُ ؟ :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٤١) ما نصه :

« قيل للأحنف بن قيس : من السَّيِّدُ ؟

قال : الذَّليلُ في عِرْضِهِ ، الأحمقُ في ماله ، المُطَّرِحُ لحِقْدِهِ ، المُعينُ لعشيرته » .

٤٥٦ـ لا يُصلِّي بكم غيره :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٢/ ٢٣٤) ما نصه :

« قال الحسن ـ رحمه الله ـ :

كان يحيى بن اليمان يُصلِّي بقومه ، فتعصَّب عليه قوم منهم ، فقالوا :

لا تُصلِّ بنا ، لا نرضاك ، إن تقدَّمتَ نحَّيناك .

فجاء بالسيف ، فسلَّ منه أربع أصابع ثم وضعه في المحراب ، وقال :

لا يدنو منِّي أحدٌ إلاَّ ملأتُ السيف منه .

فقالوا : بيننا وبينكَ شُريك .

فقدَّموه إلى شريك ، فقالوا :

إنَّ هذا كان يُصلِّي بنا وكرهناه . فقال لهم شريك : من هو ؟

قالوا : يحيى بن اليمان .

فقال : يا أعداء الله ، وهل بالكوفة أحدٌ يُشبه يحيى ؟ لا يُصلِّي بكم غيره .

فلمَّا حضرته الوفاة ، قال لابنه داود :

يا بُنيَّ ، كاد ديني يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطروا إليك بعدي فلا تُصلِّ بهم » .

٤٥٧ـ ما تدع النصيحة على حال :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٥/ ١٢) ما نصه :

« استأذن زياد معاوية في الحج فأذن له ، وبلغ ذلك أبا بكرة رضي الله عنه فأقبل حتى دخل على زياد ، وقد أجلس له بنيه ، فسلَّم عليهم ولم يُسلِّم على زياد ، ثم قال :

يا بني أخي ، إنَّ أباكم ركب أمراً عظيماً في الإسلام بادِّعائه إلى أبي سفيان ، فوالله ما علمتُ سمية بغت قطّ ، وقد استأذن أمير المؤمنين في الحج ، وهو مارٌّ بالمدينة لا محالة ، وبها أُمُّ حبيبة بنت أبي سفيان ، زوج النَّبي ﷺ ، ولابدَّ له من الاستئذان عليها .

فإن أذنت له فقعد منها مقعد الأخ من أخته ، فقد انتهكَ من رسول الله ﷺ حرمةً عظيمة ، وإن لم تأذن له فهو عار الأبد .

ثم خرج ، فقال زياد :

جزاكَ الله خيراً من أخ ، **فما تدع النصيحة على حال** .

وكتب إلى معاوية ليستقيله فأقاله » .

٤٥٨ـ قد أمرنا بحمل الديَّة إليك :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٦/ ٥٤) ما نصه :

« عن أبي طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر القاضي قال :

بلغني أن أبا حازم القاضي جلس في الشرقية ، وهو قاضيها للحكم ، فارتفع إليه خصمان ، فاجترأ أحدهما بحضرته إلى ما يوجب التأديب ، فأُدِّب ، فمات في الحال .

فكتب إليه المعتضد من المجلس :

أُعلم أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، أن خصمين حضراني ، فاجترأ أحدهما إلى ما وجب عليه معه الأدب عندي ، فأمرتُ بتأديبه فمات .

فإذا كان المراد بتأديبه مصلحة المسلمين ، فمات في الأدب ، فديته واجبة في بيت مال المسلمين .

فإن رأى أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، أن يأمر بحمل الديَّة ، لأحملها إلى ورثته ، فعل .

فعاد الجواب إليه بأنَّا قد أمرنا بحمل الديَّة إليك ، وحمل إليه عشرة آلاف درهم .

فأُحضر ورثة المتوفى ، ودفعها إليهم » .

٤٥٩ـ هذا النصف درهم أحبُّ إليَّ منها :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٣٦١) برقم : (٨٣٤) ما نصه :

« . . . أنا ابن وهب قال : سمعتُ مالكاً يُحدِّث :

أن عاملاً من العمّال بعث إلى سعيد بن المسيّب بخمسة آلاف درهم ، فقال له الرسول : بعث بهذا إليك ـ أصلحك الله ـ لتنفقها وتجعلها في حاجتك .

قال : وسعيد جادٌّ مُجِدٌّ يُحاسبُ غلامه في نصف درهم يَدَّعيه قِبَلَهُ .

والغلام يقول : ليس لك عندي شيء .

قال سعيد للرسول : اذهب إلى عملك .

ثم عرضها عليه الرسول أيضاً ، فقال : اغرُبْ عنِّي ، وأبى أن يأخذها منه .

وكلَّمه إنسان في تَركِهِ أن يأخذها .

فقال له ابن المسيّب : هذا النصف درهم أحبُّ إليَّ منها » .

٤٦٠ـ لم يأخذ فرسك الخليفة :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٤٥٠) في ترجمة الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله رحمه الله ، ما نصه :

« كان صدرجهان قد صار إلى بغداد ، ومعه جماعة من الفقهاء ، وواحد منهم لمّا خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة ، فقال له أهله :

لو تركتَها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد .

فقال : الخليفة لا يقدر أن يأخذها منِّي .

فأمر بعض القوادين أنه حين يدخل بغداد يضربه ، ويأخذها منه ، ويهرب في الزَّحمة ، ففعل ، فجاء الفقيه يستغيث فلا يُغاث .

فلمّا رجعوا من الحج خلع على صدر جهان وأصحابه ، وخلع على ذلك الفقيه ، وقُدِّمت له فرسه ، وعليها سرج من ذهب وطوق ، وقيل له :

لم يأخذ فرسك الخليفة ، إنَّما أخذها أتوني بها .

فخرَّ مغشيًا عليه » .

٤٦١ـ بِمَ تدخل الجنة ؟ :

جاء في كتاب « السنن الكبرى » للإمام البيهقي رحمه الله تعالى (٩/ ٢٠) وكتاب « المستدرك » للحاكم رحمه الله تعالى (٢/ ٨٠) وصحَّحه ووافقه الذهبي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن بشير بن الخصاصية ـ رضي الله عنه ـ قال :

أتيتُ رسول الله ﷺ لأُبايعه على الإسلام ، فاشترطَ عليَّ تشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله ، وتُصلِّي الخمس ، وتصوم رمضان ، وتؤدِّي الزكاة ، وتحجَّ البيت ، وتجاهد في سبيل الله .

قلت : يارسول الله! أمَّا اثنتان فلا أُطيقهما ، أمّا الزكاة فما لي إلاَّ عشر ذود هنَّ رسل أهلي ، وحمولتهم ، وأمّا الجهاد فيزعمون أن من ولَّى فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرني قتال ، كرهتُ الموت ، وخشعت نفسي .

قال : فقبض رسول الله ﷺ يده ، ثم حرَّكها ثم قال :

لا صدقة ، ولا جهاد ، فبم تدخل الجنة ؟

قال : ثم قلت : يارسول الله! أُبايعك .

فبايعني عليهنَّ كلّهن » .

٤٦٢ـ انفروا خفافاً وثقالاً :

جاء في كتاب « الجهاد » لابن المبارك رحمه الله تعالى (١/ ١١٦) و « المستدرك » للحاكم رحمه الله (٢/ ١٠٤) وصحَّحه ووافقه الذهبي ، وكتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » للحافظ ابن حجر رحمه الله (١/ ٥٦٧) وقال : أخرجه الفسدي في تاريخه ، وأبو يعلى ، وإسناده صحيح ، ما نصه :

« عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ هذه الآية : ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة : ٤١] قال :

أمرنا الله واستنفرنا شيوخاً وشباباً ، جهِّزوني .

فقال بنوه : يرحمُكَ الله ، قد غزوتَ على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فنحنُ نغزو عنك ، فغزا البحر فمات .

فطلبوا جزيرة يدفنونَهُ ، فلم يقدروا عليها ، إلاَّ بعد سبعة أيام ، وما تغيَّر » .

٤٦٣ـ استطعموا الله يُطعمكم :

جاء في كتاب « مجابي الدعوة » لابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى (ص ٧١ـ٧٢) وكتاب « مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق » لابن النحّاس رحمه الله تعالى (١/ ١٨٨) برقم : (١٦٤) ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال :

خرج قوم غزاة ومعهم محمد بن المنكدر ، وكانت صائفة ، فبينما هم يسيرون في الساقة ، قال رجل من القوم :

أشتهي جبناً .

فقال محمد بن المنكدر : استطعموا الله يُطعمكم فإنه القادر .

فدعا القوم ، فلم يسيروا إلاَّ قليلاً ، حتى وجدوا مكتلاً مخيطاً ، كأنَّما أتى به من السيالة أو الرّوحاء ، فإذا هو جبن رطب .

فقال بعض القوم : لو كان عسلاً ؟

فقال محمد : إن الذي أطعمكم جبناً ههنا قادر على أن يُطعمكم عسلاً ، فاستطعموه .

فدعا القوم فساروا قليلاً فوجدوا قاقزة عسل على الطريق ، فنزلوا فأكلوا الجبن والعسل ، وركبوا » .

٤٦٤ـ اتَّقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٦/ ٣٧٦ـ٣٧٧) ما نصه :

« عن حفص بن عمرو ابن أخي سفيان الثوري قال :

كتب سفيان إلى عباد بن عباد :

أمّا بعد ، فإنَّكَ في زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوَّذون أن يُدرِكوه ، ولهم من العلم ما ليس لنا ، ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلَّة علم وقلَّة صبر ، وقلَّة أعوان على الخير ، وفساد من الناس ، وكدر من الدنيا .

فعليكَ بالأمر الأول والتمسُّكَ به ، وعليكَ بالخمول ، فإنَّ هذا زمن خمول ، وعليك بالعزلة وقلَّة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض ، فأمّا اليوم فقد ذهب ذاك ، والنَّجاة في تركهم فيما نرى .

وإيَّاكَ والأُمراء أن تدنو منهم وتُخالطهم في شيء من الأشياء ، وإيَّاكَ أن تُخدع فيُقال لك : تشفع وتدرأ عن مظلوم ، أو تردّ مظلمة ، فإن ذلك خديعة إبليس ، وإنَّما اتَّخذها فُجّار القُرَّاء سُلَّماً ، وكان يقال : اتَّقوا العابد الجاهل ، والعالم الفاجر ، فإنَّ فتنتهما فتنة لكل مفتون .

وما لقيتَ من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ، ولا تُنافسهم فيه ، وإيَّاكَ أن تكون كمن يحبُّ أن يُعمل بقوله ، أو يُنشرَ قوله ، أو يُسمعَ من قوله ، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه .

وإيَّاكَ وحُبَّ الرِّياسة ، فإنَّ الرجل تكون الرِّياسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة ، وهو باب غامض لا يُبصره إلاَّ البصير من العلماء السماسرة ، فتفقَّد نفسك ، واعمل بنيَّة ، واعلم أنَّه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت ، والسَّلام » .

٤٦٥ـ لولا أن تكون غيبة لأخبرتك بالذي قال :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٤/ ١٩٧) في ترجمة عُبادة بن نُسَيّ الكِنْدي ، أبي عمر الشامي الأردني قاضي طبرية رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن رجاء بن أبي سلمة :

كان بين عُبادة بن نُسَيّ ، وبين رجل خصومةٌ ، فأسمعه الرجل ما يكرهُه ، فلَقِيَهُ رجاء بن حيوة ، فقال :

بلغني أنه كان منه إليك .

قال عُبادة : لولا أن تكون غيبةً لأخبرتُكَ بالذي قال لي » .

٤٦٦ـ عاقبة مخالفة الحق :

جاء في « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٥/ ٢١٣) ما نصه :

« . . . عن بحير بن سعد : سمعتُ خالد بن مَعْدان يقول :

مَنِ التمسَ المحامد في مخالفة الحقِّ ، رَدَّ اللهُ تلك المحامدَ عليه ذَمًّا ، ومَنِ اجترأَ على الملاوم في مُوافقة الحقِّ رَدَّ اللهُ تلك الملاومَ عليه حَمداً » .

٤٦٧ـ لا تباعد قلبي من قلبك :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٤٤) ما نصه :

« عن العُتبي قال : قال عثمانُ بنُ عُتبَة بن أبي سفيان :

أرسلَني أبي إلى عمِّي أخطُبُ إليه ابنتَهُ ، فأقعدني إلى جانبه ، ثم قال :

مَرْحباً بابنٍ لم ألِدْهُ ، أقربُ قريبٍ ، خطبَ إليَّ أحبَّ حبيبٍ ، لا أستطيعُ له رَدًّا ، ولا أجدُ من تشفيعه بُدًّا ، وقد زوَّجْتُكما ، وأنتَ أكرمُ عليَّ منها ، وهي ألْوَطُ بقلبي منكَ ، فأكرِمْها يَعْذُبْ على لساني ذِكرُكَ ، ولا تَمْتَهِنْها فيَضعَ عندي قَدْرَكَ ، وقد قَرَّبْتُكَ مع قُرْبِكَ ، فلا تُباعِدْ قَلبي من قَلْبِكَ » .

٤٦٨ـ الحقُّ معك :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله : (١/ ٢٤٩) في ترجمة القاضي الفقيه إياس بن معاوية ابن قرة المزني رحمه الله تعالى ما نصه :

« عن إياس أنه قال :

ما غلبني أحد قط ، سوى رجلٍ واحد ، وذلك أَني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليَّ رجل شهد عندي أن البستان الفلانيُّ ـ وذكر حدوده ـ هو مِلكٌ فلان ، فقلت له : كم عدد شجرة ؟

فسكت . ثمَّ قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟

فقلت : منذ كذا ؟

فقال : كم عدد خشب سقفه ؟

فقلت له : الحقُّ معك ، وأجزت شهادته » .

٤٦٩ـ سبقني بالإسلام فهو خير مني :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله (١/ ٢٦٧) ما نصه :

« قال بكر بن عبد الله :

إذا رأيت أكبر منك ، فقل :

سبقني بالإسلام والعمل الصالح ، فهو خير مني .

وإذا رأيت أصغر منك ، فقل :

سبقته بالذنوب والمعاصي ، فهو خير مني وإذا رأيت إخوانك يُكرمونك ؛ فقل : نعمة أحدثوها .

وإذا رأيت منهم تقصيراً ، فقل : بذنب أحدثته » .

٤٧٠ـ ولَيْتُكَ ما خلف بابي إلاَّ أربعة :

جاء في كتاب « الأوائل » لأبي هلال العسكري رحمه الله تعالى (ص ٢٣٧) ما نصه :

« أول من وضع البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، وأحكم أمره عبد الملك .

قال لابن الزعيزعة :

ولَيْتُكَ ما خلف بابي إلاَّ أربعة :

المؤذِّن فإنَّه داعٍ إلى الله فلا حجابَ عليه .

وطارقُ اللَّيل فإنَّه لو وجد خيراً لنام .

والبريد متى جاء من ليل أو نهار ، فلا يُحجَب ، وربَّما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة .

والطَّعام إذا أدرك فافتح الباب ، وارفع الحجاب ، وخلِّ بين الناس وبين الدُّخول » .

٤٧١ـ والله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذُله عند الهرم :

جاء في كتاب « الخراج » لقاضي القضاة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة النعمان رحمه الله (ص ٧٠) ما نصه :

« أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بشيخٍ كبيرٍ ضرير البصر ، وهو واقفٌ على باب قوم يسأل ، فضرب عمر عضُدَه من خلفه وقال :

من أيِّ أهل الكتاب أنت ؟

قال : يهودي .

قال : فما ألجأكَ إلى ما أرى ؟

قال : أسأل الجزية ، والحاجة ، والسن .

فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشيء من المنزل ـ أي

أعطاه شيئاً قليلاً - ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال :

انظر هذا وضرباءه ، والله ما أنصفناه ، إن أكلنا شبيبته ، ثم نخذُله عند الهرم ، إنَّما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين أهل الكتاب ، وضع الجزية عنه وعن ضربائه - أي أشباهه - » .

٤٧٢- إذا أنا مِتُّ وهي عندي أيُّ منزلة تكون لي ؟ :

جاء في كتاب « ترتيب المدارك » للقاضي عياض رحمه الله تعالى (٤/ ٤٦٩) في ترجمة الإمام الفقيه محمد بن عبد الله بن صالح أبي بكر الأبهري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« كان يوماً جالساً إذ جاءه القاضي أبو إسحاق المروزي ، فلمّا دخل عليه تبسَّم في وجهه ، ثم قال :

يا بغيض ، ما أكثر انقباضكَ عن أصدقائكَ وإخوانكَ ، ما تزورُ أحداً منهم ، ولا تعرفُ أخبارهم ، قد مات صديقكَ فلان المالكي ، وأوصى لك بثلاثمئة دينار ، وأسند النَّظر في وصيته إليَّ ، وهذه قد حضرت ، وأتيتُكَ فاقبلها واصرفها في مصالحك .

فجزاه الأبهري خيراً ، وقال له : أنا في غنى عنها الآن ، ورغب إليه في تصريفها ممّا يستحفظها ليقع أجر موصيها على الله .

فقال له القاضي : ما أكثر تجمُّلكَ ، وأنَّى بك عن هذا .

فقال له : إخواني كثيراً ما يعتقدوني ، وعرض عليه ثلاثة أكياس في أحدها قطع ، وفي الآخر دراهم صحاح ، وفي الثالث رباعيات ، ومثاقيل ذهب وأراه ما فيها ، وقال :

أنا أُبيِّن لك أنّي لم أقل هذا مُجملاً ، وإذا أنا مِتُّ ووجد هذا عندي ، فأيُّ منزلةٍ تكون لي ؟

ورغب إلى القاضي في تفريقها على أهل الحاجة ، فبكى القاضي وقال : جزاكَ الله عن نفسكَ خيراً » .

٤٧٣ـ إنَّ السفينة لا تجري على اليبس :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (١٠/ ٢١٧ـ٢١٨) ما نصه :

« قال الفضيل :

استدعاني الرَّشيد يوماً وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ، ثم استدعى أبو العتاهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم :

فقال :

عش ما بدا لك سالماً ... في ظلِّ شاهقة القصور

تسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرَّواح إلى البكور

فإذا النُّفوس تقعقعت ... عن ضيق حشرجة الصُّدور

فهناك تعلمُ موقناً ... ما كنتَ إلاَّ في غرور

قال : فبكى الرشيد بكاءً كثيراً شديداً ، فقال له الفضل بن يحيى :

دعاكَ أمير المؤمنين تسرّه فأحزنته ؟

فقال له الرشيد : دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى .

وفي مرَّة أخرى قال له الرشيد : عِظني بأبيات من الشعر وأوجز . فقال أبو العتاهية :

لا تأمَن الموتَ في طَرفٍ ولا نَفَسٍ ... ولو تمتَّعتَ بالحُجَّابِ والحرسِ

واعلَمْ بأنَّ سهامَ الموتِ صائبةٌ ... لكلِّ مدرعٍ منها ومُتَّرسِ

ترجو النجاة ولم تسلُكْ مسالكها ... إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

٤٧٤ـ أعمى الله عزَّ وجلَّ أبصارهم فلم يروني :

جاء في كتاب « الجامع لأحكام القرآن » للإمام القرطبي رحمه الله تعالى (١٠/ ٢٧٠) فيما يحكيه عن نفسه ، ما نصه :

« لقد اتَّفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا ،

وذلك أنِّي هربتُ أمام العدو ، وانحزتُ إلى ناحيةٍ عنه ، فلم يلبث أن خرجَ في طلبي فارسان ، وأنا في فضاءٍ من الأرض ، قاعدٌ ليس يسترني عنها شيء ، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن ، فعبرا عليَّ ، ثم رجعا من حيث جاءا ، وأحدُهما يقول للآخر :

هذا ديْبَلَة - يعني شيطاناً - وأعمى الله عزَّ وجلَّ أبصارهم ، فلم يروني ، والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك » .

٤٧٥ـ هذا كان من جوري :

جاء في كتاب « المبسوط » للإمام شمس الأئمَّة السرخسي رحمه الله تعالى (١٦/ ٦١) وهو يحكي عن قاضي القضاة نابغة الفقه الإسلامي الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال محمد بن الحسن رحمه الله :

اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنِّي ما تركتُ العدل بين الخصمين إلاَّ في حادثة واحدة فاغفرها لي .

قيل : وما تلك الحادثة ؟

قال : ادَّعى نصراني على أمير المؤمنين دعوى ، فلم يمكني أن آمر الخليفة بالقيام من مجلسه ، والمحاباة مع خصمه ، ولكني رفعتُ النصراني إلى جانب البساط بقدر ما أمكنني ، ثم سمعت الخصومة قبل أن أُسوي بينهما في المجلس ، فهذا كان جوري » .

٤٧٦ـ نحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٨/ ٢٢٨) ما نصه :

« أن يزيد بن معاوية فعل فعلاً أغضب والده ، فهجره ، وكان الأحنف بن قيس حاضراً ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إنَّما هم أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم سماءٌ ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فارضهم ، وإن طلبوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملُّوا حياتك ، ويتمنوا موتكَ .

فقال معاوية : لله درُّكَ يا أبا بحر! يا غلام ، ائت يزيد ، فأقرئه منِّي السلام ، وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

فقال يزيد : مَنْ عند أمير المؤمنين ؟

فقال الغلام : الأحنف بن قيس .

فقال يزيد : لا جرم ، لأُقاسِمَنَّه ، فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً » .

٤٧٧ـ أنتم بأس الله الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين :

جاء في كتاب « رياض النفوس » (١/ ٢٤) ما نصه :

« قال المالكي : إن عقبة بعد ما نزل تاهرت ، استغاث الروم بالبربر فأجابوهم ونصروهم .

فقام عقبة في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيها الناس ، إن أشرافكم وخياركم الذين رضي الله عنهم ، وأنزل فيهم كتابه ، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، على من كفر بالله إلى يوم القيامة ، وهم أشرافكم ، والسابقون منكم إلى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة .

وأنتم اليوم في دار غربة ، وإنَّما بايعتم ربَّ العالمين ، وقد نظر إليكم في مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد إلاَّ طلباً لرضاه ، وإعزازاً لدينه ، فأبشروا ، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذلّ إن شاء الله تعالى ، وربُّكم ـ عزَّ وجلَّ ـ يسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ جعلكم بأسه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوَّكم على بركة الله وعونه » .

٤٧٨ـ أعفني من أربع وقل بعدها ما شئت :

جاء في « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٢١٩) في ترجمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمهم الله تعالى ، مانصه :

« قال ابن عائشة : كان عبد الملك إذا دخل عليه رجل من أفق من الآفاق قال له :

أعفني من أربع ، وقل بعدها ما شئت :

لا تكذبني فإن الكذوب لا رأي له .

ولا تُجبني فيما لا أسألك ، فإن فيما أسألك عنه شغلاً .

ولا تُطرِني فإنِّي أعلم بنفسي منك .

ولا تحملني على الرعيَّة ، فإنِّي إلى الرفق بهم أحوج » .

٤٧٩ـ أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون :

جاء في « تاريخ الأمم والملوك » للإمام الطبري رحمه الله تعالى (٦/ ٥٠٢ـ٥٠٣) ما نصه :

« كان بينه ـ يعني قتيبة بن مسلم ـ وبين ملك الصين مراسلات ، أرسل إليه قتيبة وفداً عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي .

فلمّا تكلَّم معهم ملك الصين ، قال لهم :

قولوا لقتيبة يرجع فإنِّي قد عرفت حرصه ، وقلَّة أتباعه ، وإلا بعثت إليكم من يهلكه ويهلككم .

فقال هبيرة : **كيف يكون قليل الأتباع من أوَّل خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلَّف الدنيا وراءه قادراً عليها وغزاك ؟**

وأمّا تخويفك إيّانا بالقتل ، فإنَّ لنا آجالنا إذا حضرت فأكرمها الموت ، فلسنا نكرهه ولا نخافه .

قال : فماذا الذي يرضي صاحبكم ؟

قال : إنه قد حلف ألاَّ ينصرف حتى يطأ أرضكم ، ويختم ملوككم ، ويُعطى الجزية .

قال : فإنَّا نخرجُه من يمينه ، نبعثُ إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ، ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه بجزية يرضاها .

ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحرير وذهب ، وأربعة غلمان من ملوكهم ، ثم أجاز الوفد ، فساروا حتى بلغوا قتيبة ، فقبل الجزية ، وختم الغلمة وردَّهم ، ووطىء التراب » .

٤٨٠ـ لا يغرنَّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة :

جاء في « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٢٣) ما نصه :

« قال الشعبي ـ رحمه الله ـ :

سمعتُ الحجَّاج تكلَّم بكلام ما سبقه أحد ، يقول :

أمّا بعد : فإنَّ الله كتبَ على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، **فلا يغرنَّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة** .

وكان الحسن البصري يقول : وقذتني كلمة سمعتُها من الحجَّاج ، سمعتُه يقول على هذه الأعواد :

إن امرءاً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له ، لحريٌّ أن تطول عليها حسرتُه إلى يوم القيامة » .

٤٨١ـ إنِّي أخاف عليك ألاَّ تخاف :

جاء في « مروج الذهب » للمسعودي رحمه الله تعالى (٣/ ١٩٣ـ١٩٤) ما نصه :

« لمّا استخلف ـ يعني عمر بن عبد العزيز ـ دخل عليه السدّي ـ وكان من خاصَّته ـ فقال له عمر :

أسرَّكَ ما وليتَ أم ساءكَ ؟

فقال السدّي : سرَّني للناس ، وساءني لنفسك .

فقال عمر : إنِّي أخافُ أن أكون قد أوبقت نفسي .

قال : ما أحسن حالك إن كنتَ تخاف ، **إنِّي أخافُ عليك ألاَّ تخاف** .

قال : عِظني . قال : أبونا آدم خرج من الجنة بخطيئة واحدة .

وكتب طاوس إلى عمر : إن أردتَ أن يكون عملك خيراً كله ، فاستعمل أهل الخير .

فقال عمر : كفى بها موعظة » .

٤٨٢ـ أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ :

جاء في « تاريخ الأمم والملوك » للإمام الطبري رحمه الله تعالى (٦/ ٥٣٩) ما نصه :

« أصاب يزيد بن المهلَّب تاجاً بجرجان فيه جوهر ، فقال :

أترون أحداً يزهدُ في هذا التاج ؟ قالوا : لا .

فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال :

خذ هذا التاج فهو لك . قال : لا حاجة لي فيه .

قال : عزمتُ عليك . فأخذه وخرج .

وأمر يزيد رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذه الرجل السائل ، فأتى به يزيد ، وأخبره الخبر ، فأخذ يزيد التاج ، وعوَّض السائل مالاً كثيراً » .

٤٨٣ـ غير أَنَّكَ فان :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي رحمه الله (٣/ ١٨٦) ما نصه :

« لبس سليمان يوم الجمعة في ولايته لباساً شهر به ، وتعطَّر ، ودعا بتخت فيه عمائم ، وبيده مرآة ، فلم يزل يعتمّ بواحدة بعد أخرى حتى رضي منها بواحدة ، فأرخى من سدولها ، وأخذ بيده مخصرة ، وعلا المنبر ناظراً في عطفيه ، وجمع جمعه ، وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال :

أنا الملك الشاب ، السيد المهاب ، الكريم الوهّاب .

فتمثَّلت له جارية من جواريه ، وكان يتخطاها ، فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟

قالت : أراهُ منى النَّفس ، وقُرَّة العين ، لولا ما قال الشاعر .

قال : وما قال الشاعر ؟ قالت : قال :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير ألاَّ بقاء للإنسانِ
أنت من لا يريبنا منك شيء ... علم الله غير أَنَّكَ فانِ

فدمعت عيناه ، وخرج على الناس باكياً ، فلمّا فرغ من خطبته وصلاته دعا الجارية فقال لها :

ما دعاكِ إلى ما قلتِ لأمير المؤمنين ؟

قالت : والله ما رأيتُ أمير المؤمنين اليوم ، ولا دخلتُ عليه ، فأكبره ذلك ، ودعا بقيِّمة جاريته فصدَّقتها في قولها ، فراع ذلك سليمان ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلاَّ مُدَيْدَة حتى توفي » .

٤٨٤ـ كونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٢٢٠) في ترجمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان رحمهم الله تعالى ، ما نصه :

« قال المدائني :

لمّا أيقن عبد الملك الموت قال :

والله لوددتُ أنّي كنتُ منذ ولدتُ إلى يومي هذا حمّالاً ، ثم أوصى بنيه بتقوى الله ، ونهاهم عن التفرّقِ والاختلاف ، وقال :

كونوا بني أم بررة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، فإنّ الحرب لم تُدْنِ منيّةً قبل وقتها ، وإن المعروف يبقى أجره وذكره ، واحلوا في مرارة ، ولينوا في شدّة ، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني :

إن القداح إذا اجتمعنَ فرامها ... بالكسر ذا حنقٍ وكسر باليدِ

عزَّتْ فلم تُكسَرْ وإن هيَ بُدّدَتْ ... فالكسرُ والتوهينُ للمُتبدّدِ »

٤٨٥ـ الناس على دين ملوكهم :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/ ١٦٤ـ١٦٥) ما نصه :

« كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذومين ، وقال لهم :

لا تسألوا الناس ، وأعطى كلّ مُقعدٍ خادماً ، وكلّ ضريرٍ قائداً .

وكان يمرّ بالبقّال ، فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبيع هذه ؟

فيقول : بفلس .

فيقول : زِدْ فيها فإنّكَ تربح .

وكان يبرّ حملة القرآن ، ويُكرمهم ، ويقضي عنهم ديونهم .

وكانت همّة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ وماذا عمرت ؟

وكانت همّة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل

الرجل فيقول : كم تزوَّجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟

وكانت همَّة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وِرْدك ؟ وماذا قرأت من القرآن في كل يوم ؟ ماذا صلَّيتَ البارحة ؟ » .

٤٨٦ـ أسرعوا إليَّ ، أسرعوا إليَّ :

جاء في كتاب « قلائد الجوهر » لمحمد بن يحيى التادفي رحمه الله تعالى (ص ٣٢) ما نصه :

« قال الشيخ عبد الله محمد بن أبي الغنائم الحسيني :

اجتمع يوماً ـ يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ في شهر الله المحرَّم سنة تسع وخمسين وخمسمائة في رباط الشيخ من الرواق بالحلبة ، من الزوَّار له نحو ثلاثمائة رجل ، فخرج رضي الله عنه من داخل الدار عجلاً وصاح بالناس :

أسرعوا إليَّ ، أسرعوا إليَّ ، أسرعوا إليَّ ، فأسرعوا إليه حتى لم يبق في الرواق أحد ، فسقط السقف وسلم الناس » .

٤٨٧ـ ما هو من زاد القبر :

جاء في كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى (ص ١٣٤) ما نصه :

« قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : حدَّثني الشيخ عز الدين بن إبراهيم الفاروقي أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي قال :

كنتُ قد عزمتُ على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام ، وأنا مُتردِّدٌ هل أقرأ « الإرشاد » لإمام الحرمين أو « نهاية الإقدام » للشهرستاني أو كتاباً آخر ، فذهبت مع خالي أبي النجيب ـ الشيخ عبد القادر السهروردي ـ إلى الشيخ عبد القادر ، وكان خالي يُصلِّي بجنب الشيخ ، فالتفت الشيخ عبد القادر وقال لي :

يا عمر ، ما هو من زاد القبر ، ما هو من زاد القبر .

فرجعتُ عن التفكير في علم الكلام ، قال ابن تيمية : ورأيتُ هذه الحكاية معلَّقة بخطِّ الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله ، وذكر نحوه ابن النجار في تاريخه » .

٤٨٨ـ أصول الورع عشرة :

جاء في كتاب « الغنية لطالبي طريق الحق » للشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى (٢/ ١٣٤) ما نصه :

« قال الشيخ رحمه الله تعالى :

ولا يتمُّ الورع إلاَّ أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه :

أوّلها : حفظ اللسان من الغيبة .

والثاني : الاجتناب عن سوء الظن .

والثالث : الاجتناب عن السخرية من الناس .

والرابع : غضُّ البصر عن المحارم .

والخامس : صدق اللسان .

والسادس : أن يعرف منَّة الله تعالى عليه لكيلا يعجب بنفسه .

والسابع : أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل .

والثامن : أن لا يطلب لنفسه العلوَّ والكِبر .

والتاسع : المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها .

والعاشر : الاستقامة على السنَّة والجماعة » .

٤٨٩ـ يعجز المفتون ويجيب هو :

جاء في كتاب « طبقات الشافعية » للسبكي (٤/ ١٠٤) في ترجمة الإمام الفقيه حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« كان في زي الفقراء ، فاتّفق أن جلس يوماً في صحن الجامع الأموي ، وجماعة من المُفتين يتمشُّون في الصَّحن ، وإذا بقروي أتاهم مُستفتياً ، ولم يردُّوا عليه جواباً ، والغزالي يتأمَّل ، فلما رأى الغزالي أنه لا أحد عنده جوابه ، ويعزُّ عليه عدم إرشاده ، دعاه وأجابه .

فأخذ القروي يهزأ به ، ويقول :

إن كان المفتون ما أجابوني ، وهذا فقيرٌ عاميٌّ يُجيبني!!

وأولئك المُفتون ينظرونه ، فلمّا فرغ من كلامه معه ، دعو القروي وسألوه : ما الذي حدَّثك به هذا العامي ؟

فشرح لهم الحال ، فجاؤوا إليه وتعرَّفوا به ، واحتاطوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً ، فوعدهم إلى ثاني يوم ، وسافر من ليلته » .

٤٩٠ـ لا يرغب بلقاء رجال السلطان :

جاء في « ترتيب المدارك » للقاضي عياض رحمه الله تعالى (٣/ ٢٢٠ـ٢٢١) في ترجمة الإمام الفقيه القاضي عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال أبو بكر بن اللباد :

شاهدتُ ابن مسكين في جنازة بعض نساء الأمير إبراهيم ، جالساً في المقبرة ، إذ جاءه الأمير أبو العباس ، فقام إليه الناس ، وسلّموا عليه ، وعيسى جالس ما حلّ حبوته ، فلمّا نظر إليه قال :

يا قاضي ، السلام عليكم ورحمة الله .

فقال له : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم سار إذ جاءه أبوه إبراهيم ، فوقف إليه الناس ، وعيسى على حاله ما حلّ حبوته ، فلمّا رآه الأمير مال إليه ، فلمّا حاذاه ، قال :

السلام عليك يا قاضي ، فردَّ عليه .

ثم نزل فقدَّم عيسى للصلاة عليها ، وبعث الأمير به إلى تونس ، فرغب بعض أهلها في نزوله عنده ، فأنزله في دار حسنة ، فقصد إلى بيت مُسودٌ من الدخان ، بابه تحت درج ، فنزل فيه ، فسئل عن ذلك ، فقال :

يأتيني رجال السلطان فيُطيلون الجلوس إذا أصابوا مكاناً حسناً ، وهاهنا من أتى منهم ، سلَّم وانصرف ، وعوفيتُ منهم » .

٤٩١ـ أي رجل كان لو لم يُفسدوه ؟ :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٢/ ٤٦٥ـ٤٦٦) في ترجمة الإمام الفقيه القاضي شريك بن عبد الله النخعي أبو عبد الله الكوفي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال يحيى بن اليمان :

لمّا ولي شريك القضاء أُكره على ذلك وأُقعد معه جماعة من الشرطة يحفظونه ، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه ، فبلغ سفيان الثوري أنَّه قعد من نفسه فجاء فتراءى له ، فلمّا رأى الثوري قام إليه فعظَّمه وأكرمَه ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من حاجة ؟

قال : نعم ، مسألة ، قال : أوليس عندك من العلم ما يجزئك ؟

قال : أحببتُ أن أُذكِّركَ بها . قال : قل .

قال : ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتملها ففجر بها ، لمن تحدُّ منهما ؟ فقال : الرجل دونها لأنها مغصوبة .

قال : فإنه لمّا كان من الغد جاءت فتزيَّنت وتبخَّرت وجلست على ذلك الباب ، ففتح الرجل فرآها فاحتملها ففجر بها ، لمن تحدُّ ؟

قال : أحدُّهُما جميعاً لأنها جاءت من نفسها ، وقد علمت الخبر بالأمس .

قال : أنت كان عذرك حين كان الشرط يحفظونك ، اليوم أيُّ عذر لك ؟

قال : يا أبا عبد الله ، أُكلِّمك .

قال : ما كان الله ليراني أُكلمك أو تتوب ؟ قال : ووثب فلم يُكلِّمه حتى مات .

وكان إذا ذكره قال : أيُّ رجلٍ كان لو لم يُفسدوه ؟ » .

٤٩٢ـ خصال الخير :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٢/١٠٩) في ترجمة التابعي الجليل الزاهد الرَّبيع بن خُثَيم بن عائذ الثوري أبو يزيد الكوفي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن ابن سيرين ، عن الربيع بن خُثَيم قال :

أَقِلُّوا الكلام إلاَّ بتسع : تسبيحٌ ، وتكبيرٌ ، وتهليلٌ ، وتحميدٌ ، وسؤالكَ الخير ، وتعوُّذُكَ من الشَّرّ ، وأمركَ بالمعروف ، ونهيُكَ عن المنكر ، وقراءة القرآن » .

٤٩٣ـ لا تُحدِّث به أحداً مادمتُ حيًّا :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٠/ ٢٢٥) في ترجمة العابد الزاهد المحدِّث سُريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي أبو الحارث المروذي الأصل ، ما نصه :

« سمعتُ ابن الجعد يقول : حدَّثني بقالُ سريج بن يونس ، قال :

جاءني سُريج بن يونس ليلاً ـ وقد ولد له مولود ـ فأعطاني ثلاثة دراهم ، فقال لي :

أعطني بدرهم عسلاً ، وبدرهم سمناً ، وبدرهم سويقاً .

ولم يكن عندي ، وكنت قد عزلت الظروف لأبكر فأشتري ، فقلتُ : ما عندي شيء ، قد عزلتُ الظروف لأُبكر أشتري .

فقال لي : انظر قليلاً إيش ما كان ، امسح البراني ، فجئتُ فوجدتُ البراني والجُرب ملأى ، فأعطيته شيئاً كثيراً .

فقال لي : ما هذا ؟ أليس قلت : أن ما عندي شيء ؟

قال : قلت : خذه واسكت ، فقال : ما آخذه أو تصدقني ، فخبرته بالقصة ، فقال لي : لا تُحدِّث به أحداً ما دمتُ حيًّا » .

٤٩٤ـ كل هذا مع الصبيان :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٩/ ٢٢٠) في ترجمة العابد الزَّاهد المُحدِّث سريج بن يونس البغدادي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« حدَّثنا سهل بن علي الدُّوريُّ قال : سمعتُ سُريج بن يونس يقول :

خرجتُ يوم الجُمعة أُريد مسجد الجامع ، فلمّا دخلتُ القَنطرة رأيتُ سمكتين في سَفُود في دُكان شِواء ، فاشتهيتُهما بقلبي للصِّبيان ، ولم أتكلَّم به ، فلمّا قضيتُ الجمعة ورجعتُ رأيتُهما وقد أخرجهما الشوَّاء ، فتمنَّيتُهما بقلبي ، فلمّا دخلتُ البيت ما استقرَّيتُ حيناً ، فإذا داقٌّ يدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟

وخرجتُ ، فإذا رجلٌ معه طبقٌ عليه السمكتان وبقلٌ وخلٌّ ورُطَبٌ كثير .

فقال لي : يا أبا الحارث ، كُلْ هذا مع الصِّبيان ، فأخذتُه منه » .

٤٩٥ـ إنِّي لا أُعذِّبُ إلاَّ ظالماً :

جاء في كتاب « الحسن البصري » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٩٣) ما نصه :

« كان الحسن البصري يقول :

ابن آدم ، إن المؤمن لا يصبح إلاَّ خائفاً وإن كان محسناً ، ولا يصلحُ إلاَّ أن يكون كذلك ، ولا يُمسي إلاَّ خائفاً وإن كان محسناً ، ولا يصلحُ إلاَّ أن يكون كذلك ، لأنه بين مخافتين ، ذنب مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وأجلٌ قد بقي لا يدري ما الله مُبتليه فيه ، فرحم الله عبداً فكَّرَ واعتبر ، واستبصرَ فأبصر ، ونهى النَّفس عن الهوى .

ابن آدم ، إن الله جلّت قُدرتُه أمر بالطاعة وأعانَ عليها ، ولم يجعل عُذراً في تركها ، ونهى عن المعصية وأغنى عنها ، ولم يوسِّع لأحدٍ في ركوبها .

ولقد روى أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة لآدم : يا آدم ، أنت اليوم عدل بيني وبين ذرِّيتك ، فمن رجح خيره على شرِّه مثقال ذرَّةٍ فله الجنة حتى تعلم أنّي لا أعذِّبُ إلاَّ ظالماً » .

٤٩٦ـ ما نفعني هذا مع حوادث الزمان :

جاء في كتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٦/ ٣١٩) ما نصه :

« عن أبي بكر عمر بن عبد الملك السقطي قال : سمعتُ أبا بكر بن يعقوب بن شيبة يحدِّث ، قال :

لمّا ولدتُ ، دخل أبي على أمي ، فقال لها :

إنَّ المُنجِّمين قد أخذوا مولد هذا الصبي ، وحسبوه ، فإذا هو يعيش كذا وكذا ، وقد حسبتها أياماً ، وقد عزمتُ على أن أعُدَّ لكل يوم ديناراً ، مدَّة عمره ، فإن ذلك يكفل الرجل المتوسط ، له ولعياله ، فأعدي له حبًّا[1] فارغاً ، فأعدَّته ، وتركته في الأرض وملأه بالدنانير .

ثم قال : أعدي حبًّا آخر ، أجعل فيه مثل هذا استظهاراً ، ففعلت ، وملأه . ثم استدعى حبًّا آخر ، وملأه بمثل ما ملأ به كل واحد من الحبين ، ودفن الجميع ، فما نفعني ذلك مع حوادث الزمان ، فقد احتجتُ إلى ما ترون .

قال أبو بكر السقطي : ورأيناه فقيراً يجيئنا بلا إزار ، ونقرأ عليه الحديث ، ونبرُّه بالشيء بعد الشيء » .

---

(١) الحب : الخابية من الفخار لادخار الأشياء فيها .

٤٩٧ـ لم يبق في زمانه من يتقدَّمه فيه في الدنيا :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٣/ ٣٨) وكتاب « المنتظم » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٧/ ٣٧) في ترجمة الإمام الحافظ المحدِّث أبي بكر الجعابي محمد بن عمر بن مسلم قاضي الموصل المتوفى سنة (٣٥٥ هـ) ما نصه :

« أنبأنا محمد بن عبد الباقي ، قال : أنبأنا علي بن أبي علي ، عن أبيه قال : ما شاهدنا أحفظ من أبي بكر الجعابي ، وسمعتُ من يقول : إنه يحفظ مائتي ألف حديث ، ويجيب في مثلها[1] إلاَّ أنه كان يفضل الحُفَّاظ ، بأنه كان يسوق المتون بألفاظها ، وأكثر الحُفَّاظ يتسمحون في ذلك ، وكان يزيد عليهم بحفظ المقطوع والمرسل ، والحكايات ، ولعله يحفظ من هذا قريباً مما يحفظ من الحديث المسند .

وكان إماماً في المعرفة بعلل الحديث ، وثقات الرجال ، ومعتلِّهم ، وضعفائهم ، وأساميهم ، وأنسابهم ، وكناهم ، ومواليدهم ، وأوقات وفاتهم ، ومذاهبهم ، وما يطعن به على كل واحد ، وما يوصف به من السداد .

وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه ، حتى لم يبق في زمانه من يتقدَّمه فيه في الدنيا » .

٤٩٨ـ عثر بعتبة الباب فسقط ميتاً :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ٥٥) ما نصه :

« . . . حدَّثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد الإسكافي ، قال : سمعتُ أبا الحسن محمد بن عمر العلوي ، يقول :

---

(١) لم ير في البغداديين أحفظ منه ، وكان يحفظ أربعمائة ألف حديث ، ويُذاكر في ستمائة ألف حديث (المنتظم : ٧/ ٣٧) .

إنّه لمّا بنى داره بالكوفة ، وكان فيها حائط عظيم العلوّ ، فبينا البنّاء قائم على أعلاه لإصلاحه ، سقط إلى الأرض ، فارتفع الضجيج استعظاماً للحال ، لأنَّ العادة لم تجرِ بسلامة من يسقط عن مثل ذلك الحائط ، فقام الرجل سالماً لا قلبة به ، وأراد العود إلى الحائط ليُتمَّ البناء .

فقال له الشريف أبو الحسن : قد شاع سقوطك من أعلى الحائط ، وأهلك لا يُصدِّقون سلامتكَ ، ولستُ أُحبُّ أن يَرِدوا بابي صوارخ ، فامضِ إلى أهلكَ ، ليشاهدوا سلامتكَ ، وعُدْ إلى شغلك .

فمضى مسرعاً فعثر بعتبة الباب ، فسقطَ ميتاً » .

٤٩٩ـ كم تحفظ ؟ :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٥/ ١٧) في ترجمة الإمام الحافظ المحدِّث أبي العباس بن عقدة رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن محمد بن عمر العلوي يقول :

كانت الرئاسة بالكوفة في بني الفدان ، قبلنا ، ثم فشت رئاسة بني عبيد الله ، فعزم أبي على قتالهم ، وجمع الجموع ، فدخل إليه أبو العباس بن عقدة ، وقد جمع جزءاً فيه ستٌّ وثلاثون ورقة ، فيها حديث كثير ، لا أحفظُ قدره ، في صلة الرحم ، عن النَّبي ﷺ ، وعن أهل البيت ، وعن أصحاب الحديث ، فاستعظم أبي ذلك ، واستكثره .

فقال له : يا أبا العباس ، بلغني من حفظكَ للحديث ما استنكرتُه واستكثرتُه فكم تحفظ ؟

فقال له : أنا أحفظ منسقاً من الحديث ، بالأسانيد ، والمتون ، خمسين ومائتي ألف حديث ، وأذاكر بالأسانيد ، وبعض المتون ، والمراسيل ، والمقاطيع ستمائة ألف حديث » .

٥٠٠ـ رأته القلوب بحقائق الإيمان :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٤٧) ما نصه :

« قال المدائني :

أتى أعرابيٌّ أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، فقال له :

هل رأيتَ الله حينَ عَبَدْتَهُ ؟

قال : ما كنتُ لأعبدَ شيئاً لم أره .

فقال : كيف رأيتَهُ ؟

قال : لم ترَهُ الأبصارُ مُشاهدةَ العَيانِ ، ولكن رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ ، لا يُدرَكُ بالحواسّ ، ولا يُقاسُ بالناسِ ، معروفٌ بالآياتِ ، منعوتٌ بالعلاماتِ ، لا يَجورُ في قضيَّتهِ ، هو الله الذي لا إله إلاَّ هو .

فقال الأعرابي : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] » .

٥٠١ـ أنا أعلم بالأصلح لي :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٩/ ٧٨ـ٧٩) في ترجمة الإمام النحوي المحدِّث سعيد بن أوس أبي زيد الأنصاري البصري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . حدَّثنا روح بن عبادة ، قال :

كُنَّا عند شُعْبَة ، فضجِرَ من الحديثِ ، فرمى بطَرفهِ ، فرأى أبا زيد سعيد بن أوس في أُخريات الناس ، فقال : يا أبا زيد :

استعجمتْ دارُ مَيٍّ ما تُكلِّمنا والدَّارُ لو كلَّمتنا ذاتُ أخبارِ

إليَّ يا أبا زيد! فجاءه فجعلا يتناشدان الأشعار .

فقال بعض أصحاب الحديث لشعبة : يا أبا بسطام ، نقطع إليكَ ظهور

الإبلِ لنسمعَ منكَ حديث رسول الله ﷺ ، فتتركنا وتُقبلُ على الأشعار ؟!
قال : فرأيتُ شُعبةَ قد غضبَ غضباً شديداً ، ثم قال :
يا هؤلاء ، أنا أعلمُ بالأصلح لي ، أنا والله الذي لا إله إلاَّ هو في هذا أسلمُ منِّي في ذاك » .

٥٠٢ـ والله لأُسألنَّ عن هذا :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٠/٣٦٦) في ترجمة سيد التابعين الإمام الفقيه المُفسِّر سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . عن بُكير بن عتيق قال :

سقيتُ سعيد بن جُبَير شربةً من عسلٍ في قَدَح ، فشربَها ثم قال : والله لأُسألَنَّ عن هذا .

قال : فقلتُ له : لمه ؟

فقال : شربتُهُ وأنا أستلِذُّه » .

٥٠٣ـ كرهتُ أن أُشركَ مع حمد الله حمد أحد :

جاء في كتاب « غرر الخصائص الواضحة » (ص ٢٠) ما نصه :

« أُتي الحجاج بقوم ممَّن خرجوا عليه ، فأمر بهم فضُربَت أعناقهم ، وأُقيمت صلاة المغرب ، وقد بقي من القوم واحد ، فقال لقتيبة بن مسلم :

انصرف به معك حتى تغدو به عليَّ .

قال قتيبة : فخرجتُ والرجلُ معي ، فلمّا كنّا ببعض الطريق قال لي : هل لكَ في خير ؟ قلتُ : وما ذاك ؟

قال : إنِّي والله ما خرجتُ على المسلمين ، ولا استحللتُ قتالهم ، ولكن ابتُليتُ بما ترى ، وعندي ودائع وأموال ، فهل لك أن تخلي سبيلي ، وتأذن لي حتى آتي أهلي ، وأردّ على كل ذي حقٍّ حقَّه ، وأُوصي ، ولك

عليَّ أن أرجعَ حتى أضعَ يدي في يدك ؟!

فعجبتُ له ، وتضاحكتُ لقوله ، ومضينا هنيهة ، ثم أعاد عليَّ القول ، وقال : إنِّي أُعاهدكَ الله ، لكَ عليَّ أن أعودَ إليك .

فما ملكتُ نفسي حتى قلتُ له : اذهب .

فلمّا توارى شخصُه أسقط في يدي ، فقلتُ : ماذا صنعتُ بنفسي ، وأتيتُ أهلي مهموماً مغموساً ، فسألوني شأني فأخبرتُهم ، فقالوا : لقد اجترأتَ على الحجّاج .

فبتنا بأطول ليلة ، فلمّا كان عند أذان الفجر ، إذ الباب يُطرق ، فخرجتُ فإذا أنا بالرجل ، فقلتُ : أرجعتَ ؟

قال : سبحان الله! جعلتُ لك عهد الله عليَّ ، أفأخونُكَ ولا أرجع ؟!

فقلتُ : أما والله إن استطعتُ لأنفعَنَّكَ ، وانطلقتُ به حتى أجلستُه على باب الحجّاج ودخلتُ .

فلمّا رآني قال : يا قتيبة ، أين أسيركَ ؟

قلت : أصلح الله الأمير ، بالباب ، وقد اتَّفق لي معه قصَّة عجيبة .

قال : ما هي ؟ فحدَّثته الحديث ، فأذِنَ له فدخل ثم قال :

يا قتيبة ، أتُحبُّ أن أهبَهُ لك ؟ قلتُ : نعم ، قال : هو لكَ ، فانصرف به معك .

فلمّا خرجتُ به قلت له : خُذْ أيَّ طريق شئت ، فرفعَ طرفه إلى السماء وقال : لك الحمد يا رب ، وما كلَّمني بكلمة ، ولا قال لي أحسنت ولا أسأت ، فقلت في نفسي : مجنونٌ والله .

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام جاءني وقال لي :

جزاكَ الله خيراً ، أما والله ما ذهبَ عنِّي ما صنعت ، ولكن كرهتُ أن أُشركَ مع حمد الله حمد أحد » .

٥٠٤ـ إنَّك إن كلَّفتني ما لم أُطق ساءك :

جاء في كتاب « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٢/ ٩٠٤) ما نصه :

« بينما معاوية ـ رضي الله عنه ـ جالس يوماً وعنده عمرو بن العاص ، إذ قال الآذن : قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

فقال عمرو : والله لأسوأنَّه اليوم .

فقال معاوية : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنَّك لا تنتصف منه ، ولعلَّك إن تفعل تظهر لنا من منقبته ما هو خفيٌّ عنَّا ، وما لا نُحبُّ أن نعلمه منه .

وغشيهم عبد الله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقرَّبه ، فمال عمرو إلى بعض جُلساء معاوية فنال من عليٍّ جهاراً غير سارٍّ له ، فثلبه ثلباً قبيحاً ، فالتمعَ لون عبد الله ، واعتراه أفكل حتى أرعدت خصائله ، ثم نزل عن السرير كالفنيق[1] .

فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ، نقال عبد الله : مه لا أُمَّ لك ثم قال :

أظنُّ الحلم دلَّ عليَّ قومي ۝ وقد يتجهَّل الرجلُ الحليمُ

ثم حسر عن ذراعيه وقال :

يا معاوية ، حتام نتجرَّعُ غيظك ؟ وإلام الصبر على مكروه قولك ، وسيِّىء أدبك ، ودميم أخلاقك ؟ هبلتك الهبول ، أما يزجركَ ذمام المجالسة عن قذع جليسك ، إذا لم تكن حرمة من دينك تنهاك عمّا لا يجوز لك ؟ أما والله لو عطفتكَ أواصر الأرحام ، أو حاميت على سهمك من الإسلام ، ما أرعيت بني الإماء أعراض قومك ، وما يجهل موضع الصفوة إلاَّ أهل الجفوة .

وإنَّك لتعرف قريشاً ، وصفوة غرائزها ، فلا يدعونَّكَ تصويبُ مافرك من

---

(١) الفنيق : الفحل المكرم الذي لا يؤذي .

خطتك في سفك دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين ، إلى التمادي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه ، فاقصد لمنهج الحق ، فقد طال عمهك عن سبيل الرشد ، وخبطك في ديجور ظلمة الغي ، فإن أبيت إلاَّ تتابعنا فاعفنا من سوء القالة فينا ، إذا ضمَّنا وإيَّاكَ النديّ ، وشأنكَ وما تريد إذا خلوت ، والله حسيبك ، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك .

ثم قال : إنَّكَ إن كلَّفتني ما لم أطق ، ساءكَ ما ستر منِّي من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر ، نغيِّر الخطأ ، أقسمتُ عليك لتجلسنَّ ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وِجاره ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن محتدك ومنصبك لكان خلقك وخَلْقك شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذي الجناحين ، وسيِّد بني هاشم .

فقال عبد الله : بل سيِّد بني هاشم حسن وحسين ، لا يُنازعهما في ذلك أحد .

فقال : يا أبا جعفر ، أقسمتُ عليكَ لما ذكرتَ حاجة لك إلاَّ قضيتها كائنة ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك .

فقال : أما في هذا المجلس فلا .

ثم انصرف ، فأتبعه معاوية بصره وقال :

والله لكأنه رسول الله ﷺ في مشيته ، وخُلقه وخَلقه ، وإنه لمن مشكاته ، ولوددتُ أنه أخي بنفيس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو وقال : يا أبا عبد الله ، ما تراه منعه من الكلام معك ؟

قال : ما لا خفاء به عنك .

قال : أظنُّكَ تقول : إنه هاب جوابك ، لا والله ولكنه ازدراك واستحقركَ ولم يرَكَ للكلام أهلاً ، أما رأيتَ إقباله عليَّ دونك ؟ ذاهباً بنفسه عنك ؟

فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددتُه لجوابه ؟

فقال معاوية : أرغب إليك يا أبا عبد الله ، فلات حين جواب فيما يرى اليوم ، ونهض معاوية وتفرّق الناس » .

٥٠٥ـ العلماء ثلاثة :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١١/ ١٩٢) في ترجمة الإمام المحدِّث أمير المؤمنين في الحديث سفيان بن عُيينة الهلالي أبي محمد الكوفي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال علي بن خَشْرَم : سمعتُ ابن عُيَينة يقول : قال بعض الفقهاء :

كان يقال : العلماء ثلاثةٌ : عالمٌ بالله ، وعالمٌ بأمر الله ، وعالمٌ بالله وبأمر الله .

أمّا العالم بأمر الله : فهو الذي يعلم السُّنَّة ولا يخاف الله .

وأمّا العالم بالله : فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السُّنَّة .

وأما العالم بالله وبأمر الله : فهو الذي يعلم السُّنَّة ويخاف الله ، فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات » .

٥٠٦ـ إن قُرْبهم مفسدةٌ للقلب :

جاء في كتاب « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي رحمهما الله تعالى (١/ ٨١) ما نصه :

« قال يوسف بن أسباط : كان سفيان الثوري إذا كتب إلى رجل ، كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من سفيان بن سعيد إلى فلان بن فلان ، سلام عليك فإنّي أحمدُ إليكَ الله الذي لا إله إلاّ هو ، وهو للحمد أهلٌ تبارك وتعالى ، له الملك وله الحمد ، وهو على كلِّ شيء قدير ، أما بعد :

فإنّي أوصيكَ ونفسي بتقوى الله العظيم ، فإنَّه من يتَّقِ الله يجعل له

مخرجاً ، ويرزقُه من حيث لا يحتسب ، جعلنا الله وإيَّاك من المُتَّقين ، وإن دعاكَ هؤلاء الملوك لتقرأ عليهم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد : ١] فلا تُجبهم ، فإن قُرْبَهم مفسدةٌ للقلب » .

٥٠٧ـ العلماء ثلاثة :

جاء في « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي رحمهما الله تعالى (١/ ٩٢) ما نصه (عن سفيان الثوري) :

« قال الفريابي : قال سفيان ـ يعني الثوري ـ :

العلماء ثلاثة : عالم بالله عزَّ وجلَّ ، عالم بأمره ، فذلك العالم الكامل ، وعالم بأمر الله عزَّ وجلَّ ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله عزَّ وجلَّ فذاك العالم الفاجر » .

٥٠٨ـ قتلك الحقّ :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (١/ ١٤١) ما نصه :

« عن أبي الحسين عمر بن الحسن ، قال : حدَّثنا ابن أبي الدنيا قال :

كنتُ في الجسر واقفاً ، وقد حضر أبو حسان الزيادي القاضي ، وقد وجَّه إليه المتوكِّلُ من سرّ من رأى ، بسياط جدد في منديل دبيقي ، مختومة وأمره أن يضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم ـ وقيل أحمد بن محمد بن عاصم ـ صاحب خان عاصم ، ألف سوط ، لأنه شهد عليه الثقات ، وأهل الستر ، أنه شتم أبا بكر وعمر ، وقذف عائشة ، فلم يُنكر ذلك ، ولم يتُبْ منه ، وكانت السياط بثمارها .

فجعل يُضرب بحضرة القاضي ، وأصحاب الشرطة قيام .

فقال : أيها القاضي قتلتني .

فقال له أبو حسان : قتلكَ الحقُّ ، لقذفكَ زوجة الرسول ، ولشتمكَ الخلفاء الراشدين المهديين .

قال طلحة : وقيل : لمّا ضُربَ تُركَ في الشمس حتى مات ، ثم رُمي به في دجلة » .

٥٠٩ـ حتى أفرغ من أمر الخصوم :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٨/ ١٩٠) في ترجمة القاضي الفقيه حفص بن غياث رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن أبي هشام الرفاعي :

أن حفص بن غياث كان جالساً في الشرقيَّة للقضاء ، فأرسل إليه الخليفة يدعوه .

فقال له : حتى أفرغَ من أمر الخصوم ، إذ كنت أجيراً لهم ، وأصير إلى أمير المؤمنين .

ولم يقم حتى تفرَّق الخصوم » .

٥١٠ـ علامَ يُؤتى المرء ؟ :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٥/ ٢٧٨) ما نصه :

« عن محمد بن شبيب النحوي قال : حدَّثنا الشرقي بن القطامي قال :

دخلتُ على المنصور فقال :

يا شرقيّ ، علامَ يُؤتى المرء ؟

فقلتُ : أصلح الله الخليفة ، على معروفٍ قد سلف ، ومثله يؤتنف ، أو قديم شرف ، أو علم مطرّف » .

٥١١ـ ما أصنع بدنانيرك ؟ :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٣٦٢) برقم : (٨٣٦) ما نصه :

« . . . نا محمد بن عبد الوهاب الفرّاء قال : سمعتُ الحسين بن منصور يقول :

بعث معن بن زائدة إلى سفيان ـ الثوري ـ بثلاثمائة دينار .

قال : فقال للرسول : قم إلى ذلك الطاق ، انظر ما عليه .

قال : فوجد أربعة دوانيق ، قال : هذه عندي منذ ثلاثة أشهر لا أدري ما أصنع بها ، فما أصنعُ بدنانيرك ؟ » .

٥١٢ـ إن لابستهم فاصدق الحديث وأدِّ الأمانة :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١١/ ٢٥٤) في ترجمة الصحابي الجليل سلمان الخير الفارسي ، أبو عبد الله بن الإسلام رضي الله عنه ، ما نصه :

« قال أبو المليح الرَّقيُّ : عن ميمون بن مهران ، جاء رجل إلى سلمان فقال : يا أبا عبد الله أوصني . قال : لا تتكلَّم .

قال : ما يستطيعُ مَنْ عاش في الناس أن لا يتكلَّم .

قال : فإن تكلَّمتَ ، فتكلَّم بحقٍّ أو اسكت . قال : زِدني .

قال : لا تغضب .

قال : أمرتني أن لا أغضب ، وإنه ليغشاني ما لا أملك .

قال : فإن غضبت ، فاملك لسانك ويدك .

قال : زِدني .

قال : لا تُلابس الناس .

قال : ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يُلابسهم .

قال : فإن لابستهم فاصدق الحديث وأدِّ الأمانة » .

٥١٣ـ أخذتُ نفسي بما رأيت :

جاء في كتاب « تاريخ الخلفاء » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ص ٣٦١) في ترجمة الخليفة العباسي المهتدي بالله بن الواثق[١] بن المعتصم رحمهم الله تعالى ، ما نصه :

« قال الخطيب : لم يزل صائماً منذُ ولي إلى أن قُتل ، وقال هاشم بن القاسم :

كنتُ بحضرة المهتدي عشيَّة في رمضان ، فوثبتُ لأنصرف ، فقال لي : اجلس ، فجلستُ ، وتقدَّم فصلَّى بنا ، ثم دعا بالطعام ، فأُحضر طبق خلاف وعليه رغيف من الخبز النقي ، وفيه آنية فيها ملح وخل وزيت ، فدعاني إلى الأكل ، فابتدأتُ آكلُ ظانًّا أنه سيؤتى بطعام ، فنظر إليَّ وقال :

أَلم تكُ صائماً ؟ قلتُ : بلى ، قال : أفلستَ عازماً على الصوم ؟ فقلت : كيف لا وهو رمضان ؟

فقال : كل واستوفِ فليس ههنا من الطعام غير ما ترى ، فعجبتُ ثم قلتُ : ولِمَ يا أمير المؤمنين وقد أسبغ الله نعمته عليك ؟

فقال : إن الأمر ما وصفت ، ولكني ذكرتُ في أنه كان في بني أميَّة عمر بن عبد العزيز ـ وكان من التقلُّلِ والتَّقشُّفِ على ما بلَغَكَ ـ فغِرْتُ على بني هاشم ، **فأخذتُ نفسي بما رأيتَ** » .

٥١٤ـ إذا دنا فراقي حدَّثتُكم :

جاء في كتاب « مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق » للإمام ابن النحّاس رحمه الله تعالى (١/ ٥١٦) برقم : (٨٨٣) ، وكتاب « روض

---

(١) المهتدي بالله بن الواثق : قال السيوطي في « تاريخ الخلفاء » (ص ٣٦١) : الخليفة الصالح . وقال : كان المهتدي أسمر ، رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً ، متعبِّداً ، عادلاً ، قويًّا في أمر الله ، بطلاً ، شجاعاً ، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً .

الرياحين في حكايات الصالحين » للإمام العارف الشيخ عبد الله اليافعي رحمه الله تعالى (ص ٣٦١) ما نصه :

« عن بعضهم قال :

كنتُ في بلاد الروم فصَحِبَنا رجلٌ فرأيناه لا يأكلُ ولا يشرب ، فقلتُ له :

ما رأيتُكَ تأكلُ شيئاً من القوتِ منذ أحد عشر يوماً .

فقال : إذا دنا فراقي منكم حدَّثْتُكم .

فلما دنا الفراق ، قلتُ له : حدِّثنا ما وعدتنا .

قال : غزونا في أربع مائة فخرج علينا العدو ، فقتل أصحابي وجرحتُ أنا فكنتُ بين القتلى ، فلمّا كان وقت الغروب أحسستُ برائحةٍ فائحةٍ من قبل الجو ، ففتحتُ عيني ، فإذا بجوارٍ عليهنَّ ثياب ما رأيتُ مثلها ، وفي أيديهنَّ كاسات يصببن في أفواه القتلى ، فغمضتُ عيني حتى وصلنَ إليَّ .

فقالت واحدة منهنَّ : اصببنَ في حلق هذا ، وعجِّلنَ قبل أن تُغلقَ أبواب السماء فنبقى في الأرض .

فقالت أخرى : أأسقيه وفيه رمق ؟

فقالت لها الأخرى : لابأس عليكِ يا أختي ، فصبَّت في حلقي ، فأنا منذُ شربتُ ذلك الشراب لا أحتاج إلى طعام ولا شراب » .

٥١٥ـ طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله :

جاء في كتاب « صحيح البخاري » برقم (٢٨٨٧) وبرقم : (٢٨٨٦) ما نصه :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النّبي ﷺ قال :

تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة[1] ، إن أعطي

---

(١) الخميصة : الثوب المعلم من الخز أو الصوف .

رضي ، وإن لم يُعطَ سخط ، تعس وانتكس[1] وإذا شيك[2] فلا انتقش[3] .

طوبى[4] لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرَّة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشفَّع » .

٥١٦ـ اعقد لي لواءً عليهم :

جاء في كتاب « مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق » للإمام ابن النحّاس رحمه الله تعالى (١/ ٢٣٣) برقم : (٢٥٨) ما نصه :

« عن سعيد بن عبد العزيز ، قال :

توفِّيَ أبو مسلم الخولاني بأرض الرُّوم بحمة بسر[5] في خلافة معاوية فقال لبسر بن أرطأة :

أمِّرني على من مات معك من المسلمين ، **واعقد لي لواءً عليهم** ، واجعل قبري أقصى القبور إلى العدو ، فإنِّي أرجو أن أجيء يوم القيامة بلوائهم » .

٥١٧ـ اشتدَّت مؤونة الدين والدنيا :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١١/ ٢٧٥) في ترجمة الإمام المحدِّث الفقيه الورع سلمة بن دينار أبي حازم الأعرج التمَّار المدني القاصّ الزَّاهد الحكيم رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال سفيان ـ بن عُيَينة ـ عنه قال :

---

(١) انتكس : انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران .
(٢) شيك : دخلت في جسمه شوكة ، وقيل : الشوكة هنا السلاح .
(٣) انتقش : نزعها بالنقاش ، وهذا مثل معناه الدعاء عليه إذا أصيب أن لا ينجبر .
(٤) طوبى : من الطيب ، وقيل : اسم الجنة ، وقيل : اسم شجرة فيها .
(٥) حمة بسر : الحمة : عين الماء الحارة ، يستشفى بها الأعلاَّء والمرضى ، وكان في بلاد العرب حمَّات كثيرة . معجم البلدان (٢/ ٣٠٦) .

اشتدَّت مؤونة الدين والدنيا .

قيل : وكيف ذاك يا أبا حازم ؟

قال : أمّا الدين فلا تجد عليه أعواناً ، وأمّا الدنيا فلا تمدّ يدكَ إلى شيء منها إلاَّ وجدتَ فاجراً قد سبقكَ إليها » .

٥١٨ـ إذا وقع السّابح في البحر كم عسى أن يسبح ؟ :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٢٠) ما نصه :

« عن أيوب السختياني ، قال :

طُلِبَ أبو قلابَة لقضاء البصرة ، فهرب إلى الشام ، فأقامَ حيناً ثم رجع .

قال أيوب : فقلت له : لو وليتَ القضاء وعدَلْتَ كان لكَ أجران .

قال : يا أيوب ، إذا وقعَ السَّابحُ في البحر كَمْ عسى أن يسبح ؟! » .

٥١٩ـ أبلغ الناس ، وأصبر الناس ، وأشجع الناس :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٤٨) ما نصه :

قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما :

مَنْ أبلغُ الناس ؟ قال : مَنْ تركَ الفضولَ واقتصرَ على الإيجاز .

قال : فمَنْ أصبرُ الناسِ ؟ قال : مَنْ تركَ دُنياهُ في إصلاحِ دينه .

قال : فمَنْ أشجعُ الناسِ ؟ قال : مَنْ ردَّ جهلَهُ بحلمه » .

٥٢٠ـ ما أحسن ذا إن تمَّ ذا :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٠/ ١٦٠) في ترجمة الإمام الزاهد الربّاني عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم :

سمعتُ عليَّ بن الفضيل بن عياض يقول : سمعتُ أبي يقول لابن المبارك :

أنتَ تأمرنا بالزُّهد والتقلُّلِ والبُلغة ، ونراكَ تأتي بالبضائعِ من بلادِ خُراسان إلى البلدِ الحرام ، كيف ذا وأنت تأمُرنا بخلاف ذا ؟

فقال ابن المبارك : يا أبا عليٍّ ، إنَّما أفعلُ ذا لأصونَ فيه عرضي ، وأُكرم به عِرضي ، وأستعينَ به على طاعة ربِّي ، لا أرى لله حقًّا إلاَّ سارعتُ إليه ، حتى أقومَ به .

فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ، ما أحسنَ ذا إنْ تمَّ ذا » .

٥٢١ـ أمّا المكان فليس لك ولا له :

جاء في كتاب « ترتيب المدارك » للقاضي عياض رحمه الله تعالى (٤/ ٥٥٨) في ترجمة أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن يحيى المعروف بابن الحصار رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« خرج سحراً لحاجة ، فأخذته الصلاة في مسجد الأمير ابن الشرح ، فوجد في الصف الأول فُرجة استوى فيها ، إذ أقبل ابن الشرح ، فجاء المؤذِّن إلى باب الحصار وقال له وهو لا يعرفه :

يا هذا ، قم عن مكان الأمير .

وإذا في المكان حصير نظيف كان يُفرش له ، فانتزعه ابن الحصار من تحته ، ورمى به وراءه ، وقال :

دونك حصير الأمير يا جاهل ، فأمّا المكان فليس لك ولا له ، ولم أحضركم إذ نسبتم المسجد ، فأخذ يحطُّ منه ، فرفع الناس رؤوسهم ، واستحيى الأمير ، وأقبل يُفنّد مؤذّنه ، فلمّا صلّى جاء إلى الشيخ ، واعتذر منه » .

٥٢٢ـ دعني أعيش باقيه حرًّا سليماً من الذُّلِّ :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٤/ ١٤٢ـ١٤٣) في ترجمة الإمام أبي السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقَّب مجد الدين رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« حكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أُقعِدَ جاءهم رجل مغربيّ ، والتزمَ أن يُداويه ويُبرئه ممّا هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً إلاّ بعد بُرئه ، فملنا إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدُهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه ، وصار يتمكَّن من مدِّهما ، وأشرف على كمال البرىء فقال لي :

أعطِ هذا المغربيَّ شيئاً يُرضيه واصرفه .

فقلت له : لماذا وقد ظهر نجح معاناته ؟

فقال : الأمر كما تقول ، ولكنّي في راحة ممّا كنتُ فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدَّعة وقد كنتُ بالأمس وأنا معافى أذلُّ نفسي بالسَّعي إليهم ، وها أنا اليوم قاعد في منزلي ، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلاّ القليل ، **فدعني أعيش باقيه حُرًّا سليماً من الذُّلِّ** ، وقد أخذتُ منه بأوفر حظّ .

قال عز الدين : فقبلتُ قوله ، وصرفتُ الرجل بإحسان » .

٥٢٣ـ لك الفضل زائراً ومزوراً :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٤/ ٢١١) في ترجمة الإمام الواعظ يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« دخل - يحيى بن معاذ - على علويٍّ ببلخ زائراً له ومسلِّماً عليه .

فقال له العلويُّ : أيّد الله الأستاذ ، ما تقولُ فينا أهل البيت ؟

قال : ما أقول في طين عُجن بماء الوحي ، وغُرس بماء الرسالة ، فهل يفوح منهما إلاّ مسكُ الهدى وعنبر التُّقى ؟

فحشا العلويُّ فاهُ بالدُّرّ ، ثم زاره من الغد ، فقال يحيى بن معاذ :

إن زُرتنا فبفضلك ، وإن زُرناكَ فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزوراً » .

٥٢٤ـ الكلام الحسن حسن :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٢٠٩/١٤) و « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (١٦٦/٦) في ترجمة الإمام الواعظ يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال - رحمه الله - :

الكلام الحسن حسن ، وأحسن من الكلام معناه ، وأحسن من معناه استعماله ، وأحسن من استعماله ثوابه ، وأحسن من ثوابه رضا من يُعمل له .

وقال - رحمه الله - :

أحسن شيء كلام الصحيح ، من لسان فصيح ، في وجه صبيح ، كلام دقيق ، يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل رفيق » .

٥٢٥ـ كلُّ النساء شيء واحد :

جاء في كتاب « الكامل في التاريخ » لعز الدين بن الأثير رحمه الله تعالى (٤١٧/١٠) ما نصه :

« سنة خمسمائة فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك

المغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة خيراً عادلاً ، يميل إلى أهل العلم والدين ، ويكرمهم ، ويحكمهم في بلاده ، ويصدر عن آرائهم ، وكان يحبُّ العفو والصفح عن الذنوب العظام .

فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنَّى أحدهم ألف دينار يتَّجِرُ بها ، وتمنَّى الأخر عملاً يعمل فيه لأمير المسلمين ، وتمنَّى الآخر زوجته ، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم وأعطى متمنِّي المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنَّى زوجته : يا جاهل ، ما حملكَ على هذا الذي لا تصل إليه ؟

ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له :

ما أكلت في هذه الأيام ؟

قال : طعاماً واحداً .

فقالت له : كلُّ النساء شيء واحد ، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته » .

٥٢٦ـ أنت بدأت بالمسألة ، ولو سكتَّ لسكتُّ :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٧/ ٢٥١) ما نصه :

« قيل إن موسى ـ بن عبد الرحمن بن القاسم الزاهد ـ اختصَّ به القاضي بكّار ، وكان يتبرَّك به لزهده .

فقال له يوماً : يا أبا هارون ، من أين المعيشة ؟

قال : من وقف وقفه أبي .

فقال له بكّار : أيكفيك ؟ قال : قد تكفَّيتُ به ، وقد سألني القاضي فأريد أن أسأله ، قال : سل .

قال : هل ركب القاضي دينٌ بالبصرة حتى تولَّى بسببه القضاء ؟

قال : لا .

قال : فهل رُزِقَ مولوداً أحوجه إلى ذلك ؟

قال : لا ، ما نكحتُ قطُّ .

قال : فهل لك عيالٌ كثيرة ؟

قال : لا .

قال : فهل أجبركَ السلطان وعرض عليك العذاب وخوَّفكَ ؟

قال : لا .

قال : فضربتَ آباطَ الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة ، لله عليَّ لا دخلتُ عليك أبداً .

فقال : يا أبا هارون أقلني .

قال : أنت بدأت بالمسألة ، ولو سكتَّ لسكتُّ .

ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها » .

٥٢٧ـ إذا قتلت هذا فعلى من أُحبُّ أن أتأمَّر :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٠/ ٤٣٥) في ترجمة عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المديني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« عن مصعب بن عبد الله ، ومحمد بن الضحّاك الحزامي ، ومحمد بن الحسن المخرمي وغيرهم :

أن عبد العزيز بن عبد الله ، كان ممّن أُسِرَ مع محمد بن عبد الله بن حسين . فلمّا قُتِلَ محمد ، حُملَ عبد العزيز إلى أمير المؤمنين المنصور ، في حديد ، فلمّا أُدخلَ عليه ، قال له :

ما رضيت أن خرجتَ عليَّ ، حتى خرجت معكَ بثلاثة أسياف من ولدك ؟

فقال له عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، صل رحمي ، واعفُ عنّي ، واحفظ فيَّ عمر بن الخطاب .

فقال : أفعل ، فعفا عنه .

فقال له عبد الله بن الربيع الهمداني : يا أمير المؤمنين ، اضرب عنقه ، لا يطمعُ فيك فتيان قريش .

فقال له أمير المؤمنين المنصور :

إذا قتلتُ هذا فعلى من أُحبُّ أن أتأمّر ؟ » .

٥٢٨ـ لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١١/١٩٨) ما نصه :

« عن عمر بن حبيب العدوي القاضي ، قال :

وفدتُ مع وفد من أهل البصرة ، حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون فجلسنا ، وكنتُ أصغرهم سنًّا .

فطلب قاضياً يولي علينا بالبصرة ، فبينا نحن كذلك ، إذ جيء برجل مقيَّدٍ بالحديد ، مغلولة يده إلى عنقه ، فحُلَّت يدُه عن عُنقه ، ثم جيء بنطع[1] فوُضع في وسطه ، ومُدَّت عُنقُه ، وقام السيَّافُ شاهر السيف ، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عُنقه ، فأذِنَ له ، فرأيتُ أمراً فظيعاً .

فقلت في نفسي : والله لأتكلّمنَّ ، فلعلّه ينجو .

فقلت : يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي .

فقال لي : قل .

فقلت : إن أباكَ حدَّثني عن جدِّكَ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال :

إذا كان يوم القيامة ، يُنادي منادٍ من بُطنان[2] العرش : ليقم من عظَّم الله

---

(١) النطع : بساط يُفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس .

(٢) بطنان : جوف كل شيء .

أجره ، فلا يقومُ إلاَّ من عفا عن ذنب أخيه ، فاعفُ عنه يا أمير المؤمنين ، عفا الله عنك .

فقال لي : آلله ، إن أبي حدَّثكَ عن جدِّي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ؟

فقلت : آلله ، إن أباكَ حدَّثني عن جدِّكَ ، عن ابن عباس ، عن النَّبي ﷺ .

فقال : صدقت ، إن أبي حدَّثني عن جدِّي ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ بهذا ، يا غلام ، أطلق سبيله .

فأطلق سبيله ، وأمر أن أولَّى القضاء .

ثم قال لي : عمَّن كتبت ؟

قلت : أقدمُ من كتبتُ عنه داود بن أبي هند .

فقال : تحدِّث ؟

قلت : لا .

قال : بلى ، فإنَّ نفسي ما طلبت منِّي شيئاً إلاَّ وقد نالته ما خلا هذا الحديث ، فإنِّي كنتُ أُحبُّ أن أقعد على كرسيٍّ ، ويقال لي من حدَّثك ؟ فأقول : حدَّثني فُلان .

قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلم لا تُحدِّث ؟

قال : لا يصلحُ الملك والخلافة مع الحديث للناس » .

٥٢٩ـ أنقص الناس عقلاً من ظلَمَ من هو دونَه :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٤٠ـ٤١) ما نصه :

« قال المنصور لولده عبد الله المهدي :

لا تُبرم أمراً حتى تُفكِّرَ فيه ، فإن فكرة العاقل مرآة تُريه حسناتِه وسيِّئاتِه ،

واعلم أن الخليفة لا تُصلحه إلاَّ التَّقوى ، والسُّلطان لا تُصلحه إلاَّ الطاعة ، والرَّعيَّة لا يُصلحها إلاَّ العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقصُ الناس عقلاً من ظَلَمَ مَنْ هو دونَه » .

٥٣٠ـ أشعار في استعارة الكتب وعدم ردِّها :

جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١/ ٢٤٣ـ٢٤٧) النصوص رقم : (٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨) ما نصه :

« عن عمر بن بحر قال :

سمعتُ الجاحظ يقول ، وقد تقاضى تلميذاً له كتاباً ، وتقاضى التلميذ أيضاً كتاباً له ، فردَّ الكتاب عليه ، ثم أنشأ الجاحظ يقول :

أيُّهـا المستعيـرُ منِّـي كتـابـاً ... ارضَ لي فيه ما لنفسكَ تَرْضَى
لا تـرى رَدَّ مـا أعـرتُـكَ نَفـلاً ... وتـرى ردَّ ما استعـرتـكَ فَـرضـا »

« أنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق ، لأبي القاسم علي بن المحسن القطيعي :

جَلَّ قَدْرُ الكتاب يا صاحِ عندي ... فهـو أغلـى مـن الجـواهـر قَـدْراً
لستُ يـومـاً مُعيـرَهُ مـن صـديـق ... لا ولا مـن أخٍ أحـاذِرُ غـدراً
ما على من يصونه من مَلامٍ بل ... لـه العـذرُ فيـه سِـرًّا وجَهـراً
لـن أعيـرَ الكتـابَ إلاَّ بـرهـنٍ ... مـن نفيس الـرُّهـونِ تِبْـراً ودُرًّا »

« ... قال : أنشدنا محمد بن العباس الخزاز ، قال : أنشدنا محمد بن خلف قال : أُنشدتُ :

أعِـرِ الـدفتـر للصـا ... حـب بـالـرَّهـن الـوثيـق
إنـه ليـس قبيحـاً ... أخْـذُ رَهْـنٍ مـن صـديـق »

« ... قال : أنشدنا محمد بن العباس قال : أنشدنا محمد بن خلف قال : أُنشدتُ :

أيُّها المستعير منّي كتاباً ... إن رَدَدْتَ الكتاب كان صواباً
أنت والله إن رددتَ كتاباً ... كنت أعطيتَهُ أخذتَ كتاباً »

« . . . أن أبا الحسين علي بن أحمد بن يحيى الجُوزْدَكي ، أنشدهم لنفسه بالبصرة :

يا من يرومُ كتابي ... لنَسْخِه إن أرادهْ
أو رغبةً في اطِّلاع ... يبغي بذاك الزِّياده
تَوَقَّ فيه خِصالاً ... تسويده وفساده
ونَلْ مرادكَ منه ... بالفكر والاستعاده
فالعلم للمرءِ يُحيي ... تامُوره وفُؤاده
لا تقصدَنَّ التواني ... أمانةً كالقِلادَه
إذا فرغتَ فأسرع ... به إلى الإعاده
حَرَّمتُ تأخيرَ أصلي ... من غير عُذرٍ أكادَه
فحبسُهُ فِعْلُ سَوْءِ ... وسُرْعَةُ الرَّدِّ عادَه
رواه شيخ مفن ... عن مَعْمَرٍ عن قتاده »

« وذكر أبو خازم أن الجُوزْدَكي أنشدهم لنفسه أيضاً :

إن المُروءةَ تدفع ... عن حبس جزء تمنع
والحرُّ فيه اقتصادٌ ... يرومُ نسخاً ويقنع
يُعَجِّلُ الرَّدَّ حتى ... يصير في الغَيْرِ يَشْفَع
والنَّذلُ يبغي التواني ... في الغَضْبِ للحُرِّ يَطمع
فدهرُهُ في احتيالِ ... من خيره ليس يشبع
إذا اقتُضي أمَّ بهتاً ... بالمَطْلِ والمَيْنِ يَدْفَع
لا العَتْبُ ينجعُ فيه ... والاقتضا ليس ينفع
لا باركَ الله فيه ... وبئس ما هو يصنع »

« . . . قال : أنشدنا أبو أحمد عبد السلام بن علي المؤدب قال : أنشدنا أبو مزاحم الخاقاني :

ما أنت في سعة من حبس دفترنا   بل أنت من حبسه في أضيقِ الحَرَجِ
عَذَّبتَ قلبي بالتعليق منك له   وما أرى لك من عُذرٍ ولا حُجَجِ
قد كنت مستعيناً عن أن تُبين لنا   ما أنت بيَّنته من خُلقكَ السَّمجِ
يلقاكَ بالخُلف من في دينه عوجٌ   وليس في دين أهل الصدقِ من عوجِ
من يحبسُ الجزء عمداً بعد قولي ذا   فهو امرؤ ما به قلبي بمبتهجِ »

« قال لنا الشيخ أبو بكر : قرأتُ على ظهر كتاب لصاحبنا أبي بكر أحمد بن الحسين القطان بخطه :

يا مستعيرَ كتابي إنه عَلِقٌ   بمهجتي علق المحبوب بالمُهَجِ
انْسَخْهُ وارْدُدْهُ في حلّ وفي سعةٍ   وأنتَ من حبسه في أضيقِ الحرجِ »

٥٣١ـ أصبحت والمسك يفوح منِّي :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٢٢٤) ما نصه :

« قيل لأبي بكر المسكي :

إنَّا نشمُّ منكَ رائحة المسك على الدوام فما سببه ؟

فقال : والله لي سنين عديدة لم أستعمل المسك ، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليَّ حتى أدخلتني دارها ، وأغلقت دوني الأبواب ، وراودتني عن نفسي ، فتحيَّرتُ في أمري فضاقت بي الحيل .

فقلت لها : إن لي حاجة إلى الطهارة .

فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة ، ففعلت ، فلما دخلتُ بيت الراحة أخذتُ العذرةَ وألقيتُها على جميع جسمي ، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة ، فلما رأتني دُهشت ثم أمرت بإخراجي ، فمضيتُ واغتسلتُ ، فلما كانت تلك الليلة رأيتُ في المنام قائلاً يقول لي :

فعلتَ ما لم يفعله أحد غيرك ، لأُطيِّبَنَّ ريحكَ في الدنيا والآخرة ، **فأصبحتُ والمسكُ يفوحُ منِّي واستمرَّ ذلك إلى الآن** » .

٥٣٢ـ جئتُ لأسرقه فسرقني :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٨٥) ما نصه :

« ذُكر أن لصًا تَسَوَّرَ دار مالك بن دينار فلم يجد في الدار شيئاً يسرقُه ، فرآه وهو قائم يُصلِّي ، فأوجزَ مالك في صلاته ، ثم التفتَ إلى اللصِّ وسلَّم عليه وقال :

يا أخي تابَ الله عليك ، دخلتَ منزلي فلم تجد ما تأخذه ولا أدعُكَ تخرجُ بلا فائدة .

وقام فأتاه بإناء فيه ماء ، وقال له :

توضَّأ وصلِّ ركعتين فإنكَ تخرجُ بخير ممّا جئتَ في طلبه .

فقال اللص : نعم وكرامة .

وقام وتوضَّأ وصلَّى ركعتين ، وقال :

يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أُخريتين ؟

قال : زِدْ ما قدَّرَ الله لك .

فلم يزل اللص يُصلِّي إلى الصبح .

فقال له مالك : انصرف راشداً .

فقال : يا سيدي أيخف عليك أن أُقيم عندك هذا اليوم فإنِّي نويتُ صيامه ! !

فقال له مالك : أقم ما شئت ، فأقام عنده أياماً صائماً قائماً ، فلما اراد الانصراف قال اللص :

يا مالك قد نويت التوبة ، فقال مالك : ذلك بيد الله عزَّ وجلَّ .

فتاب اللص وحسُنت توبته ، وخرج من عنده فلقيه زعيم اللصوص ، فقال له : أظنُّكَ وقعتَ بكنز ؟!

فقال : يا أخي ، وقعتُ بمالك بن دينار ، جئتُ لأسرقه فسرقني ، وقد تُبتُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، وها أنا مُلازمٌ الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب » .

٥٣٣ـ من الجاه إلى اليمين :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٣١٠) ما نصه :

« قال الأصمعي : كنتُ بالبادية أُعلِّمُ القرآن ، فإذا أنا بأعرابي بيده سيف ، يقطعُ الطريق ، فلمّا دنا منّي ليأخذ ثيابي قال لي :

يا حَضَريُّ ، ما أدخلَكَ البدو ؟ قلت : أُعلِّمُ القرآن .

قال : وما القرآن ؟ قلت : كلام الله .

قال : ولله كلام ؟ قلت : نعم .

قال : فأنشدني منه بيتاً ، فقلت : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] .

قال : فرمى بالسيف من يده ، وقال : استغفر الله ، رزقي في السماء وأنا أطلبُه في الأرض ؟!!

ثم لقيتُه بعد سنة في الطواف فقال : ألستُ صاحبكَ بالأمس ؟

قلت : بلى . قال : فأنشدني بيتاً آخر .

فقلت : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٣] .

قال الأصمعي : فوقف وبكى وجعل يقول :

ومن الجاه إلى اليمين ؟ فلم يزل يُردِّدها حتى سقط ميتاً ـ رحمة الله تعالى عليه ـ » .

٥٣٤ـ صفات يحتاج إليها السلطان :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٤١/١) ما نصه :

« قال أبو عبيد الله كاتبُ المهدي :

ما أحوجَ ذا القُدرة والسلطان إلى دين يحجزُه ، وحياءٍ يكُفُّه ، وعقلٍ يَعقِلُه ، وإلى تجربةٍ طويلة ، وعينٍ حفيظة ، وأعراق تسري إليه ، وأخلاقٍ تُسهِّلُ الأمورَ عليه ، وإلى جليسٍ شفيق ، وصاحب رفيق ، وإلى عَيْنٍ تُبصرُ العواقب ، وقلبٍ يخافُ الغِيَر ، ومن لم يعرف لُؤْمَ الكِبْر لم يَسْلَم من فَلَتات اللسان ، ولم يتعاظم ذنباً وإن عَظُم ، ولا تناء وإن سَمُح » .

٥٣٥ـ ما رأيتُ من حاجَّني مثله :

جاء في كتاب « قصص العرب » (٥٩/٣) ما نصه :

« قال أحمد بن موسى :

ما رأيتُ رجلاً أثبتَ جناناً من رجلٍ رفع فيه عند المنصور وقالوا : إن عنده ودائع وأموالاً وسلاحاً لبني أُميَّة ، فأمر المنصور حاجبه الربيع بإحضاره ، فأُحضر بين يديه .

قال المنصور : قد رُفعَ إلينا أن عندكَ ودائع وأموالاً وسلاحاً لبني أُميَّة ، فأخرج لنا ما عندك ، واحمل جميع ذلك إلى بيت المال .

قال الرجل : يا أمير المؤمنين أنتَ وارثُ بني أُميَّة ؟

قال : لا .

قال : فوصيٌّ أنت ؟

قال : لا .

قال : فلمَ تسأل عن ذلك ؟

قال : إن بني أُميَّة ظلموا الناس ، وغصبوا أموال المسلمين ، وأنا

آخذُها فأرُدُّها إلى بيت المال للمسلمين .

قال : يحتاجُ أمير المؤمنين إلى إقامة بيِّنة يقبلُها الحاكم على أن المال الذي لبني أُميَّة هو الذي بيدي ، وأنه هو الذي اغتصبوه ، وأمير المؤمنين يعلم أن بني أُميَّة كانت لهم أموالهم لأنفسهم غير الأموال التي اغتصبوها على ما يزعم أمير المؤمنين .

فسكت المنصور ساعة ثم قال :

يا ربيع ، صدق الرجل ، ما يجب لنا عليه شيء .

ثم قال للرجل : ألكَ حاجة ؟

قال : نعم . قال : ما هي ؟

قال : أن تجمع بيني وبين من سعى بي إليك ، فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أُميَّة عندي ودائع ولا مالٌ ولا سلاح ، ولمّا حضرتُ بين يدي أمير المؤمنين ، وعلمتُ ما هو عليه من العدل والإنصاف واتِّباع الحقِّ ، واجتنابِ الباطل ، أيقنتُ أن هذا الكلام الذي صدر منِّي هو أنجح وأصلح لما سألني عنه ، وأقربُ للخلاص .

قال المنصور للربيع : اجمع بينه وبين الرجل الذي اتهمه ، ولما جيء بالرجل عرفه ، وقال : هذا غُلامي ، وأخذ لي خمسمائة دينار وهرب ، ولي عليه كتاب بها .

فاستنطقَ المنصور الغلام فأقرَّ أنه غُلامه ، وأنه أخذ المال الذي ذكره مولاه ، وأبقَ به وسعى بمولاه ليجري عليه أمر الله ، ويسلم هو من الوقوع في يده .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، قد وهبتها له لأجلك ، وأدفع له خمسمائة دينار أخرى لحضوره مجلس أمير المؤمنين .

فاستحسن المنصور فعله ، وكان في كل وقت يقول :

يا ربيع ما رأيتُ مَنْ حاجَّني مثله » .

٥٣٦ـ بئس وزير الدين أنت :

جاء في كتاب « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٤/ ١٤٧) وكتاب « قصص العرب » (٣/ ٥٧) ما نصه :

« كان بيد عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسَّهلة ، وكانت باليمامة ، وكانت له غلَّةٌ عظيمةٌ كثيرة ، عيشه وعيش أهله منها ، فلمّا ولي الخلافة قال لمزاحم مولاه :

إنِّي عزمتُ أن أرُدَّ السَّهلة إلى بيت مال المسلمين . فقال مزاحم : أتدري كم ولدك ؟ إنهم كذا وكذا .

فذرفت عينا عمر ، وجعل يمسحُ الدمعة بأصبعه الوسطى ويقول :

أكِلُهُم إلى الله ، أكِلُهُم إلى الله .

فمضى مُزاحم ، فدخل على عبد الملك ابنه فقال له :

ألا تعلم ما قد عزم عليه أبوك ؟ إنه يريد أن يردَّ السَّهلة .

قال : فما قلتَ له ؟

قال : ذكرتُ له ولده ، فجعل يستدمعُ ويمسحُ الدمعة بأصبعه الوسطى ، ويقول : أكِلُهُم إلى الله ، أكِلُهُم إلى الله .

فقال عبد الملك : بئس وزير الدين أنت . ثم وثَبَ وانطلق إلى أبيه فقال للآذن : استأذن لي عليه .

فقال : إنه وضع رأسه الساعة للقائلة .

فقال : استأذن لي عليه .

فقال الآذن : أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلاَّ هذه الساعة .

قال : استأذن لي عليه لا أُمَّ لك!

فسمع عمر كلامهما فقال : إيذن لعبد الملك ، فدخل فقال :

علامَ عزمتَ ؟ قال : أرُدُّ السَّهلة .

قال : فلا تؤخِّر ذلك ، قم الآن .

فجعل عمر يرفعُ يديه ويقول :

الحمد لله الذي جعل لي من ذُرِّيتي من يُعينني على أمر ديني ، نعم يا بُنيَّ ، أُصلِّي الظُّهر ، ثم أصعد المنبر ، فأرُدُّها علانيةً على رؤوس الناس .

قال عبد الملك : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ ثم من لك أن تسلم نيَّتُكَ إلى الظهر إن عشت ؟!

فقام عمر ، فصعد المنبر ، وخطب الناس ، وردَّ السَّهلة » .

٥٣٧ـ سريرتُكَ أحقُّ بك من علانيَّتك :

جاء في كتاب « الزهد » للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى (ص ٢٦) ما نصه :

« عن يحيى بن المختار عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا قولهم ، فإن الله لم يدع قولاً إلاّ جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعتَ قولاً حسناً فرويداً بصاحبه ، فإن وافق قولاً وعملاً فنعم ، ونعمة عين فآخه وأحببه وأودده ، وإن خالف قولاً وعملاً فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ، إيَّاكَ وإيَّاه ، لا يخدعنَّكَ كما خدع ابن آدم .

إن لك قولاً وعملاً ، فعملكَ أحقُّ بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية ، فسريرتُكَ أحقُّ بك من علانيَّتكَ ، وإن لك عاجلة وعاقبة فعاقبتُكَ أحقُّ بكَ من عاجلتك » .

٥٣٨ـ ففهمناها سليمان وكلاً آتيناه حكماً وعلماً :

جاء في كتاب « البداية والنهاية » للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (٩/١٤٨ـ١٤٩) ما نصه :

« بعث الوليد ـ يعني ابن عبد الملك ـ إلى ملك الروم يطلب منه صنّاعاً

في الرخام والفسيفساء ليستعين بهم على بناء المسجد كما يشتهي ، فأرسل إليه ملك الروم مائتي صانع ، وكتب إليه يقول :

إن كان أبوك فهم ذلك الذي تصنعه وتركه ، فإنه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمته أنت وصمة عليه .

فلما وصل كتاب ملك الروم ، قال الوليد لمن حوله :

أيُّكم يردُّ على هذا ؟

فقال الفرزدق ـ وكان حاضراً ـ : أنا أردُّ عليه يا أمير المؤمنين من كتاب الله .

فقال الوليد : ما هو ويحك ؟

فقال الفرزدق : قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

فأُعجب الوليد بهذه الإجابة ، وأرسل بها إلى ملك الروم » .

٥٣٩ـ نحن أصحاب رسول الله فارحلوا عنّا :

جاء في كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي رحمه الله تعالى (١/ ٢٠) ما نصه :

« حين بدأ عقبة رضي الله عنه في تخطيط مدينة القيروان ، وأجابه العرب إلى ذلك ، ولكنهم تخوَّفوا السِّباع والحيَّات ، فقالوا لعقبة :

إنَّكَ أمرتنا بالبناء ، في شعارى وغياض لا ترام ، ونحن نخاف من السِّباع والحيَّات وغير ذلك .

واستمع عقبة لكلام أصحابه ، وكان معه ثمانية عشر رجلاً من الصحابة ، وبقية جيشه من التابعين ، وذهبوا جميعاً إلى موضع القيروان ، ودعا عقبة أصحابه يؤمنون ، ومضى عقبة إلى السبخة ونادى :

أيَّتها الحيَّات والسِّباع ، **نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنَّا** ، فإنَّا نازلون ، ومن وجدناه بعد هذا قتلناه .

ونظر الناس عندئذ إلى أمر عجب ، حتى رأوا السِّباع والحيَّات تخرج من بين الأشجار وهي تحمل أشبالها ، ونادى عقبة في أصحابه : كفُّوا عنهم حتى يرحلوا عنها » .

٥٤٠ـ لو علم أن الماء ينقص مروءته ما شربه :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٣/ ١٠٦) ما نصه :

« قيل لعبد الملك بن مروان ، وهو يحارب مصعباً :

أن مصعباً قد شرب الشراب .

فقال عبد الملك :

مصعب يشرب الشراب ؟ والله لو علم مصعب أن الماء ينقص مروءته ما روي منه » .

٥٤١ـ إنَّ الحلال عزيز :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٣/ ٢٩٠) في ترجمة الإمام الربَّاني الزَّاهد الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال عبد الصمد بن يزيد مردويه : سمعتُ الفضيل بن عياض يقول :

لم يتزيَّن الناس بشيء أفضلَ من الصِّدقِ وطلبِ الحلال .

فقال له عليٌّ ـ يعني ابنه ـ :

يا أبَةِ إنَّ الحلال عزيزٌ .

قال الفضيل : يا بُنيَّ وإنَّ قليله عند الله كثير » .

٥٤٢ـ أقبح من ذلك أن أقول بغير علم :

جاء في كتاب « صحيح مسلم » في المقدمة (ص ١٢) وكتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي (٣٩٦/٢٣) في ترجمة الإمام الفقيه القاسم بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . حدَّثني أبو النَّضر هاشم بن القاسم ، قال : حدَّثنا أبو عَقيل صاحبُ بُهَيَّة ، قال :

كنتُ جالساً عند القاسم بن عبيد الله ، ويحيى بن سعيد ، فقال يحيى للقاسم : يا أبا محمد ، إنه قبيحٌ على مثلكَ عظيم أن تسأل عن شيء من أمر هذا الدين ، فلا يوجد عندكَ منه علمٌ ولا فرجٌ أو علمٌ ولا مخرجٌ .

فقال له القاسم : وعَمَّ ذلك ؟

قال : لأنَّكَ ابن إمامي هُدى : أبي بكر ، وعمر .

قال : يقول له القاسم :

أقبحُ من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير عِلْمٍ ، أو آخذَ عن غير ثقةٍ .

قال : فسكتَ فما أجابَه » .

٥٤٣ـ إنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم :

جاء في كتاب « خلق أفعال العباد » للإمام البخاري رحمه الله تعالى (ص ٧) ما نصه :

« . . . حدَّثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال :

شهدتُ خالد بن عبد الله القَسْري خطب الناس يوم النَّحْر ، فقال : من كان منكم يريد أن يُضحِّي فلينطلق فليُضحِّ فباركَ الله في أُضحيَّته ، فإنِّي

مُضحٍّ بالجعد بن درهم ، زعم أن الله لم يُكلّم موسى تكليماً ، ولم يتّخذ إبراهيم خليلاً ، سبحان الله عمّا يقول الجعد عُلوًّا كبيراً ، ثم نزل إليه فذبَحَهُ » .

٥٤٤ـ لكن نصيبي له :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٤٤/٢٤) في ترجمة الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ، ما نصه :

« قال سفيان بن عُيَينة : عن عمرو بن دينار ، عن أبي صالح :

أن سعد بن عبادة قسَمَ مالَهُ بين وَلَده وخرج إلى الشام فمات ، وولد له ولد بعده ، فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد ، فقالا :

إن سعداً يرحمه الله تُوفّي ، ولم يعلَمْ ما هو كائن ، وإنّا نرى أن تردوا على هذا الغلام .

فقال : ما أنا بمغيِّرٍ ما صنعه سعد ، ولكن نصيبي له » .

٥٤٥ـ أعطيناها على قدر السَّعة عندنا :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٨/١٣) ما نصه :

« . . . حدَّثنا أبو بكر بن عسكر ، قال : سمعتُ أبا صالح قال :

سألت امرأةٌ الليث بن سعد مَنًّا من عسلٍ ، فأمر لها بزقٍّ .

فقال له كاتبه : إنها سألت مَنًّا ؟

فقال : إنها سألتني على قدرها ، فأعطيناها على قدر السَّعة عندنا » .

٥٤٦ـ هكذا والله صفة الخائفين :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزي رحمه الله تعالى (١٢١/٣) ما نصه :

« قال منصور بن عمار :

خرجتُ ذات ليلة فظننتُ أنِّي قد أصبحتُ فإذا عليَّ ليل ، فقعدتُ عند باب صغير ، فإذا بصوت شاب يبكي ويقول :

وعِزَّتك وجلالِكَ ما أردتُ بمعصيتي مخالفتكَ ، وقد عصيتُكَ حين عصيتُكَ وما أنا بنكالِكَ[1] جاهل ، ولا لعقوبتِكَ مُتعرِّضٌ ، ولا بنظرِكَ مُستخف ، ولكن سوَّلَتْ لي نفسي ، وغلبتني شِقوتي ، وغرَّني سترُكَ المُرخى عليَّ ، عصيتُكَ بجهلي ، وخالفتُكَ بجهدي ، فالآن من عذابِكَ من يُنقذني ؟! وبحبلِ من أتَّصلُ إن قطعتَ حبلكَ عنِّي ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية ربِّي ، يا ويلي كم أتوبُ وكم أعود ، قد حان لي أن أستحي من ربِّي عزَّ وجلَّ .

قال منصور : فلمّا سمعتُ كلامه قلت :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ [التحريم : ٦] .

فسمعتُ صوتاً واضطراباً شديداً ، فمضيتُ لحاجتي ، فلما أصبحتُ رجعتُ وأنا بجنازة على الباب ، وعجوز تذهب وتجيء ، فقلت لها : من الميت ؟ فقالت : إليكَ عنِّي ، لا تُجدِّد عليَّ أحزاني .

فقلت : إنِّي رجل غريب .

فقالت : هذا ولدي مرَّ بنا البارحة رجل ـ لا جزاه الله خيراً ـ فقرأ آيةً فيها ذكر النار ، فلم يزل ولدي يضطربُ ويبكي حتى مات .

قال منصور : هكذا والله صفة الخائفين » .

---

(١) النكال : العذاب .

٥٤٧ـ ما حُجَّتكُم إذا قدمتم عليه ؟ :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١٨١) ما نصه :

« قال حبيب العابد : دخلتُ البصرة فإذا أسواقها مغلقة وسككها خالية .

قلت : يا أهل البصرة ، أعندكم عيد لا أعرفه ؟

قالوا : لا ، ولكن الحسن بن أبي الحسن البصري في الجامع يعظ الناس .

قال : فبادرتُ إلى مجلسه ، فوجدتُه جالساً على مرتفع من الأرض وهو يقول :

أيُها الناس استعدُّوا للرحيل فلم يبقَ من الدنيا إلاَّ القليل ، وخذوا أُهبة التحويل ، فليس إلى البقاء من سبيل ، أما علمتم أنَّكم على أسِرَّةِ المنايا تُحملون ، وإلى البلاء في دار البلاء عن قريبٍ تُسلَمون ، وبأعمالكم التي عملتموها تُفردون ، وعلى دَيَّان يوم الدين تُعرَضون ، أمركم بالطاعة فما أطعتُم ، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتُم ، وخوَّفكم بالنار فما خفتُم ولا ارعويتُم ، وشوَّقكُم إلى الجنَّة فما اشتقتُم ولا اشتهيتُم .

فياذا الشَّيبة المؤذنة باقتراب الأجل ما انتظارُكَ ، ويا ذا الشَّيبة القادرة على اكتساب العمل ما اعتذارُكَ ، ويا أيُها المطيع لغيِّه وهواه ، المُضيِّعُ في حظِّه دُنياه من أُخراه ، المقيمُ على ذنوبه وخطاياه ، ليت شعري ما عُذركُم إذا وقفتُم بين يديه ؟! وما حُجَّتُكم إذا قدمتُم عليه ، لقد ضلَّ سعيكُم وخابَ قصدكُم ، فاستغفروا الله العظيم لي ولكم » .

٥٤٨ـ لا يقدس الناس إلاَّ بأعمالهم :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٥٠) و « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٦٨/٢ بولاق) ما نصه :

« قدمَ وفد أهل العراق على معاوية رضي الله عنه فلمّا دخلوا عليه قال :

مرحباً بكم يا أهل لاالعراق ، قدمتُم أرضَ الله المقدَّسة ، منها المنشر ، وإليها المحشر ، قدمتُم على خير أمير ، يَبَرُّ كبيركُم ، ويرحمُ صغيركُم ، ولو أن الناس كلَّهم ولَدُ أبي سفيان لكانوا حُلماءَ عُقلاء !

فأشارَ الناس إلى صعصعة بن صوحان ، فقام فحمد الله وصلَّى على النَّبي ﷺ ثم قال :

أمَّا قولُكَ يا معاوية : إنَّا قدمنا الأرض المقدَّسة ، فلعمري ما الأرض تُقدِّسُ الناس ، ولا يُقدِّسُ الناسَ إلاَّ أعمالُهُم ، وأمَّا قولكَ إنَّ منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفعُ قُربها كافراً ، ولا يضرُّ مؤمناً ، وأما قولكَ لو أن الناس كلُّهم ولَدُ أبي سفيان لكانوا حُكماء عُقلاء ، فقد ولدهم من هو خيرٌ من أبي سفيان ، آدم ﷺ ، فمنهم الحليم والسَّفيه ، والجاهل والعالم » .

٥٤٩ـ خذ من الدنيا لبدنكَ ومن الآخرة لقلبكَ :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٧/ ٢٠) في ترجمة الإمام الفقيه الربَّاني الزَّاهد سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال بشر بن الحارث : قال سفيان الثوري لبكر العابد :

يا بكر خذ من الدنيا لبدنك ، ومن الآخرة لقلبك .

قال بشر : يعني لبدنك ما لا بُدَّ منه ، ولقلبك ، أي أشغل قلبكَ بذكر الآخرة » .

٥٥٠ـ لستُ لكم بأمير :

جاء في كتاب « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي رحمهما الله تعالى (١/ ٨٩) ما نصه :

« يقول يوسف بن أسباط :

أراد سليمان الخوّاص أن يركب البحر ، فقالوا له : لابدَّ لنا من أمير .

فقال : أنا أميركم .

فبلغ ذلك سفيان الثوري فكتب إليه : الزُّهد في الرِّياسة أشدُّ من الزُّهد في الدنيا .

فلمّا قرأ الكتاب قال :

لستُ لكم بأمير » .

٥٥١ـ وصايا وحكم خالدة :

جاء في كتاب « بستان العارفين » للإمام النووي رحمه الله تعالى (ص ١٠٣ ، ١٣٠) ما نصه :

« قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ :

عليك بالزُّهد ، فالزُّهد على الزَّاهد أحسنُ من الحُليِّ على النَّاهد . من أحبَّ أن يفتحَ الله قلبَه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة ، وقلَّة الأكل ، وترك مخالطة السُّفهاء . وأفضلُ الأعمال ثلاثة : ذكر الله ، ومواساة الإخوان ، وإنصاف الناس من نفسك » .

٥٥٢ـ الدنيا كشجرة :

جاء في كتاب « فتوح الغيب » للشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى (المقالة ٤٥) ما نصه :

« قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ :

الدنيا كشجرة : الصبر أوّل ثمرتها مرٌّ وآخرها حلو ، لا يصلُ إلى حلاوتها حتى يتجرَّع مرارتها ، فمن صبر على بلائها حلا له نعيمها ، إنَّما يُعطى الأجير أجره بعد عرق جبينه وتعب جسده ، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الربِّ عزَّ وجلَّ وانتهاء نواهيه ، والتسليم لما يجري به القدر أعقبه الله عزَّ وجلَّ بذلك طيب العيش في آخر عمره » .

٥٥٣ـ ما أسعد من لا يرانا ولا نراه :

جاء في كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٥/ ٢٠١) في ترجمة غياث الدين السلجوقي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« أن أتابك زنكي صاحب الموصل أرسل إليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرذوري في رسالة ، فوصل إليه وأقام معه في العسكر ، فوقف يوماً على خيمة الوزير حتى قارب أذان المغرب ، فعاد إلى خيمته وأذَّن المغرب وهو في الطريق ، فرأى إنساناً فقيهاً في خيمة ، فنزل إليه فصلَّى معه .

فسأله كمال الدين : من أين هو ؟ فقال : أنا قاضي مدينة كذا .

فقال له كمال الدين : القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وهو أنا وأنت ، وقاضٍ في الجنة وهو من لا يعرفُ أبواب هؤلاء الظَّلَمة ولا يراهم .

فلمّا كان من الغد أرسل السلطان وأحضر كمال الدين ، فلمّا دخل عليه ورآه يضحك قال :

القضاة ثلاثة ، فقال كمال الدين : نعم يا مولانا .

فقال : والله صدقت ، **ما أسعد من لا يرانا ولا نراه** .

ثم أمر به فقُضيت حاجتُه ، وأعادَه من يومه » .

٥٥٤ـ هؤلاء يقاتلون عنَّا بسهام لا تُخطىء :

جاء في كتاب « الكامل » للشيخ عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى (١١/ ٢٩٥ـ٢٩٦) ما نصه :

« في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة :

أن نور الدين المذكور ـ يعني زنكي رحمه الله ـ نزل في البقيعة تحت حصن الأكراد في السنة المذكورة محاصراً لحصن الأكراد ، وعازماً على قصد طرابلس وهو في جميع عساكره ، فاجتمع من الفرنج خلقٌ كثير

وكبسوهم في النهار والمسلمون في غفلة عنهم ، فلم يتمكَّنوا من الاستعداد لهم ، وهربوا منهم ، ونجا نور الدين بنفسه ، وهي وقعة مشهورة معروفة ، ونزل على بحيرة قلس بالقرب من حمص ، وبينه وبين الفرنج مقدار أربعة فراسخ ، فسير إلى حلب وبقيَّة البلاد وأحضروا الأموال الكثيرة وأنفقها ليقوِّي جيشه ثم يعود إليهم فيستوفي الثَّأر .

فقال له بعض أصحابه : إن في بلادك إدرارات وصدقات وصلات كثيرة على الفقهاء والصوفية والقُرَّاء ، ولو استعنتَ بها في هذا الوقت لكان أصلح .

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال :

إنِّي لا أرجو النَّصر إلاَّ بأولئك ، فإنَّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم ، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عنِّي وأنا نائم على فراشي بسهام لا تُخطىء ، وأصرفُها إلى من لا يقاتل عنِّي إلاَّ بسهام قد تصيب وقد تُخطىء ؟ وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال فكيف يحلُّ أن أعطيه غيرهم ؟ » .

٥٥٥ـ أجيش لك جيشاً لا تخيب سهامه :

جاء في كتاب « أخبار الدولة السلجوقية » (ص ٦٧) وكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان رحمه الله تعالى (٥/ ٢٨٧) في ترجمة السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال صاحب « الدول المنقطعة » : ومن جملة ما سعى تاج الملك في نظام الملك الوزير أن قال للسلطان :

إنه ينفق في كل سنة على أرباب المدارس والرباطات ثلاثمائة ألف دينار ، ولو جيَّشَ بها جيشاً لبلغ باب القسطنطينية ، فاستحضر النظام واستفسره عن الحال ، فقال :

يا سلطان العالم ، إنِّي أنا رجل شيخ ، ولو نودي عليَّ لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير ، وأنت حدث لو نودي عليك لما زادت قيمتُكَ على ثلاثين

ديناراً ، وقد أعطاكَ الله تعالى ، وأعطاني بكَ ما لم يُعطه أحداً من خلقه ، أفلا نعوِّضه عن ذلك في حَمَلة دينه ، وحَفَظَة كتابه ثلاثمائة ألف دينار ؟ ثم إنك تُنفقُ على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال ، مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغُ رميتُه ميلاً ، ولا يضربُ بسيفه إلاَّ ما قرب منه ، وأنا أجيش لله بهذا المال جيشاً تصل من الدعاء سهامُه إلى العرش لا يحجبُها شيء عن الله تعالى .

فبكى السلطان وقال : يا أبتِ استكثر من الجيش ، والأموال مبذولة لله ، والدنيا بين يديك » .

٥٥٦ـ لن يزال البلد بخير ما كان فيه مثل هذا الشيخ :

جاء في كتاب « ترتيب المدارك » للقاضي عياض رحمه الله تعالى (٤/ ٤٢٥ـ٤٢٦) في ترجمة الإمام الفقيه إسحاق بن إبراهيم بن مسرة أبو إبراهيم التجيبي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« لمّا أُخذت الشَّهادات على أبي الخير المسمى بأبي الشرِّ ، الزنديق ، أفتى أبو بكر بن السليم ، والحجازي في جماعة ، بالأعذار له فيمن شهد عليه ، وأفتى أبو إبراهيم وابن المشاط والقاضي منذر بطرح الأعذار في جماعة . وكان أشدُّهم في ذلك إسحاق بن السليم ، والد أبي بكر ، وخالف ابنه في ذلك ، فأمر الحكم بالأخذ برأي أبي إبراهيم وأصحابه ، وأمر بقتله دون أعذار .

فكتبَ إليه أبو إبراهيم كتاباً يشكره فيه على حياطة الدين ، ويعتذرُ عن تخلُّفه عنه لبرد اليوم ، وتوالي المطر .

فأجابه الحكم بجواب منه :

وجزاك الله عن الدين والحياطة للإسلام خيراً ، فلقد وقع رأيكَ مني أفضل موقع ، وقد أحسنت في توقُّفكَ والأخذ بالقدر ، الذي عاقك بما أحبَّ ، إلى ما أحاطكَ الله به ، وأصلح من حالك ، ولقد قلت لمن حضر في يوم السبت إثر خروجك :

لن يزال هذا البلد بخير ما كان فيه مثل هذا الشيخ ، أكثر الله فيه مثله ، اعترافاً لله بالنعمة فيك ، وهذه بصيرتي فيك ، فاعلمه » .

٥٥٧ـ قلوب الأبرار وقلوب الفجّار :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٤٢٨) ما نصه :

« قال بعض الحكماء لابنه :

يا بُنيَّ ، إنَّ سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يَلْتَقونَ كائتلاف قطر المطر بماء الأنهار ، وبُعْدَ قلوبِ الفُجَّار من الائتلاف ـ وإن طال تعاشُرُهم ـ كبُعْدِ البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافُها على أريٍ واحد » .

٥٥٨ـ اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة :

جاء في كتاب « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى (٢٠/٤٤٣) ما نصه :

« ... سمعتُ الشيخ أبا بكر العماد رحمه الله يقول :

كنتُ قرأتُ في أصول الدين فأوقع عندي شكًّا ، فقلت : حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر ، فقد ذُكر أنه يتكلَّم على الخواطر ، فمضيتُ إليه وهو يتكلَّم ، فقال :

اعتقادُنا اعتقادُ السلف الصالح والصحابة .

فقلتُ في نفسي : هذا قاله اتِّفاقاً .

فتكلَّم ثم التفتَ إلى ناحيتي فأعاده .

فقلتُ : الواعظ قد يلتفتُ ، فالتفتَ إليَّ ثالثةً وقال :

يا أبا بكر ، فأعاد القول نفسه ، ثم قال : قم قد جاء أبوك .

وكان أبي غائباً ، فقمتُ مُبادراً ، فإذا أبي قد جاء » .

٥٥٩ـ اعملوا ولا تكونوا عالة على الناس :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٦/ ٣٨٢) ما نصه :

« قال سفيان ـ يعني الثوري ـ رحمه الله :

قدمتُ البصرة فجلستُ إلى يوسف بن عبيد ، فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير ، فقلتُ :

يا معشر القُرَّاء ، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ، **واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس** .

فرفع يوسف رأسه إليهم فقال :

قوموا فلا أعلمنَّ أحداً منكم جالسَني حتى يكسبَ معاشه من وجهه ، فتفرَّقوا .

قال سفيان : فوالله ما رأيتهم عنده بعد » .

٥٦٠ـ لا تُصلِّ خلفَه :

جاء في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (٧/ ٢٨) ما نصه :

« يقول بشر بن منصور :

سمعتُ سفيان الثوري يقول : وسأله رجل فقال :

على بابي مسجد إمامه صاحب بدعة .

قال : **لا تُصلِّ خلفَه** .

قال : تكون الليلة المطيرة ، وأنا شيخ كبير ، قال :

لا تُصلِّ خلفَه » .

٥٦١ـ ماذا لقي الأحبّة ؟ :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١٦٢ـ١٦٣) ما نصه :

« دخل عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ فبكى بكاءً شديداً حتى احمرَّت عيناه ، فقيل في ذلك فقال :

أتيتُ قبورَ الأحبَّة فسلَّمْتُ عليهم ، فلم يردُّوا جواباً ، فلمّا ذهبتُ لأنصرفَ ناداني التُّراب :

يا عمر ألا تسألني ماذا لقي الأحبَّة ؟

قلتُ : بلى!

قال : خُرِقَت الأكفان ، ومُزِّقَت الأبدان ، وتغيَّرَت الألوان .

فبكيتُ لذلك بكاءً شديداً » .

٥٦٢ـ أبكي لأنّي رأيتُ كُلاً منكم يبكي لنفسه لا لي :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١١١) ما نصه :

« كان بالبصرة عابدٌ قد أجهده الخوف والوَلَه ، وأسقمَه البكاء وأنحَلَه ، فلمّا حضرته الوفاة جلس أهله يبكون حوله ، فقال لهم :

أجلسوني ، فأجلسوه ، فأقبل عليهم وقال لأبيه :

يا أبَتِ ما الذي أبكاكَ ؟!

قال : يا بُنيَّ ذكرتُ فقدكَ وانفرادي بعدك .

فالتفتَ إلى أمّه وقال : يا أمَّاه ما الذي أبكاكِ ؟!

قال : لتجَرُّعي مرارةَ ثكلِكَ .

فالتفتَ إلى الزَّوجةِ وقال : ما الذي أبكاكِ ؟!

قالت : لفقد بِرِّكَ وحاجتي لغيرك .

فالتفتَ إلى أولاده وقال : ما الذي أبكاكم ؟!

قالوا : لذُلّ اليُتم والهوانِ بعدكَ .

فعند ذلك نظر إليهم وبكى!

فقالوا له : ما يُبكيكَ أنت ؟

قال : أبكي لأنّي رأيتُ كلاً منكم يبكي لنفسه لا لي ، أما فيكم مَنْ بكى لطول سفري ؟ أما فيكم مَنْ بكى لقلّة زادي ؟ أما فيكم مَنْ بكى لمضجعي في التراب ؟ أما فيكم مَنْ بكى لما ألقاهُ من سوء الحساب ؟ أما فيكم مَنْ بكى لموقفي بين يديّ ربّ الأرباب ؟

ثم سقطَ على وجهه ، فحرَّكوه فإذا هو ميت » .

٥٦٣ـ اجعل وفودي إليك عتق رقبتي من النار :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٤/ ٣٣٢ـ٣٣٣) ما نصه :

« عن محمد بن صالح قال :

بينما أنا في الطواف إذ نظرتُ إلى أعرابيٍّ بدويٍّ مُتعلّقٍ بأستار الكعبة ، وقد شخَصَ بصرُه نحو السماء وهو يقول :

يا خيرَ مَنْ وفدَ الأنامُ إليه ، ذهبت أيّامي ، وضَعُفَتْ قُوّتي ، وقد وردتُ إلى بيتكَ المُعظَّم المُكرَّم بذنوبٍ كثيرة لا تسعُها الأرض ولا تغسلُها البحار ، مُستجيراً بعفوكَ منها ، وحططتُ رَحْلي بفنائكَ ، وأنفقتُ مالي في رضاكَ ، فماذا الذي يكون من جزائكَ يا مولاي ؟

ثم أقبلَ على الناس بوجهه فقال :

يا معشرَ الناس ، ادعوا لمَنْ وكزته الخطايا ، وغمرته البلايا ، ارحموا أسير ضُرٍّ وغريبَ فاقةٍ ، سألتُكم بالذي عمَّتكم الرَّغبةُ إليه ، إلاَّ سألتُم الله تعالى أن يهبَ لي جُرمي ويغفرَ لي ذنوبي . . . ثم عاودَ التعلُّقَ بأستار الكعبة وقال :

إلهي وسيِّدي ، عظيمُ الذَّنب مكروب ، وعن صالح الأعمال مردود ، وقد أصبحتُ ذا فاقةٍ إلى رحمتكَ مولاي .

قال محمد بن صالح : ثم رأيتُه بعرفات وقد وضع يساره على أُمِّ رأسه يصرخُ ويبكي ويشهقُ ويقول :

إلهي وسيِّدي ومولاي أضحكتَ الأرض بالزَّهر ، وأمطرتَ السماء بالرَّحمة ، والذي أعطيتَ الموحِّدين إنَّ نفسي لواثقةٌ لي ولهم منكَ بالرِّضا ، وكيف لا يكون ذلك وأنتَ حبيبُ مَنْ تحبَّبَ إليك ، وقُرَّةُ عين من لاذَ بك وانقطعَ إليك ؟

يا مولاي حقًّا حقًّا أقول : لقد أمرتَ بمكارم الأخلاق ، فاجعل وفودي إليكَ عتق رقبتي من النار » .

٥٦٤ـ إنِّي أعِظكُم ولستُ بخيرِكُم :

جاء في كتاب « الحسن البصري » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٩١ـ٩٢) ما نصه :

« كان يقول ـ رحمه الله تعالى ـ :

أيُّها الناس إنِّي أعظكُم ولستُ بخيرِكُم ، ولا أصلحكم وإنِّي لكثير الإسراف على نفسي ، غير محكم لها ، ولا حاملها على الواجب في طاعة ربِّها ، ولو كان المؤمن لا يعظ أخاه إلاَّ بعد إحكام أمر نفسه لعدم الواعظون ، وقَلَّ المُذكِّرون ، ولما وجد من يدعو إلى الله جلَّ ثناؤه ، ويرغب في طاعته ، وينهى عن معصيته .

ولكن في اجتماع أهل البصائر ومُذاكرة المؤمنين بعضهم بعضاً حياة لقلوب المُتَّقين ، وإذكار من الغفلة ، وأمن من النسيان ، فالزموا عافاكم الله مجلس الذِّكر ، فرُبَّ كلمة مسموعة ، ومحتقر نافع ، اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتُم مسلمون » .

٥٦٥ـ مرحباً بمن افتخر به منذ سنين :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٤/ ٤٥٠ـ٤٥١) في ترجمة إمام المحدِّثين الإمام المُحدِّث الحافظ الربَّاني محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . حدَّثنا محمد بن أبي حاتم ، قال :

سمعتُ محمد بن إسماعيل البخاري يقول : لمّا دخلتُ البصرة صرتُ إلى مجلس محمد بن بَشَّار ، فلمّا خرج وقع بصرُه عليَّ فقال :

من أين الفتى ؟ قلتُ : من أهل بخارى .

قال : كيف تركتَ أبا عبد الله ؟ فأمسكتُ .

فقال له أصحابُهُ : رحمكَ الله هو أبو عبد الله !

فقامَ فأخذَ بيدي وعانقني وقال :

مرحباً بمَنْ أفتخرُ به منذ سنين » .

٥٦٦ـ لن يُرى مثلهم :

جاء في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٢/ ٤١٢) ما نصه :

« قال إبراهيم بن إسحاق الحربيُّ ـ رحمه الله ـ :

أدركتُ ثلاثةً لن يُرى مثلهم أبداً ، تعجزُ النساء أن يَلِدْنَ مثلهم :

رأيتُ أبا عبيد القاسم بن سلام ما مثلته إلاَّ بجبلٍ نُفِخَ فيه رُوح ، ورأيتُ بشر بن الحارث فما شَبَّهْتُهُ إلاَّ برجلٍ عُجِنَ من قَرنه إلى قدَمِهِ عقلاً ، ورأيتُ أحمد بن حنبل فرأيتُ كأن الله جَمَعَ له عِلْمَ الأوَّلين من كلِّ صنفٍ يقول ما شاء ويُمسكُ ما شاء » .

٥٦٧ـ أبى فضيلٌ حتى ناصفه :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٣٠٨/٢٣) في ترجمة الإمام الزَّاهد فضيلُ بن مرزوق الأغر الرقاشيُّ رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال الحسين بن الحسن المروزيُّ : سمعتُ الهيثم بن جميل يقول :

جاءَ فُضيل بن مرزوق ، وكان من أئمَّة الهُدى زُهداً وفضلاً إلى الحسن بن حيّ ، وكان لا يأتيه ولا يُعلمه أنه ليس عنده إلاَّ عند ضيق شديد فيُخبره ، فأتاه فأخبره أنه ليس عندهم .

فقام الحسن فأخرج ستَّة دراهم ، وأخبره أنه ليس عنده غيرها .

فقال : سبحان الله ليس عندك غيرها وأنا آخذها ، فأبى الحسن إلاَّ أن يأخُذها كلَّها ، وأبى فضيلٌ حتى ناصفَه فأخذ ثلاثة وتركَ ثلاثة » .

٥٦٨ـ كيف تؤذي مسلماً ؟ :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٣/ ٢٩١) في ترجمة الإمام الربَّاني الزَّاهد الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال الفيض بن إسحاق الرَّقيُّ :

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى :

واللهِ ما يحِلُّ لكَ أن تؤذي كَلْباً ولا خِنزيراً بغير حقٍّ ، فكيف تؤذي مسلماً ؟! » .

٥٦٩ـ خصلتان من الخير :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٦/ ١٠٩ـ١١٠) في ترجمة الإمام المحدِّث عبد الله بن محيريز بن جنادة القرشي الجمحي رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال رجاء بن أبي سلمة عن خالد بن دُريك :

كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحدٍ ممّن أدركتُ من هذه الأُمّة : كان من أبعدِ الناس أن يسكتَ عن حقٍّ بعد أن يتبيَّن له ، يتكلَّمُ فيه ، غَضِبَ في الله مَنْ غَضِب ، ورَضِيَ فيه مَنْ رَضِي .

وكان من أحرصِ الناس أن يكتمَ من نفسه ، أحسنَ ما عنده » .

٥٧٠ـ احلف على كلٍّ ما ظلمَكَ فيه :

جاء في كتاب « البيان المُغرب » لابن عذاري المراكشي رحمه الله تعالى (٢/ ٦٦) في سيرة الأمير الأموي الأندلسي هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« اعترضَ له يوماً فتظلَّم من أحد عُمَّاله ، فأحضر الشَّاكي وقال له :

احلف على كلٍّ ما ظلمَكَ فيه ، فإن كان ضربَكَ فاضربه ، أو هتَكَ لك سِتراً فاهتك سِترَه ، أو أخذَ لكَ مالاً فخُذْ من ماله مثله ، إلاَّ أن يكون أصابَ منكَ حدًّا من حدود الله .

فجعل الرجل لا يحلفُ على شيء إلاَّ أُقيد منه » .

٥٧١ـ ما أعظمَ بليَّتَنا بهذه الحاشية :

جاء في كتاب « البيان المُغرب » لابن عذاري المراكشي رحمه الله تعالى (٢/ ٢٨٩) في ترجمة السلطان المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« أن رجلاً من العامَّة وقف عليه في مجلسه وقال :

يا ناصر الحقِّ ، إن لي ظُلامَة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك .

وأشار إلى الفتى صاحب الدرقة ـ وكان له في هذا الوقت فضل منزلة عند المنصور ـ ثم قال الرجل :

وقد دعوتُه إلى الحاكم فلم يأتِ .

فقال المنصور : أو عبد الرحمن بن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة ، وكنّا نظنُّه أمضى من ذلك ؟

ثم قال للرجل : اذكر مظلمتَكَ يا هذا ؟

فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير نُصف .

فقال المنصور : ما أعظمَ بليّتنا بهذه الحاشية!

ثم نظر إلى الصقلبي ، وقد ذُهِلَ عقلُه ، فقال :

ادفع الدرقة إلى فلان ، وانزل صاغراً ، وساوِ خصمكَ في مقامه حتى يرفعكَ الحقُّ أو يضعك .

ثم قال لصاحب شرطته الخاصِّ به :

خُذ بيد هذا الظالم الفاسق ، وقدِّمه مع خصمه إلى صاحب المظالم ليُنفِّذ عليه حُكمه بأغلظ ما يوجبُهُ الحقُّ من سجنٍ أو غيره .

ففعل ذلك وعاد الرجل إلى المنصور يشكرُه .

فقال له المنصور :

قد انتصفتَ أنت ، فاذهب لسبيلِكَ ، وبقي انتصافي أنا ممَّن تهاونَ في منزلتي ، وتناول الصَّقلَّبي بأنواعٍ من المذلَّةِ ، وأبعدَهُ عن الخدمة » .

٥٧٢ـ لو أخذني الحقُّ ما أطقتُ الامتناعَ عنه :

جاء في كتاب « نفح الطيب » لأحمد بن المقري التلمساني رحمه الله تعالى (١/ ٤١٠ـ٤١١) في ترجمة المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« ومن ذلك قصة محمد فصَّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه ، فإن المنصور احتاجه يوماً إلى الفَصد ، وكان كثير التعهُّد له ، فأنفذ رسوله إلى محمد ، فألفاهُ الرسول محبوساً في سجن القاضي محمد بن زرب لِحَيْفٍ ظهر منه على امرأته قدَّر أن سبيله في الخدمة يحميه من العقوبة .

فلمّا عاد الرسول إلى المنصور بقصَّته أمر بإخراجه من السجن مع رقيبٍ

من رُقباء السجن يلزمُهُ إلى أن يفرغَ من عمله عنده ، ثم يردُّه إلى محبسه ، ففعل ذلك على ما رسمَه .

وذهب الفاصدُ إلى شكوى ما ناله ، فقطع عليه المنصور ، وقال له :

يا محمد ، إنه القاضي ، وهو في عَدْله ، ولو أخذني الحقُّ ما أطقتُ الامتناعَ منه ، عُدْ إلى محبسكَ أو اعترف بالحقِّ فهو الذي يُطلقُكَ .

فانكسر الحاجم ، وزالت عنه ريحُ العناية ، وبلغت قصَّتُه للقاضي ، فصالحَهُ مع زوجته ، وزاد القاضي شدَّةً في أحكامه » .

٥٧٣- إذا خشعَ جبَّار الأرض فقد رحِمَ جبَّارُ السماء :

جاء في كتاب « نفح الطيب » لأحمد بن المقري التلمساني رحمه الله تعالى (١/ ٥٧٣) في ترجمة الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الناصر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« أن الخليفة الناصر طلبه مرة - يعني القاضي منذر بن سعيد - للاستسقاء واشتدَّ عزمُهُ عليه ، فتسابق الناس للمُصلَّى .

فقال للرسول - وكان من خواصِّ الناس - :

ليت شعري ، ما الذي يصنعُهُ الخليفة سيدنا ؟

فقال له : ما رأينا قطُّ أخشعَ منه في يومنا هذا ، إنه مُنتبذٌ حائرٌ منفرِدٌ بنفسه ، لابِسٌ أخسَّ ثيابه ، مُفترِشٌ التراب ، وقد رمَّدَ به على رأسه وعلى لحيته ، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول :

هذه ناصيتي بيدك ، أتُراكَ تُعذِّبُ بي الرعيَّة وأنتَ أحكمُ الحاكمين ؟ لن يفوتَكَ شيءٌ منِّي .

قال الحاكي : فتهلَّلَ وجه القاضي منذر عندما سمع قوله ، وقال :

يا غلام ، احمل المطر معك فقد أذِنَ الله تعالى بالسُّقيا ، إذا خشعَ جبَّارُ الأرض فقد رَحِمَ جبَّارُ السماء ، وكان كما قال ، فلم ينصرف الناس إلاَّ عن السُّقيا » .

٥٧٤ـ أن تُجيب فلا تُبطىء ، وتقول فلا تُخطِىء :

جاء في كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة رحمه الله : (٢/ ١٧٢) ما نصه :

« قال معاويةُ لصُحار العبديّ : ما هذه البلاغة فيكم ؟ فقال : شيء تجيش به صدورنا ثم تقذفه على ألسنتنا .

فقال رجل من القوم : هؤلاء بالبُسْرِ أبصر فقال صُحار : أَجل . والله إنَّا لنعلم أنَّ الريح تُلقحه ، وأنَّ البرد يُعقده ، وأن القمرَ يَصبُغه ، وأَنَّ الحرَّ يُنضجه .

فقال معاوية : ما تعُدُّون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز .

قال : وما الإيجاز ؟

قال : أن تُجيب فلا تبطىء ، وتقول فلا تُخطِىء .

ثم قال : يا أمير المؤمنين! حسن الإيجاز ألا تبطىء ولا تخطىء » .

٥٧٥ـ عقوبة لما وضعت في نفسي :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (١٢/ ٣٢١) ما نصه :

« عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي قال :

اعتلَّ أبو زرعة الرازي ، فمضيتُ مع أبي لعيادته ، فسأله أبي عن سبب هذه العِلَّة .

فقال : بِتُّ وأنا في عافية ، فوقعَ في نفسي أنّي إذا أصبحتُ أخرجتُ من الحديث ما أخطأ فيه سفيان الثوري .

فلمّا أصبحتُ خرجتُ إلى الصلاة ، وفي دربنا كلبٌ ما نبحَني قطُّ ، ولا رايتُه عدا على أحد ، فعدا عليَّ وعقرَني ، وحُمِمتُ .

فوقعَ في نفسي أن هذا لما وضعتُ في نفسي ، فأضربتُ عن ذلك الرأي » .

٥٧٦ـ ألسنا نستدلُّ على الشاهد بالغائب ؟ :

جاء في كتاب « مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى (٢/ ٣٥٣ـ٣٥٤) ما نصه :

« عن المبرد قال : حدِّثتُ عن الخليل بن أحمد قال :

اجتزتُ في بعض أسفاري ، وأنا مُتوجِّهٌ براهبٍ في صومعة ، فدققتُ عليه والمساء قد أزِفَ جدًا ، وقد خفتُ من الصحراء ، وسألتُهُ أن يُدخلَني .

قال : فقال : من أنت ؟

فقلت : أنا الخليل بن أحمد .

فقال : أنتَ الذي يزعمُ الناس أنك وجه ، وواحد في العلم بأمر العرب ؟

فقلت : كذا يقولون ، ولستُ كذلك .

قال : إن أجبتَني عن ثلاث مسائل ، جواباً مُقنعاً ، فتحتُ لك ، وأحسنتُ ضيافتكَ ، وإلاّ لم أفتح لك .

فقلت : وما هي ؟

قال : ألسنا نستدلُّ على الشاهد بالغائب ؟

قلت : بلى .

قال : فأنتَ تقول : إن الله تعالى ليس بجسمٍ ولا عَرَضٍ ، ولم نرَ له مَثَلاً ، فبأيِّ شيءٍ أثبته ؟

وأنتَ تزعم : أن الناس في الجنة يأكلون ويشربون ، ولا يتغوَّطون ، وأنت لم ترَ آكلاً شارباً إلاَّ متغوِّطاً ؟

وأنتَ تقول : إن نعيم أهل الجنة لا ينقضي ، وأنت لم ترَ شيئاً إلاَّ منقضياً .

قال : فقلتُ له : بالشاهد الحاضر ، استدللتُ على ذلك كلِّه .

أما الله تعالى ، فإنِّي استدللتُ عليه بأفعاله الدالَّة عليه ، أنَّه لا مثل له ، وفي الشاهد مثل ذلك ، الرُّوحُ التي فيك ، وفي كل حيوان ، نعلمُ أنه يُحسُّ بها تحت كلِّ شعرة منَّا ، ونحن لا ندري أين هي ؟ ولا كيف هي ؟ ولا ما صفتها ولا جوهرها ؟ ثم نرى الإنسان من الناس يموت إذا خرجَتْ ، ولا يحسُّ بشيء ، وإنَّما استدللتُ عليها بأفعالها ، وبحركاتها ، وتصرُّفنا بكونها فينا .

وأمّا قولُكَ : إنَّ أهل الجنة لا يتغوَّطون ، مع الأكل ، فالشاهد لا يمنعُ ذلك ، ألا تعلم أن الجنين يتغذَّى في بطنِ أُمِّه ، ولا يتغوَّط ؟

وأمَّا قولُكَ : إنَّ نعيم أهل الجنة لا ينقضي ، مع أن أوَّله موجود ، فإنَّا نجدُ أنفسنا نبتدىء بالحساب بالواحد ، ثم لو أردنا أن لا ينقضي إلى ما لا نهاية له ، لم نزل نُكرِّرُه ، وأعداده ، وتضعيفه ، إلى ما لا انقضاء له .

قال : ففتحَ لي الباب ، وأحسنَ ضيافتي » .

٥٧٧ـ مولد شامي ، وأدب عراقي :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٧/ ٢٠١) في ترجمة الإمام الجليل عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثُّمالي أبو عبيد الله الشامي الحمصي ، يقال : إنَّ له صُحبة رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« ... حدَّثني الوليد بن عبد الله بن مروان الأزدي قال : سمعتُ جُنادة بن مروان يقول : سمعتُ أبي يذكر قال :

لمّا أُتي الحجاج بعبد الرحمن بن عائذ أسيراً يوم الجماجم ، وكان به عارفاً .

فقال له الحجاج : عبد الرحمن بن عائذ ، كيف أصبحت ؟

قال : كما لا يريد الله ، ولا يريد الشيطان ، ولا أريد .

قال له : ما تقول ويحك ؟

قال : نعم ، يريدُ الله أن أكونَ عابداً زاهداً ، وما أنا بذاك .

ويريدُ الشيطان أن أكون فاسقاً مارقاً ، والله ما أنا بذاك .

وأُريد أن أكون مُخلَّى سِربي ، آمناً في أهلي ، والله ما أنا بذاك .

فقال له الحجاج : مولد شاميّ ، وأدب عراقي ، وجيراننا إذ كُنّا في الطائف ، خَلُّوا عنه » .

٥٧٨ـ كلامٌ يُكتَبُ بالذَّهب :

جاء في كتاب « الثقات » للعجلي (الورقة ٣٥) و « تهذيب الكمال » للحافظ المزي (١٨/ ٤١١ـ٤١٢) في ترجمة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي أبو الوليد المدني ثم الدمشقيُّ أمير المؤمنين رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« وقال أحمد بن عبد الله العجلي : كان أبخر ، وولدَ لستَّة أشهر ، وخطبَ خطبةً بليغةً ثم قطَعَها ، وبَكى بُكاءً شديداً ، ثم قال :

يا ربِّ إنَّ ذنوبي عظيمة ، وإنَّ قليل عفوكَ أعظم منها ، فامْحُ بقليلِ عفوكَ عظيمَ ذنوبي .

فبلغَ ذلك الحسن فبكى وقال :

لو كان كلامٌ يُكتَبُ بالذَّهب لكُتِبَ هذا الكلام » .

٥٧٩ـ العلم زينٌ في المجلس :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٨/ ٣٩١) في ترجمة إمام أهل اللغة والنحو والعالم بأشعار العرب عبد الملك بن قُرَيْب أبو سعيد الأصمعي البصري صاحبُ اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح والنوادر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال أبو حمزة الأنصاريُّ : قال الأصمعيُّ :

رآني أعرابيٌّ وأنا أطلبُ العِلمَ ، فقال :

يا أخا الحَضَر عليكَ بلزومِ ما أنتَ عليه فإنَّ العِلمَ زينٌ في المجلس ، وصلةٌ بين الإخوان ، وصاحبٌ في الغُرْبة ، ودليلٌ على المروءة ، ثم أنشأ يقول :

تعلَّم فليس المرءُ يُخلَقُ عالماً　　وليس أخو عِلمٍ كمَنْ هو جاهلُ

وإنَّ كبيرَ القومِ لا عِلمَ عندَهُ　　صغيرٌ إذا التفت عليه المحافلُ »

٥٨٠ـ انصرف عنِّي فقد شَغَلْتَني :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١٠١) ما نصه :

« قال سري السقطي :

كنتُ في بعض سياحتي فمررتُ بمغارةٍ فسمعتُ فيها أنيناً يتبعُه حنين ، فقربتُ من المغارة ، فإذا أنا بفتى قد أنحلته أحزانُه ، وأقلقته أشجانُه ، وبكى عليه مكانُه .

فقلتُ له : يا فتى فيمَ النَّجاة ؟

قال : في أداءِ الفرائض ورَدِّ المظالم ، والإنابةِ إلى الله عزَّ وجلَّ .

فقلتُ له : هل لكَ أن تعظني ؟

قال لي : عِظْ نفسَكَ بنفسِكَ ، وراقب الله في الخلوات يُكفِّرْ عنكَ السيِّئات ، ويُباهي بكَ أهل السموات .

قلتُ له : زِدني .

قال : إنَّ لله عباداً خلقهم لخدمته واصطفاهم لمحبَّته ، ومنح قلوبَهم الإقبالَ عليه ، وسقاهم بكأس الشَّوقِ إليه ، فطاشت من الفكر أحلامُهم ، واصفرَّت من السهر ألوانُهم ، فأجفانُهم من كثرة البكاء مقروحة ، وأكبادُهم من شدَّةِ الظَّما مجروحة . . . ثم قال :

انصرف عنِّي فقد شَغَلْتَني » .

٥٨١ـ أصلحك الله وأنا ابن السبيل :

جاء في كتاب « معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان » (٢/ ٨) ما نصه :

« عن أسد بن الفرات ـ رحمه الله ـ قال :

كنتُ يوماً جالساً في حلقة محمد بن الحسن حتى صاح صائح : الماء ، السبيل ، فقمتُ مُبادِراً ، فشربتُ الماء ، ثم رجعتُ إلى الحلقة ، فقال لي محمد بن الحسن :

يا مغربيّ ، أتشربُ ماء السبيل ؟

فقلتُ : أصلحكَ الله وأنا ابن السبيل ، ثم انصرفتُ .

فلمّا كان الليل إذ أتانا إنسان فقرع الباب ، فخرجتُ إليه ، فإذا بخادم محمد بن الحسن فقالت :

مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقولُ لكَ : ما علمتُ أنَّكَ ابنُ السبيل غير يومي هذا ، فخُذْ هذه النَّفقة فاستعن بها على حاجتك ، ثم دفعت إليَّ صُرَّةً ثقيلة ، فقلتُ في نفسي : هذه دراهم ، وفرحتُ بها ، فلمّا دخلتُ بيتي ، وفتحتها ، فإذا فيها ثمانون ديناراً » .

٥٨٢ـ إنَّا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم :

جاء في « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٦٨) ما نصه :

« وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية ، فأذِنَ للأحنف ثم أذِنَ لابن الأشعث ، فأسرعَ في مشيته حتى تقدَّم الأحنف ودخل قبله .

فلمّا رآه معاوية غمَّه ذلك وأحنقه ، فالتفتَ إليه ، فقال :

والله إنِّي ما أذنتُ له قبلكَ ، وأنا أُريدُ أن تدخلَ قبلَه ، وإنَّا كما نَلي أُموركم كذلك نلي آدابكم ، ولا يزيدُ مُتزيِّدٌ في خطوه إلاَّ لنقصٍ يجدُهُ من نفسه » .

٥٨٣ـ اكتب هذه الكلمات الأربع :

جاء في كتاب « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٤٢٨) ما نصه :

« أن ذا الرِّياستين ـ يعني الفضل بن سهل ـ ركبَ رَكبَةً لم يُركَب مثلها بخراسان وبين يديه أربعة آلاف سائفٍ ، وألفا حاملِ قوسٍ ، فلمّا صار بقُربِ الماخورِ برَزَ إليه رجلٌ كأنَّ الأرضَ انشقَّتْ عنه ، فقال :

أيُّها الأمير ، اسمع تَنْتَفِع وتَنْفَع .

قال : قُلْ ، قال :

الأجلُ آفةُ الأمل ، والمعروفُ ذخيرةُ الأبرار ، والبِرُّ غنيمةُ الحازم ، والتفريطُ مُصيبةُ أخي القُدْرَة .

فدعا الفضل كاتبه وهب بن سعيد بن سليمان بن الحسن ، فقال :

اكتب هذه الكلمات الأربع ، وأعطه أربعة آلاف درهم » .

٥٨٤ـ أطلق فُلاناً فقد أُجيبت فيك دعوتُه :

جاء في كتاب « نفح الطيب » لأحمد بن المقري التلمساني رحمه الله تعالى (١/ ٦٠١) في ترجمة السلطان الكبير المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال صاحب كتاب « روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار » :

لمّا أَمَرَ المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمُطبِق في الزهراء ، ودَّع أهله وودَّعوه وداع الفرقة ، وقال لهم :

لستُم تروني بعدها حيًا ، فقد أتى وقت إجابة الدعوة ، وما كنتُ أرتقبُهُ منذُ أربعين سنة ، وذلك أنِّي أشركتُ في سجن رجل في عهد الناصر وما أطلقتُه إلاَّ برؤيا رأيتُها بأن قيل لي : أطلق فُلاناً فقد **أُجيبت فيك دعوتُه** ، فأطلقتُه ، وأحضرتُه ، وسألتُه عن دعوته عليَّ ، فقال :

دعوتُ على من شاركَ في أمري أن يُميته الله في أضيق السجون .

فقلتُ : إنَّها قد أُجيبت ، فإنِّي كنتُ ممَّن شاركَ في أمره ، وندمتُ حين لا ينفعُ النَّدم ، فيُروى أنَّه كتبَ للمنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات :

هبني أسأتُ فأينَ العفوُ والكرمُ ... إذ قادَني نحوكَ الإذعانُ والنَّدمُ

يا خيرَ مَنْ مُدَّت الأيدي إليه أما ... تَرثي لشيخٍ نعاهُ عندكَ القلمُ

بالغتَ في السُّخطِ فاصفَحْ صَفحَ مُقتدِرٍ ... إنَّ الملوكَ إذا ما استُرحِموا رحِموا

فأجابَه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري :

يا جاهلاً بعد ما زلَّتْ بكَ القدَمُ ... تَبغي التكرُّمَ لما فاتَكَ الكرَمُ

ندمتَ إذ لم تعد منِّي بطائلةٍ ... وقلَّما ينفعُ الإذعانُ والنَّدمُ

نفسي إذا جمحت ليست براجعةٍ ... ولو تشفَّعَ فيكَ العربُ والعجمُ

فبقي في المطبق حتى مات ، نعوذُ بالله من دعوةِ المظلوم » .

٥٨٥ـ قَوِّمْهُ ما استطعتَ بالقُربُ والمُلاينة :

جاء في كتاب « مروج الذهب » للمسعودي رحمه الله تعالى (٣/ ٣٦٢) ما نصه :

« قال الأحمر النحوي : بعثَ إليَّ الرَّشيدُ لتأديب ولدِه محمد الأمين ، فلمّا دخلتُ قال :

يا أحمر ، إنَّ أمير المؤمنين قد دفعَ إليكَ مُهجة نفسه ، وثمرةَ قلبه ، فصيِّر يدكَ عليه مبسوطة ، وطاعتكَ عليه واجبة ، فكن له بحيث وضعكَ أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرِّفه الآثار ، ورَوِّه الأشعار ، وعلِّمه السُّنن ، وبَصِّره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعهُ من الضحك إلاَّ في أوقاته ، وخُذْهُ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورَفْعَ مجالس القُوَّاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تَمُرَّنَّ بكَ ساعة إلاَّ وأنتَ مُغتنِمٌ فيها فائدةً تُفيدُهُ إيَّاها من غير أن تخرِقَ به فتُميتَ ذهنه ، ولا تُمعن في مُسامحتِهِ فيستحليَ الفراغَ ويألَفُهُ ، وقَوِّمْهُ ما استطعتَ بالقُربِ والمُلاينة ، فإن أباهُما فعليكَ بالشِّدَّةِ والغِلظة » .

٥٨٦ـ أنبت لهم من الخشب ورقاً يسدُّ جوعتهم :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٩/ ٢٠) في ترجمة العالم العابد الزَّاهد عبيد الله بن أبي جعفر المِصريُّ أبو بكر الفقيه ، ما نصه :

« قال أبو شُرَيح عبد الرحمن بن شُرَيح ، عن عُبيد الله بن أبي جعفر :

غزونا القسطنطينية ، فكُسِرَ بنا مركبُنا فألقانا المَوجُ على خَشَبةٍ في البحر وكُنّا خمسة ، أو ستّة ، فأنبتَ الله لنا بعددنا ورقة لكلِّ رجل منّا ، فكنّا نمصُّها فتُشبِعَنا وترْوينا ، فإذا أمسينا أنبتَ الله لنا مكانها حتى مرَّ بنا مركبٌ فحمَلَنا » .

٥٨٧ـ اذهب الآن فقد طوَّقْتُكَ طوقاً لا يفكُّه عنكَ خمسونَ قيِّناً :

جاء في كتاب « الثقات » للعجلي رحمه الله تعالى (الورقة ٣٥) في ترجمة القاضي الإمام المُحدِّث الفقيه عبيد الله بن الحسن العنبري البصري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« قال عبد الله بن صالح العجلي :

كتبَ المهديُّ إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة يأمرُهُ أن انظر إلى الأرض التي يخاصمُ فيها فلان التاجر فلاناً القائد فاقضِ بها للقائد .

قال : اجمع لي شهوداً ، فجمع جماعةً فكتبَ عليه حُكماً للتاجر ، ثم قال :

اذهب الآن ، فقد طوَّقْتُكَ طَوقاً لا يفكُّه عنكَ خمسون قيِّناً .

قال : فعزله المهدي » .

٥٨٨ـ فهو الذي ترى :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٩/ ٢٤٦) في ترجمة عُبيد بن واقد القيسي ويقال الليثي ، أبو عباد البصري رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . حدَّثني يحيى بن الفضل الخِرَقيُّ ، قال : حدَّثنا عباد بن واقد وهو عبيد ، قال :

خرجتُ أُريد الحجَّ ، فوقفتُ على رجل بين يديه غلام كأحسن الغِلمان وأكثرهم حركة .

فقلت : من هذا ؟

قال : ابني ، وسأُحدِّثُكَ عنه ، خرجتُ مرَّةً حاجًّا ومعي أُمُّ هذا وهي حاملٌ به ، فلمّا كنّا في بعض المباركِ ضربَها الطَّلْقُ فولدَتْ هذا وماتت ، وحضرَ الرَّحيلُ فأخذتُ الصَّبيَّ فلَفَفْتُهُ في خِرْقَةٍ وجعلتُهُ في غارٍ ، وبَنيتُ

عليه أحجاراً وارتحلتُ وأنا أرى أنّه يموتُ من ساعتِهِ ، فقضيتُ الحجَّ ورجعتُ ، فلمّا نزلنا ذلك المنزل بادرَ رفيقي إلى الغارِ فنقضَ الأحجارَ فإذا هو بالصبيِّ مُلتقمٌ إبهامَيْه ، فنظرنا فإذا اللَّبنُ يخرجُ منهما ، فاحتملتُه معي ، فهو هذا الذي ترى » .

٥٨٩ـ أنتم بخير مادام عالمُكم يتكلَّم بينكم غير مستخفٍ :

جاء في كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٥٢٩/١٩) في ترجمة الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ، ما نصه :

« عن محمد بن سيرين ، عن عدي بن حاتم :

إنَّ معروفَكُم اليوم منكر زمان قد مضى ، وإنَّ منكركُم اليوم معروف زمان ما أتى ، وإنَّكم لن تبرحوا بخيرٍ ما دُمتم تعرفون ما كنتم تُنكرون ، وتُنكرون ما كنتم تعرفون ، ومادام عالِمُكم يتكلَّمُ بينكم غيرَ مُسْتَخْفٍ » .

٥٩٠ـ أرسل حكيماً ولا توصه :

جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (٤٢/١) ما نصه :

« ولمّا انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر ، وقال له حين ودَّعه :

أرسل حكيماً ولا توصه ، أي بُنيّ ، انظر إلى عُمَّالكَ ، فإن كان لهم عندكَ حقٌّ غُدوةً فلا تؤخِّرهُ إلى عشيَّةٍ ، وإن كان لهم عشيَّةً فلا تؤخِّرهُ إلى غُدوةٍ ، وأعطهم حُقوقَهم عند محلِّها ، تستوجبُ بذلك الطاعة منهم ، وإيَّاكَ أن يظهرَ لرعيَّتِكَ منكَ كذبٌ ، فإنَّهم إن ظهر لهم منكَ كذبٌ لم يصدِّقوكَ في الحقّ .

واستشر جُلساءَكَ وأهلَ العلم ، فإن لم يستبن لك فاكتب إليَّ يأتِكَ رأيي فيه إن شاء الله تعالى .

وإن كان بكَ غضبٌ على أحدٍ من رعيَّتِكَ فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب ، واحبس عنه عقوبتَكَ حتى يسكُنَ غضبُكَ ، ثم يكون منكَ ما يكون وأنت ساكنُ الغضبِ مُنطفىءُ الجمرة ، فإنَّ أول من جعل السجن كان حليماً ذا أناة .

ثم انظر إلى أهل الحسب والدِّين والمروءة ، فليكونوا أصحابكَ وجُلساءَكَ ، ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا انقباض ، أقول هذا وأستخلفُ الله عليك » .

٥٩١ـ كفى بالجنة ثواباً ، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً :

جاء في كتاب « صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (١/ ١٧١ـ١٧٢) وكتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى (١/ ٧٧ـ٧٨) ما نصه :

« شيَّعَ عليّ رضي الله عنه جنازة ، فلمّا وُضعت في لحدها عجَّ أهلها وبكوها ، فقال : ما تبكون ؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميِّتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميِّتهم ، وإن له فيهم لعودة ثم عودة ، حتى لا يبقى منهم أحد. . .

ثم قام فقال :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقَّت لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها ، وأبصاراً لتجلو من غشَّاها ، وأفئدة تفهم ما دهاها ، إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يضرب عنكم الذِّكر صَفحاً بل أكرمكم بالنِّعم السَّوابغ ، وأرصد لكم الجزاء ، فاتَّقوا الله عباد الله وجِدُّوا في الطلب ، وبادروا بالعمل قبل هادم اللذَّات ، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا تُؤْمَنُ فجائعها ، غرور حائل ، وسناد مائل .

اتَّعِظوا عباد الله بالعِبَر ، وازدجروا بالنُّذُر ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكأن قد علَّقتكم مخالب المنية ، وضمنتم بيت التراب ، ودهمتكم مفظعات الأمور بنفخة الصُّور ، وبعثرة القبور ، وسياق المحشر ، وموقف الحساب ، بإحاطة قدرة الجبَّار ، كلُّ نفسٍ معها سائق لمحشرها ، شاهد

يشهد عليها : ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٦٩] ، فارتجَّت لذلك اليوم البلاد ، ونادى المنادي ، وحُشرت الوحوش ، وبدت الأسرار ، وارتجّت الأفئدة ، وبُرِّزَت الجحيم قد تأجَّجَ جحيمُها وغلا حميمُها .

عباد الله! اتَّقوا الله تقية مَنْ وَجِلَ وحَذِرَ وأبصرَ وازدجَرَ ، فاحتَثَّ طلباً ، ونجا هرباً ، وقَدِمَ للمعاد ، واستظهر بالزَّاد ، وكفى بالله مُنتقماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً ، وكفى بالجنَّة ثواباً ، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً ، وأستغفرُ الله لي ولكم » .

٥٩٢ـ لا دار بعد هذه الدار إلاَّ الجنَّة أو النار :

جاء في كتاب « المواعظ والمجالس » لابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ٦٢ـ٦٣) ما نصه :

« قال محمد بن السماك :

كنتُ كثيراً ما أطلبُ الزُّهَّاد والعُبَّاد فذُكِرَ لي رجلٌ من الزُّهَّاد بعبادان ، فخرجتُ في طلبه حتى أتيتُ عبادان فسألتُ عن منزله فرُشِدْتُ إليه ، فقرعتُ عليه الباب فخرجت لي جارية فقالت :

ما شأنُكَ أيُّها الطارق ؟ قلتُ : أريد منزل فلان .

قالت : عليه وقعت ، فما حاجتُكَ ؟

قلتُ : أُحبُّ أن تستأذنيه لي في الدخول عليه .

قال : فدخلت فإذا أنا برجلٍ قد احتفرَ قبراً وضع فيه رجليه وبيده خوص يصنعه ، وهو يتلو هذه الآية :

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية : ٢١] .

فسلَّمتُ عليه فرَدَّ عليَّ السلام ، وقال : ما اسمكَ ؟ قلتُ : محمد .

قال : ابنُ مَنْ ؟ قلت : ابن السماك ، قال : لعلَّكَ الواعظ ؟

قلتُ : أجل . قال :

إنَّ الواعظَ عندي بمنزلة الطبيب ، وبي داء قد أعيا المعالجين قبلك ، فعسى أنت تناله برفقك وتلصق عليه بعض مراهمكَ ممّا تعلم أنه يُلائمُه منها .

فقلتُ : ألا تعلم أنه لا دار بعد هذه الدار إلاَّ الجنة أو النار ؟

قال : فتغيَّر وجهُهُ .

فقلتُ : يا أخي ، إنَّ العُمر قد ولَّى ، والضَّعفَ قد تولَّى ، وإن كاتبيك قد حَفِظا عليك ما سلفكَ من قبيح العمل ، ولعل المنيَّة تُعالجكَ قبل إدراكِ الأمل .

قال : فلمّا سمع ذلك لم يتمالك أن شهقَ شهقةً وخرَّ مغشيًّا عليه ، فأقبلت امرأتُهُ وابنتُهُ تبكيان من خلف الستر ، فبقي كذلك طويلاً ، ثم أفاق وقال :

يا ابن السماك ، قد وافق دواؤك دائي ، ولصق مرهمُكَ بجلدي ، زِدني فإنَّ المرهم إذا خَفَّ اندملَ الجرح والتأم .

فقلتُ : يا أخي ، نحن على يقين من ذنوبٍ سلفت ، وفي شَكٍّ من قبول توبة ، فإن جاد بالفضل فأين ذيول الخجل خشية العتاب ؟ وإن قضى بالعدل فأين تحول الرَّحل خيفةَ العقاب ؟

قال : فصرخَ صرخةً عظيمة وخرَّ مغشيًّا عليه ، فمكثَ طويلاً ، ثم أفاق وقال :

أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم سكنَ طويلاً ، فحرَّكْتُهُ فإذا هو ميِّت » .

٥٩٣ـ انطلق إلى زوجتكَ العيناء :

جاء في كتاب « الجهاد » لابن المبارك رحمه الله تعالى (٢/ ١٤٤ـ١٤٥) ما نصه :

« عن السري بن يحيى ، عن ثابت البناني :

أن فتى غزا زماناً وتعرَّض للشَّهادة ، فلم يُصبها ، فحدَّث نفسَهُ ، فقال :

والله ما أراني إلاَّ لو قفلتُ إلى أهلي فتزوَّجتُ ، قال :

ثم قال في الفسطاط ، ثم أيقظه أصحابُهُ لصلاة الظهر ، قال : فبكى حتى خاف عليه أصحابُهُ أن يكون قد أصابه شيء ، فلما رأى ذلك قال :

إنِّي ليس بي بأس ، ولكنه أتاني آتٍ وأنا في المنام ، فقال : انطلق إلى زوجتكَ العيناء ، قال : فقمتُ معه ، فانطلقَ بي في أرضٍ بيضاء نقيَّة ، فأتينا على روضة فما رأيتُ قطُّ أحسنَ منها ، فإذا فيها عشرُ جوارٍ ، ما رأيتُ مثلهنَّ قطُّ أحسن منهنَّ ، فرجوتُ أن تكون إحداهُنَّ .

فقلتُ : أفيكنَّ العيناء ؟ قُلنَ : هي بين أيدينا ونحن جواريها .

قال : فمضيتُ مع صاحبي ، فإذا روضة أخرى يضعفُ حسنها على حسن التي تركت ، فيها عشرون جارية ، يُضاعف حسنهنَّ على حسن الجواري اللائي خلَّفت ، فرجوتُ أن تكون إحداهُنَّ ، فقلتُ :

أفيكُنَّ العيناء ؟ قُلنَ : هي بين أيدينا ، ونحن جواريها ، حتى ذكر ثلاثين جارية .

قال : ثم انتهيتُ إلى قبَّةٍ من ياقوتةٍ حمراء مجوَّفة قد أضاء ما حولها ، فقال لي صاحبي : ادخل ، فدخلتُ فإذا امرأةٌ ليس للقبَّة معها ضوء ، فجلستُ فتحدَّثتُ ساعة ، فجعلت تُحدِّثني ، فقال صاحبي : اخرج وانطلق . قال : ولا أستطيع أن أعصيه ، قال : فقمتُ ، فأخذَتْ بطرف ردائي ، فقالت : افطر عندنا الليلة ، فلمّا أيقظتموني رأيتُ إنَّما هو حلم ، فبكيتُ ، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل .

قال : فركب الناس فمازالوا يتطاردون حتى إذا غابت الشمس وحلَّ للصائم الإفطار ، أُصيب تلك الساعة ، وكان صائماً وظننتُ أنه من الأنصار ، وأن ثابتاً كان يعرف نسبه » .

٥٩٤ـ صفة الإمام العادل :

جاء في « العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي رحمه الله تعالى (١/ ٣٤ـ٣٦) ما نصه :

« كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمّا وَلِيَ الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتبَ إليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله جعل الإمام العادل قِوامَ كلِّ مائل ، وقصدَ كل جائر ، وصلاحَ كلِّ فاسد ، وقوَّة كلِّ ضعيف ، ونصفةَ كلِّ مظلوم ، ومفزعَ كلِّ ملهوف .

والإمامُ العادل يا أمير المؤمنين كالرَّاعي الشَّفيق على إبله ، الرَّفيقُ بها ، الذي يرتادُ لها أطيبَ المراعي ، ويذودُها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السِّباع ، ويكنُّها من أذى الحَرِّ والقَرِّ .

والإمامُ العَدْل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغاراً ويُعلِّمهم كباراً ، يكتسبُ لهم في حياته ، ويدَّخرُ لهم بعد مماته .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأُمِّ الشَّفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعته كرهاً ، وربَّته طفلاً تسهرُ بسهرِه ، وتسكنُ بسكونه ، تُرضعُه تارةً وتفطِمُه أُخرى ، وتفرحُ بعافيته ، وتغتمُّ بشكايته .

والإمامُ العَدْلُ يا أمير المؤمنين وصيُّ اليتامى ، وخازنُ المساكين ، يُربِّي صغيرهم ، ويَمون كبيرهم .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تصلحُ الجوارحُ بصلاحه ، وتفسدُ بفساده .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائمُ بين الله وبين عباده ، يسمعُ كلام الله ويُسمعُهم ، وينظرُ إلى الله ويُريهِم ، وينقادُ إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكَكَ الله عزَّ وجلَّ كعبدٍ ائتمنَهُ سيِّدُهُ ، فاستحفظَهُ

ماله وعياله ، فبدَّدَ المال وشرَّدَ العيال ، فأفقرَ أهلَهُ ومزَّقَ ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزلَ الحدود ليُزجَرَ بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها مَنْ يليها! وأن الله أنزل القِصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم مَنْ يقتصُّ لهم! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلَّة أشياعكَ عنده ، وأنصاركَ عليه ، فتزوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطولُ فيه ثواؤك ، ويُفارقكَ أحِبَّاؤك ، يُسلمونكَ في قعره فريداً وحيداً ، فتزوَّد له ما يصحبكَ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس : ٣٤ـ٣٦] .

واذكر يا أمير المؤمنين ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات : ٩ـ١٠] ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها ، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مَهَل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل ، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلِّط المستكبرين على المُستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذِمَّة ، فتبوءَ بأوزاركَ وأوزارٍ مع أوزاركَ ، وتحمل أثقالكَ وأثقالاً مع أثقالكَ ، ولا يغُرَّنَّكَ الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيِّبات في دُنياهم بإذهاب طيِّباتِكَ في آخرتك ، ولا تنظر إلى قدرتكَ اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتكَ غداً وأنت مأسورٌ في حبائل الموت ، وموقوفٌ بين يديّ الله في مجمعٍ من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عَنَتِ الوجوه للحيِّ القيُّوم .

إنِّي يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغَهُ أولوا النهى من قبلي ، فلم آلكَ شفقةً ونُصحاً ، فأنزل كتابي إليكَ كمُداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

٥٩٥ـ ما لي حاجة دون عامَّة المسلمين :

جاء في « لباب الآداب » للأمير أسامة بن منقذ رحمه الله تعالى (ص ٣٥٢ـ٣٥٤) ما نصه :

« قحطت الباديةُ في أيّام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشامٌ لرؤسائهم ، فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب ، وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان ، وله ذؤابة ، فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقعت عينُ هشام على درواس فاستصغره ، فقال لحاجبه :

ما يشاءُ أحدٌ أن يصل إليَّ إلاَّ وصل! حتى الصبيان ؟!

فعلم درواس أنه يريدُه ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يُخِلَّ بك شيئاً ، ولقد شرَّفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمرٍ أحجموا دونه ، وإن الكلام نشرٌ ، والسُّكوت طيٌّ ، ولا يُعرفُ الكلامُ إلاَّ بنشره .

فقال له هشام : فانشر لا أبا لك! ! وأعجبه كلامُه .

فقال : أصابتنا سنونَ ثلاثةٌ : فسنةٌ أذابتِ الشَّحم ، وسنةٌ أكلتِ اللَّحم ، وسنةٌ أنقتِ العظم ، وفي أيديكم فضولُ أموالٍ : إن كانت لله ففرِّقوها على عباده المُستحقِّين لها ، وإن كانت لهم فعلامَ تحبسونَها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدَّقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المُتصدِّقين ، ولا يُضيعُ أجر المحسنين ، واعلم يا أمير المؤمنين ، أن الوالي من الرعيَّة كالرُّوح من الجسد ، لا حياة للجسد إلاَّ به .

فقال هشام : ما تركَ الغلامُ في واحدةٍ من الثلاث عُذراً ، وأمر أن يُقْسَمَ في باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم .

فقال : يا أمير المؤمنين اردُدْها إلى جائزة العرب ، فإنِّي أكره أن يعجزَ ما أمر لهم به أميرُ المؤمنين عن كفايتهم .

قال : فما لكَ من حاجةٍ تذكرها لنفسكَ ؟

قال : ما لي من حاجةٍ دون عامَّة المسلمين » .

٥٩٦ـ أخلاق المؤمن :

جاء في كتاب « الحسن البصري » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (ص ١٠٩ـ١١٠) ما نصه :

« عن سلمة بن عامر قال : صلَّينا الجمعة مع الحسن فلمّا انصرفنا اكتنفنا حوله فبكى بكاءً شديداً فقلنا : ما بالك ـ رحمك الله ـ وقد بُشِّرتَ بالجنة في منامكَ ؟ فازدادَ بكاءً وقال :

كيف لا أبكي ولو دخلَ علينا من باب هذا المسجد أحد أصحاب رسول الله ﷺ لما عرف غير قبلتنا هذه ثم قال :

هيهات هيهات أهلك الناس الأمانيّ ، قولٌ بلا عمل ، ومعرفةٌ بغير صبر ، وإيمانٌ بلا يقين ، ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً ؟ وأسمعُ حسيساً ولا أرى أنيساً ؟ دخل القوم والله ثم خرجوا ، وعرفوا ثم أنكروا ، وحرَّموا ثم استحلُّوا ، إنَّما دين أحدكم لعقة على لسانه ، إذا سُئل : أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم ، كذب ومالك يوم الدين .

إنَّ من أخلاق المؤمن قوَّة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وعلماً في حلم ، وحلماً بعلم ، وكيّساً في رفق ، وتجمُّلاً في فاقة ، وإنصافاً في استقامة ، لا يحيفُ على من يبغض ، ولا يأثمُ في مساعدة من يحب ، ولا يهمزُ ولا يغمز ، ولا يلمز ، ولا يلغو ، ولا يلهو ، ولا يلعب ، ولا يمشي بالنَّميمة ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذي عليه ، ولا يتجاوز في العذر ، ولا يشمت بالفجيعة إن حلَّت بغيره ، ولا يسرّ بالمعصية إن نزلت بسواه ، المؤمن في الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظرته عبرة ، يخالط العلماء ليعلم ، ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلَّم ليغنم ، إن أحسن استبشر ، وإن

أساء استغفر ، وإن عتب استعتب ، وإن سُفه عليه حلم ، وإن ظُلم صبر ، وإن جيرَ عليه عدل ، لا يتعوَّذ بغير الله ، ولا يستعين إلاَّ بالله ، وقورٌ في الملأ ، شكورٌ في الخلاء ، قانع بالرزق ، حامد على الرَّخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الغافلين كُتب من الذَّاكرين ، وإن جلس مع الذَّاكرين كُتب من المُستغفرين .

قال : هكذا كان أصحاب النَّبي ﷺ الأول فالأول حتى لحقوا بالله عزَّ وجلَّ ، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنَّما غيَّر ما بكم ممّا غيَّرتُم ، ثم تلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

٥٩٧ـ صُحبة العالم دين يُدان بها :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (٢٤/ ٢٢٠ـ٢٢١) و « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٤/ ٣١١) و « العقد الفريد » لابن عبد ربه (٢/ ٢١٢) ما نصه :

« . . . عن عبد الرحمن بن جُندب ، عن كُمَيل بن زياد النُّخعي ، قال :

أخذ عليٌّ بيدي ، فأخرجني إلى ناحية الجبَّان ، فلما أصحرنا ، جلسَ ثم تنفَّسَ ، ثم قال :

يا كُمَيل بن زياد ، القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، إحفظ ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالمٌ ربَّانيّ ، وعالمٌ مُتعلِّمٌ على سبيل نجاةٍ ، وهَمَج رعاع أتباع كلِّ ناعقٍ ، يميلون مع كلِّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيقٍ ، العلمُ خيرٌ من المال ، العلم يحرسكِ وأنتَ تحرسُ المال ، العلمُ يزكو على العمل ، والمال تَنْقُصُه النَّفقة ، **وصُحبةُ العالم دينٌ يدان بها** باكتساب الطاعة في حياته ، وجميلُ الأحدوثة بعد موته وصنيعه ، يفنى المال بزوال صاحبه ، ماتَ خُزَّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقيَ الدَّهرُ ، أعيانُهم مفقودة ، وأمثالُهم في القلوب موجودة .

ها إنَّ هاهنا - وأشار بيده إلى صدره - علماً لو أصبتُ له حَمَلة ، بلى أصبتُه لقناً غير مأمون عليه ، يستعملُ آلة الدِّين للدُّنيا ، يستظهرُ بحجج الله على كتابه ، وبنعَمِه على عباده ، أو مُنقادٌ لأهل الحقِّ لا بصيرة له في أحنائِهِ ، يقتدِحُ الشَّكُّ في قلبه بأول عارضٍ من شبهة لا يجمع ذا ، ولا ذاك ، أو مفهومٌ باللذَّة سَلِسَ القياد للشَّهوات ، أو مَغريٌّ بجمع الأموال والادِّخار ، ليسا من دُعاة الدين أقربُ شبههما بهما الأنعامُ السَّائمة ، كذلك يموتُ العلمُ بموت حامليه ، اللهمَّ بَلى ، لن تخلو الأرضُ من قائم لله بحجَّةٍ لكي لا تبطلَ حُججُ الله وبيِّناته ، أولئك الأقلُّون عدداً ، الأعظمون عند الله قَدْراً ، بهم يدفع اللهُ من حُججه حتى يؤدُّوها إلى نُظرائهم ، فيزرعوها في قلوب أشباههم ، هَجَمَ بهم العلم على حقيقة الأمر ، تلك أبدانٌ أرواحها مُعلَّقَةٌ بالمحلِّ الأعلى ، أولئك خلفاء الله في بلاده ، والدُّعاةُ إلى دينه ، هاه! هاه! شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفرُ الله لي ولك ، إذا شئت فقم » .

٥٩٨- خمسٌ بخمس :

جاء في « تهذيب الكمال » للحافظ المزي رحمه الله تعالى (١٠/ ١١٣) في ترجمة الإمام المُحدِّث عطاء الخراساني رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« . . . عن منصور بن عريب ، عن عطاء ، قال :

إذا كان خمسٌ كان خمس :

إذا أُكِلَ الرِّبا كان الخسفُ والزَّلزلة .

إذا جارَ الحاكمُ قحطَ المطرُ .

وإذا ظهر الزِّنى كَثُرَ الموت .

وإذا مُنعَتِ الزكاة هلكت الماشية .

وإذا تُعُدِّيَ على أهل الذمَّة كانت الدُّولة » .

٥٩٩ـ اللهمَّ اشغله بكَ عنِّي :

جاء في كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٢٩/١٢) ، و« صفة الصفوة » للإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى (٢٠٣/٤) ما نصه :

« قال أبو إسحاق الجبلي :

قدمتُ على عليِّ بن عبد الحميد الغضائري فوجدتُه أفضل خلق الله عبادة وأكثرهم مجاهدة ، وكان لا يفرغُ من صلاته آناء ليله ونهاره ، فانتظرتُ فراغَهُ فلم أُصبه ولا وجدتُه ، فقلت له :

إنَّا قد تركنا الآباء والأُمَّهات ، والأهلين والأوطان ، والبنين ، والبنات بالرِّحلة إليك ، فلو تفرَّغتَ ساعة تُحدِّثنا بما آتاكَ الله من العلم .

فقال : أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي ـ رحمه الله تعالى ـ جئتُ إليه وقرعتُ عليه الباب ، فسمعتُه يقول قبل أن يخرج إلى مناجاته :

اللهمَّ مَنْ جاء يشغلني عن مناجاتكَ فاشغله بكَ عنِّي ، فما رجعتُ من عنده ، حتى جئتُ إلى الصلاة والشُّغلِ بذكرِ الله تعالى فلا أتفرَّغُ إلى شيءٍ سواه ببركةِ ذلك الشيخ .

قال أبو إسحاق : فرأيتُ كلامه يخرجُ من قلبٍ حزينٍ ، وهَمٌّ مكين ، والدُّموع تُسابقُهُ رحمه الله عليه » .

٦٠٠ـ هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر :

جاء في « نفح الطيب » لأحمد بن المقري التلمساني رحمه الله تعالى (٤١٩/١) في ترجمة السلطان الكبير المنصور بن أبي عامر رحمه الله تعالى ، ما نصه :

« وفي الخامسة والأربعين :

عُرِض على المنصور بن أبي عامر اسمُ أحد خَدَمه في جملة مَنْ طال

سجنه ، وكان شديد الحقد عليه ، فوقَّع على اسمِهِ بأن لا سبيلَ إلى إطلاقِهِ حتى يلحقَ بأُمِّه الهاوية ، وعُرِّفَ الرجل بتوقيعه ، فاغتمَّ وأجهدَ نفسه بالدُّعاء والمُناجاة .

فأرق المنصور إثرَ ذلك ، واستدعى النَّومَ فلم يقدر عليه ، وكان يأتيه عند تنويمه آتٍ كريهُ الشخص عنيفُ الأخذ يأمرُهُ بإطلاق الرجل ، ويتوعَّدُهُ على حبسه ، فاستدفعَ شأنَهُ مِراراً إلى أن علم أنه نذيرٌ من ربِّه ، فانقادَ لأمره ، ودعا بالدَّواةِ في مرقده ، فكتبَ بإطلاقه ، وقال في كتابه :

هذا طليقُ الله على رغم أنف ابن أبي عامر .

وتحدَّثَ الناسُ زماناً بما كان منه » .

* * *

الخاتمة

وبعد :

فهذه صفحات مضيئة من حياة السابقين في جزئها الثاني ، وقد احتوت على الكثير من المواقف الممتعة ، والمواعظ المعبِّرة ، والآداب الراقية ، والأخلاق الفاضلة .

وقد عشنا معها لحظات ممتعة ، وأخذنا منها دروساً وعِبَراً ، تنفعنا في دروب حياتنا المليئة بالمشاقّ والصِّعاب ، تُخفِّف من ثقل الأعباء المُلقاة على كواهل أبناء هذا الجيل ، وتواسي أبناء جيلنا الذين يلقون من ضروب الأذى والتضييق الشيء الكثير ، فتفتح لهم أبواباً من الأمل مُشرقة ، وتحثُّهم على العمل الدؤوب المتواصل ، ليُحقِّقوا الأمل الموعود بإعلاء كلمة هذا الدين والتَّمكين له في الأرض .

لحظات وساعات ممتعة تلك التي يقضيها المسلم الداعية مع هذه الصفحات لأنها تُشعرُه أنه ليس وحده في الميدان ، فهناك هؤلاء الأفذاذ من عظماء هذه الأُمَّة في ركب من أهل الصَّلاح والفضل ، يضربُ بجذوره في أعماق التاريخ ، مُبتدئاً بأول من وطئت قدماه هذه الأرض أبو البشر آدم عليه السلام ، ومُمتدًّا عبر القرون المتتابعة مارًّا بكلِّ الأنبياء والصالحين ، حتى يصلَ إلى سيِّد الأوَّلين والآخِرين محمد ﷺ وصحابته الأخيار ، ومَنْ تبعَهُم بإحسانٍ ممَّن أسهموا وشاركوا في بناء أمجاد هذه الأُمَّة ، إلى أن يصل الرَّكب الكريم في امتداده ليحطَّ في رحالنا ، ويُنادي في أرضنا الإسلامية :

أن هلمُّوا يا أبناء هذه الأُمَّة فاصنعوا أمجاداً كما فعل آباؤكم وأجدادكم وحادي الركب يحدو فيهم قائلاً :

نبنـي كمـا كـانـت أوائلنـا تبنـي ونصنـــع مثـــل مـــا صنعـــوا

لحظات ممتعة هي التي نقضيها ونحن نصل ماضينا بحاضرنا ، لنستشرف مستقبلاً زاهراً لهذه الأمَّة ، من خلال الكشف عن هذه الصفحات ، فلندع هذه المواقف ، والكلمات الخالدة ، والمواعظ المؤثِّرة ، تلمس بومضاتها شغاف قلوبنا لتحطِّمَ حُجُب الرَّان التي أحاطت بهذه القلوب ، ولتبعث فيها إشراقات من الأمل بمستقبل واعد ، تعلو فيه كلمة الحق ، وتخفقُ بنوده في الآفاق ، والله القائل في كتابه :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [الفتح : ٢٨] ، ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٨] ، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ [الإسراء : ٥١] .

وختاماً فإنِّي أسألُ الله تعالى أن يجعل هذا الجهد إسهاماً منِّي في تقريب ذلك اليوم الموعود ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدكَ ، أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنت أستغفركَ وأتوبُ إليك .

إبراهيم محمد العلي

عمان / الأردن

الفهرس

* * *